

نَهَايَةُ الْحَقِيقِ

فيما جرى في أمر فذك للصديقة والصديق بالنص والتوثيق

تقديم وجمع وتحقيق

آية الله السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِهِ نَسْتَعِينُ

(أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد وال طول، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ ألاء أسداها، وتمام منن والاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدّها. ونديهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب لأمثالها...). بهذا ابتدأت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، خطبتها (الكبرى) الشهيرة في مسجد أبيها عليه السلام، وإنّا ابتدأت أنا بما ابتدأت به هي صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها، لأنّي أردت الوصول إلى ساحة قدسها، والدنو من رحمة بركتها، في عملي هذا وهو توثيق أسانيد خطبتها عليها السلام، فعسى أن أحظى بنظرة عطف من لطفها، فتشملني بشفاعتها ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١)

فإن لها عند الله مقاماً عظيماً، وجاهاً كريماً، فصلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها وسلّم تسليماً.

(يا فاطمة الزهراء يا بنت محمد يا قرّة عين الرسول، يا سيدتنا ومولاتنا إنّنا توجّهنا واستشفّعنا وتوسّلنا بك إلى الله وقدّمناك بين يدي حاجتنا، يا وجهة عند الله إشفّعي لنا عند الله).

ياسيدي إنّ خطبتك في شأن فذك التي ألقيتها في مسجد أبيك الرسول ﷺ، فأقمت بها الحجة، وأنرت المحجة، فانقطع الخصوم عن الإدلاء بما عندهم ممّا يردون به القوارع التي صدعتهم بها، فكان الكذب والإفراء، وكان التعريض والإزدراء، ومّرت السنون، وذهب كلّ فريق ممّن أحبّ أو سخط بها يؤمنون فيما يعملون.

ونبت نابتة لم تستمرّ طعم الإيمان على حقيقته، فلم يكن إيمانهم إلّا لعقا على ألسنتهم، لم يجاوز تراقيهم، فأنكروا الخطبة وأسبابها، وأحاطوها بشبه كنسج العنكبوت، فاستهوا بعض المغفلين، وهؤلاء قد يُعذرون لأنهم لم يروا إلّا ما حوّلهم، ولم يسمعوا إلّا ما يتلوّه عليهم وعّاظ السلاطين من خلال خطب الجمعّات والأعياد، فلم يستطيعوا فكّ الرهان عن رقابهم، ولا رفع الغشاوة عن أعينهم، فأتى لهم المعاينة؟ وأتى لهم الموازنة؟ وهم في ظلام من التضليل مطبق، وفي متاهة وعلى شفا جرف هار، ولما كان الدين هو النصيحة لعامة المسلمين، أوجب عليّ الحقّ إجابة طلب المؤمنين، فأدليت بدلوي مع الواردين، عسى أن أوضح

لمن غفل أو تغافل وثاقة الخطبة من مصادر العامة والخاصة، وأسأل الله تعالى أن يتقبل منّي عملي خالصاً لوجهه الكريم، وعسى أن يهتدي به مضلل غافل، أو جاهل متغافل، فيتبع سبيل من أناب، فأثاب عليه أحسن الثواب، إن ربّي رحيم ودود.

الباعث على هذا

ولقد حداني إلى هذا العمل كثرة ما أشيع وأذيع في وسائل الإعلام الكاذب في هذه الأيام من أن الزهراء عليها السلام لم تمت وهي غضبي على الشيخين، بل إنها كانت غضبي أولاً ولكنها رضيت عنهما حين أتياها عائدين، وبالتالي فإنّها لما ماتت صلى عليها أبوبكر، كما سيأتي ذكر هذا ضمن صور بعض النصوص الآتية - وبهذا ونحوه بدأ الوهم يتحول إلى الشك والشك يتسرب في نفوس البعض، ثمّ يتحول في طريقه إلى الظن، وربّما ينقلب إلى يقين بعد حين، والبلية والطامة هي أن نقرأ ذلك في منشورات هنا وهناك، وما أدري لماذا هذا في هذا الوقت، ثمّ ماذا من بعد الاستنكار يأتي غير الإنكار؟ وما أدري كيف لنا توجيه ما ورد عن أئمتنا عليهم السلام بدءاً من أمير المؤمنين عليه السلام فيما قاله في تأبينها عند دفنها؟ وسيأتي ذكره في بعض النصوص الآتية، ثمّ ما ورد من ألفاظ زيارتها عليها السلام وهو عن أبنائها، وما ورد في ذكر مقامها يوم القيامة وشكايتها، وهذا ما روته مصادرنا عن أئمتنا، ومنه ما رواه ابن عباس رضي الله عنه وهو بحكم المرفوع

كما يراه غيرنا، ولقد سبق الناصر الأطروش (٣٠٢ -- ٣٠٤) والقاضي محمد بن أحمد بن الجنيد أبو علي الإسكافي رحمته وهو من قدماء أصحابنا إلى تأليف كتاب باسم (الظلامة الفاطمية)^(١)، وقد نقل عن كتاب هذا الشيخ تقي الدين عبد الله الحلي في كتابه^(٢) بإسناده إلى أبي ذر الغفاري، وفي أصل سليم بن قيس وغيره، ما ينفي الشك واللبس، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

السبيل الأقوم

وبعد فهذه السطور نقرأ فيها تحقيقاً حول خطبة فذك، التي احتجّت بها سيدة النساء على أبي بكر والمهاجرين والأنصار، نصاً وتوثيقاً، لأن كثيراً من المعاندين يأبون التصديق بها، حيث أتت على بنيانهم من القواعد، فجعلته هشيماً رميمًا تذرّوه الرياح.

ولما كان التاريخ الإسلامي قد تعرّض لذكر الأحداث الجسام، التي ترلزلت فيها الأقدام، فكان الإنقسام، واشتد التجاذب بين القطبين - السنيّ والشيوعي - في كتب الكلام، حيث نجد التفريط والإفراط في الخصام، ممّا يزداد معه المرء حيرة، أي الفريقين أهدي وأقوم سبيلاً، ومن لم يمتلك نحواً من الخبرة، يكاد يقع في هوة الحيرة، بعيدة القعر كذي طوى، وهو لا يملك حبل نجاة من الرشا، إلاّ قصيراً لا يبلغ المدى،

(١) كما في رجال النجاشي: ٣٨٨، وفي الذريعة ١٥: ٢٠٢.

(٢) الدر الثمين في أسرار الأنزع البطين: ٩٥.

فيكاد يهوي في الحفرة، مع كثرة الثغاء والرغاء، وتزاحم الرُعاع والرعاء،
الذين ما تزال أعلامهم تزيد العجيج والضجيج، فكثر الشك، وحصل
الريب، وربّما تنسف الحقيقة بجرّة من قلم، لدعوة حاكم ظلوم، أو ترلفاً
لذي سلطان غشوم، إمّا طمعاً في مغنم، أو دفعاً لمغرم.

وفي هذه الحال لا بدّ لمن يبتغي الوقوف على الحقيقة، أن يترثّ صابراً،
حتى يصدر الرعاء، ليرى كم ترك كلّ من القطبين المتجاذبين في التاريخ
من أثر فيه خلل، وبصمات لطمس حادث جلل، ويرى كيف تصدّعت
وحدة المسلمين من بعد النبي ﷺ خاتم النبيّين، حيث حكم على آله مَنْ
كان يرى أن لهم الحقّ في الحكم عليه باعترافه^(١)، لكنها الأهواء وخطل
الآراء، وهم فيما يرون ويروون، أشعلوا فتيل الفتنة، فكانت الهنات التي
صدّعت القناة من بعض الذوات، ثمّ كان لكلّ طائفة وفريق، دعوة
وحجة، محقّة كانت أو غير محقّة، فكادت تضيع معالم الإهتداء، التي
تركهم رسول الله ﷺ عليها فقال: (تركتم على البيضاء ليلها
كنهارها)^(٢) وكانت نتيجة تزاحم الرجال على نهب تراث أهل بيته،
وتعدى بهم الإعتداء بعد سلبهم سلطانه، أن هدّدوا بإحراق أهل بيته،
(١) قال عمر لابن عباس في محاوره جرت بينها وقد أُعطي - يعني عليّاً - ما لم يعطه أحد من آل النبي ﷺ،
ولولا ثلاث هنّ فيه ما كان لهذا الأمر من أحد سواه (موسوعة ابن عباس ج ٢ من الحلقة الأولى).

(٢) في المجازات النبوية للشريف الرضي: ٤٤٣ تحقيق طه محمّد الزيني برقم ٣٥٩: ومن ذلك قوله عليه
الصلاة والسلام: (قد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلّا هالك). ومثله في سنن
ابن ماجه ١: ١٦ ومستدرک الحاكم للنباطوري ١: ٩٦ والسنة لابن أبي عاصم: ١٩ ومعجم الطبراني
الكبير ١٨: ٢٠٧ ط الموصل .

الإعتداء بعد سلبهم سلطانه، أن هددوا بإحراق أهل بيته، وحرمانهم ابنته وبضعته ميراثها من أبيها، تمادياً في الغي، واستضعافاً منهم لابن عمه. وجرت خطوب لا تزال لها ندوب تدمى منها القلوب، فوضعت أحاديث مكذوبة، وكثرت القالة عليه كما أخبر عليه السلام من قبل حيث قال: (ألا فقد كثرت عليّ القالة ألا ومن كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار)^(١).

ولما كان طالب الحقّ (سنياً كان أو شيعياً) ليس له اطلاع على ما جرى في تاريخ تلك الحقبة، أو كانت معرفته من خلال الموروث (هذا ما وجدنا عليه آباءنا) لذلك رأيت لزماً عليّ أن أبحث له موضوع خطبة فذك من طريق السبيل الأقوم، وهو نبذ كلّ ما أنفرد به كلّ من طرفي النزاع، والأخذ بما اتفقا على روايته، لأنّ ذلك يزيدنا إيماناً وإطمئناناً ويقيناً، بأن الأمر كما رووه معاً، لا كما رواه كلّ على انفراد، فاجتماع كلمتهم سُوى، على غير ميعاد مع خُلف هوى، يكون هو الطريقة المثلى في نشدان الحقيقة لان في السنّة كما هو في الشيعة أيضاً تطرف بين القطبين المتجاذبين فمن أقصى الشمال إلى أقصى اليمين وفي هؤلاء وأولئك صح ورود (هلك فيّ اثنان محبّ غال وعدوّ قال) وهذا ما عاشته الأمة طوال القرون، يتناظرون غضاباً، ويتنافرون أحزاباً، وكأثم لا يخشون حساباً، ولا شك إنّ كان في أولئك وهؤلاء بين ذَيْن وذَيْن نمرقة وسطى تقول

(١) الكافي ١: ٦٢ باب اختلاف الحديث. وبلفظ: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه في

راموز الأحاديث ص ٤٤١ ط الأستانه، عن ثمانية وثلاثين راوياً عن سبعة وستين مصدراً.

باعْتَدَال، فإليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي، وهؤلاء يفيئون الى الحقّ، حين يقولون ما يعتقدون أنّه الحقّ. لا يبغيون عنه بدلاً. ومن أحسن ممّن دعا الى الحقّ قولاً وعملاً.

كما لا شك ان سلوك هكذا سبيل دون بقية الطرائق هو أقوم وأبعد عن خطر التهمة، وأقرب الى جمع الكلمة، ولم شعث الأمة بعد كشف غياهب الظلمة، دونما تحجّ أو تثريب، وهو طريق الى التقريب.

وإنّما فضّلت هذا السبيل لأنّي جرّبته من قبل فيما كتبت أول سطر فيها بحث ونشرت. فهو طريق سوي، وصراطه مستقيم، وحجته دامغة، وأعلامه قائمة، ليس فيه محاباة ولا مداجاة، فالإذعان للحقّ أولى من التعصب للباطل لك أو عليك، فإن الحقّ أحقّ أن يتّبع، وفي موضوع هذه الرسالة التي ليس لي فيها من جهد سوى جمع بعض النصوص التي لا يتطرق إليها الريب من الفريقين، حيث تتفق الرواية وتوثقها الدراية، قد أخذت على نفسي أن لا أحيد عن ذلك السبيل الأقوم ان شاء الله تعالى وأنا أتلو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

(١) يوسف: ١٠٨.

ما هو المنهج الذي لا عوج فيه ؟

التزاماً بما قدمت إيضاحاً عن سبيلي التي أدعوا إليها أبناء المسلمين جميعاً، فقد كان لزاماً أن أوضح منهجي في هذه الرسالة، وما هي الأبحاث التي سأذكرها. وقد رأيت اختصاراً مفيداً أن يكون المنهج في هذه الرسالة مشتملاً على مقدّمة استعرض فيها المعاني اللغوية لمفردات العنوان، لئلا يبقى حوار الخرسان مع الإنسان كحوار الطرشان.

ثم أربعة أبواب يشتمل كلّ باب على موضوع يخصه وهي كما يلي:
الباب الأوّل: وفيه ما يلزمنا الوقوف عليه من جنائيات في التاريخ وما يجب إنقاذه.

الباب الثاني: في الصديقية ومَن هو أحقّ بها؟ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: في صديقية فاطمة الزهراء عليها السلام بعد تمهيد في معناها.

المبحث الثاني: في صديقية السيدة عائشة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: في صديقية أبي بكر رضي الله عنه.

المبحث الرابع: في صديقية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

الباب الثالث: في مصادر خطب الزهراء عليها السلام وذلك في ثلاثة مباحث بعد التمهيد:

المبحث الأوّل: مصادر النص عند الشيعة.

المبحث الثاني: مصادر النص عند السنة.

المبحث الثالث: صور النصوص المختارة.

الباب الرابع: في توثيق النصوص، ويشمل الباحث التالية:

المبحث الأول: تعدد الأسانيد.

المبحث الثاني: روعة الأسلوب.

المبحث الثالث: قوّة الحجة القارعة.

الخاتمة: في أدب الحجاج مع أهل الإعوجاج وترك اللجاج.

وقد احتطت - والاحتياط حسن في مثل هذا المقام - إذ نقلت النصوص من مصادرها المطبوعة مصورة حتى تصوير غلاف الكتاب المطبوع، لئلا يقول طاعن في قلبه مرض، ليغطي الجوهر بالعرض، إني راجعت الكتاب (المصدر) فلم أجد ما تزعمون، وفي تعدّد الطبعات الحديثة، نجد بعض التزويرات الخبيثة، وقد ازداد الأمر تفاقمًا في شيوع التزوير، حتى في بعض مؤسسات الإصدار للأقراص الكمبيوترية.

وللتدليل على ذلك فليلاحظ الإصدار الأوّل (للمكتبة الألفية) حيث يوجد حديث الثقلين بنصه وفصّه كما هو في مصادره المطبوعة المنقول عنها، ولكن في الإصدارات المتأخرة بعنوان (المكتبة الألفية) فراجع الحديث المشار إليه، تجد اللعب ممّا يثير العجب، في تحريف للفظ (الثقلين) وجملة (لن تضلوا) أمّا بحذفها كلها وأمّا جعلها في سياقة جملة ليس لها اتساق معها، ممّا يفقد الحديث حجته وجِدّته، وإلى الله المشتكى.

أما شواهد التحريف في طبعات الكتاب الواحد، فقد أشرت في كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط) إلى ما جرى في كتاب (مروج الذهب) للمسعودي في اعتذار عروة بن الزبير عن عزم أخيه عبد الله على تحريق بني هاشم حين حبسهم مرة في قبة الشراب بزعمهم، ومرة حبسهم في شعب أبي طالب، وهددهم بالإحراق، ان لم يبايعوه وقد نجوا من شره حين أتاهم أبو عبد الله الجدي ومن معه منجداً من قبل المختار، فاستنقذوهم وأزالوا الخطب عن الباب وأخرجوهم سالمين، وخاض الناس في ذلك ناقلين وناقمين، فكان عروة يحتج بما صنعه عمر مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن كان معه في بيته وفاطمة عليها السلام وبنيها في البيت، وعمر يهددهم بإحراق البيت عليهم إن لم يخرجوا ويبايعوا أبا بكر، كيف جرى التلاعب في طبعات الكتاب كما ذكرت في الملحق الأول في آخر الكتاب الآنف الذكر حول كتاب (المعارف) لابن قتيبة، مما هو شاهد في المقام على ما يرام. ولو أردت استيفاء البحث في جرائم الأقلام، والتزييف في الأقراص الكمبيوترية، بل وحتى في تصوير بعض الأفلام، لطال المقام.

ولا أظن أن القراء لم يروا ولم يسمعوا ما جرى في حوارات القناة التي تسمى (المستقلة) والتي كان الأولى بها أن تسمى (المستغلة) - بالغين المعجمة سواء كانت بالفتح أو بالكسر - فهي فيما أثارته من خصام، على غير هدى من أساليب الجدل في علم الكلام، حتى تجاوز الحال في النقض

والإبرام، إلى اختلاط الحابل بالنابل، ومباراة الشاهق بالصاهل. فكانت المصادر التي يعرضها المحاور المناور، فيها تحريف عند العرض، أو تبليس وتدليس. فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

تمهيد

في المعاني اللغوية لمفردات العنوان

صحيح أنّ خير الكلام ما قلّ ودلّ، وهذا من أساليب حسن البيان في علوم البلاغة . وصحيح أنّ العصر الحاضر تخطى الحواجز بالتقنيات فاختصر حتى أنهاط كيفية الحياة والتعايش معها. وصحيح أنّ الناس لا يستسيغون الإسراف والفضول سواء كان في الكلام أو في الكتاب.

كلّ هذا لا أمنعه ولا أدفعه، ولكن من كان هادفاً إلى إيضاح معنى لا تستوفيه لفظة واحدة، ولا يتم إلاّ بجملة واحدة أو أكثر، فلا لوم عليه بعد أن يجد له في الكتاب المجيد في جواب موسى ﷺ ما فيه من التسديد، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى^(١) ففي الآية المباركة (دليل على جواب السؤال بأكثر مما سئل لأنّه قال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ ذكر معاني أربعة: وهي اضافة العصا إليه، وكان حقّه أن يقول عصا، والتوكؤ، والهش، والمآرب المطلقة، فذكر موسى ﷺ من منافع عصاه عظمها، وجهورها، وأجل سائر ذلك^(٢).

(١) طه: ١٧-١٨ .

(٢) تفسير القرطبي ١١: ١٨٦ ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

ولما كنت بصدد استيفاء ما في هذه الرسالة بجميع معانيها ومطاويعها، وقل بجميع حذافيرها من خلال مفردات العنوان، ولا أظن قارئاً يجهل أن يكون معنى العنوان يحكي المعنونة، فلا لوم عليّ لو سميت الرسالة باسم: (نهاية التحقيق، فيما جرى في أمر فلك للصديقة والصديق، بالنص والتوثيق) والآن إلى بيان ما أجملت في العنوان من معاني الأسماء في اللغة:

١ - (نهاية) هي الغاية وآخر الشوط والمنتهى.

٢ - (التحقيق) هو تفصيل طلب الحق، يقال حقق الشيء تحقيقاً أو جبه وأكده وأثبتته.

٣ - (فلك) اسم قرية من قرى خيبر فتحت صلحاً، ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فهي خالصة لرسول الله ﷺ، وسيأتي لها حديث في نصوص المصادر، وما جرى لها وعليها عبر تاريخها حتى القرن الثالث.

٤ - (الصديقة) مؤنث.

٥ - (الصديق) وهو الدائم التصديق (قال الراغب: فالصديق من كثر منه الصدق، وقيل: بل لا يكذب قط)^(١). وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق، وقيل: لمن صدق بقوله واعتقاده، وحق صدقه بفعله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾^(٢)

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٧٨ ط الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ.

(٢) مريم: ٤١.

وقال: ﴿وَأَمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾^(١) وقال: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^(٢) فالصِّدِّيقون هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة على ما بيّنت في الذريعة إلى مكارم الشريعة) وحسبنا بهذا تعريفاً ولننظر ماذا عند المفسرين في ذلك:

قال الطبري^(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﷻ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً^(٤)... والصدِّيقون هم جمع صديق، واختلف في معنى الصِّدِّيقين: فقال بعضهم: الصِّدِّيقون أتباع الأنبياء الذين صدّقوهم واتبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم، فكان الصِّدِّيق فعيل على مذهب قائل هذه المقالة من الصدق كما يقال رجل سكير من السكر إذا كان مدمناً على ذلك وشريب وخير.

وقال آخرون: بل هو فعيل من الصدقة، وقد روي عن رسول الله ﷺ بنحو تأويل من قال ذلك، وهو ما حدّثنا به سفيان بن وكيع... عن ضباعة بنت الزبير وكانت تحت المقداد عن المقداد قال قلت للنبي ﷺ شيء سمعته منك شككت فيه، قال: إذا شك أحدكم في الأمر فليسألني

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) تفسير الطبري ٥: ١٦٢ ط دار الفكر بيروت.

(٤) النساء: ٦٩ — ٧٠.

عنه، قال: قلت قولك في أزواجك إني لأرجو لهنّ من بعدي الصديقين، قال: من تعنون بالصديقين؟ قلت: أولادنا الذين يهلكون صغاراً.

قال: لا، ولكن الصديقين هم المصدقون.

قال الطبري: وهذا خبر لو كان إسناده صحيحاً لم نستجز أن نعدوه إلى غيره؟ ولو كان في إسناده بعض ما فيه، فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بالصديق أن يكون معناه المصدق قوله بفعله، إذ كان الفاعل في كلام العرب إنّه يأتي إذا كان مأخوذاً من الفعل بمعنى المبالغة، إمّا في المدح وإمّا في الذم، ومنه قوله جل ثناؤه في صفة مريم: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾^(١) وإذا كان معنى ذلك ما وصفنا كان داخلاً من كان موصوفاً بما قلنا في صفة المتصدقين والمصدقين.

وقال أيضاً^(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره وأمّ المسيح صديقة، والصديقة الفعيلة من الصدق، وكذلك قولهم فلان صديق فاعل من الصدق، ومنه قوله تعالى ذكره: ﴿وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ﴾^(٣) وقد قيل: إنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إنّما قيل له الصديق لصدقه، وقد قيل: إنّما سمي صديقاً لتصديقه النبي ﷺ في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها.

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) تفسير الطبري ٦: ٣٦٥ ط دار الفكر بيروت.

(٣) النساء: ٦٩.

وعلى المعنى التصديقي للصديقية ورد في حقّ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث أنّها صديقة كما في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا ينجو من النار وشدة تغيّظها وزفيرها وقرنها وحميمها من عادى علياً عليه السلام وترك ولايته وأحب من عاداه. فقالت ميمونة زوج النبي ﷺ: والله ما أعرف من أصحابك يا رسول الله من يحب علياً إلاّ قليلاً منهم، قال: فقال لها رسول الله ﷺ: القليل من المؤمنين كثير، ومن تعرفين منهم؟ فقالت: أعرف أبا ذر والمقداد وسلمان وقد تعلم أنّي أحبّ علياً عليه السلام بحبك إياه ونصيحته لك، قال: فقال لها رسول الله ﷺ: صدقت أنت (إنّك - خ ل) صديقة امتحن الله قلبك للإيمان^(١).

ولا غرابة في الخبر بعد أن نقرأ في البخاري في كتاب الأدب، ومسلم في كتاب البرّ ومسنّد أحمد^(٢) وموارد أخر قوله ﷺ: (ما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله عزّ وجلّ صديقاً، الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً).

(١) كتاب جعفر بن محمد بن شريح الحضرمي - وهو من الأصول الستة عشر التي وصلت إلينا نسختها راجع ص ٢١٧ تحمّد المحمودي.

(٢) مسنّد أحمد ١: ٣٩٣ ط مصر الأولى و ٥: ٢٣١ و ٢٧٥ و ٣٤٣ تحمّد شاكر - والحديث في الترمذي والجامع الصغير وغيرهما.

وبعدما نقرأ قوله وَالصَّادِقِينَ: (من قرأ ألف آية... كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين)^(١).

وبعدما قال عن ابنه إبراهيم عليه السلام: (ولو عاش لكان صديقاً نبياً)^(٢). وقوله: (إنَّ له في الجنة من يتم رضاعه وهو صديق)^(٣). والشواهد كثيرة على معنى الصديقية الذي هو منبثق من الصدق وأجلى مظاهره التصديق. قال يحيى بن الحسن ابن البطريق: أعلم ان الصدق خلاف الكذب، والصديق الملازم للصدق الدائم في صدقه، والصديق: من صدَّق عمله قوله، ذكر ذلك أحمد بن فارس اللغوي^(٤)، وذكره أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري^(٥). وإذا كان هذا هو معنى الصديق فالصديق أيضاً ينقسم ثلاثة أقسام: ١ - صديق يكون نبياً. ٢ - صديق يكون إماماً. ٣ - وصديق يكون عبداً صالحاً لا نبي ولا إمام.

فأما ما يدلّ على أوّل الأقسام فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٦) وكلّ نبيّ صديق، وليس كلّ صديق نبياً، وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾^(٧).

(١) مسند أحمد ٣: ١٣٨.

(٢) سنن ابن ماجه في الجنائز ومسند أحمد ٣: ١٣٨.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٨٣.

(٤) المجمل في اللغة.

(٥) في كتاب الصحاح/ ١٥٠٦: والصديق مثال الفسيق، الدائم التصديق ويكون الذي يُصدّق قوله بالعمل.

(٦) مريم: ٥٦.

وأما ما يدل على كون الصديق إماماً فقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^(١). فذكر النبيين ثم ثنى بذكر الصديقين، لأنه ليس بعد النبيين في الذكر أخص من الأئمة ويدل عليه أيضاً الأخبار الواردة بأن الصديقين ثلاثة: حبيب وحزقيل وعلي، وهو أفضلهم، فلما ذكر علياً عليه السلام مع هذين المذكورين دخل معهما في لفظة الصديقين، وهما ليسا بنبيين ولا إمامين، فأراد إفراده عليه السلام عنهما بما لا يكون لهما وهي الإمامة، فقال عليه السلام: وهو أفضلهم. فليس في لفظة (الصديق). بينهم تفاضل، لأنه عليه السلام قال: (الصديقون ثلاثة) فقد استووا في اللفظ، فأراد الإخبار عن اختلافهم في المعنى وهو استحقاق الإمامة فقال: وهو أفضلهم، تنبيهاً على كونه عليه السلام صديقاً إماماً^(٢).

٦ - (النص) يقال: نصّ الشيء ينصّه نصّاً رفعه وأظهره.

٧ - (التوثيق) من قولهم: وثق الأمر توثيقاً أحكمه.

(١) يوسف: ٤٦.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) عمدة عيون صحاح الأخبار للحافظ ابن البطريق / ٢٧٩ تح الشيخ مالك المحمودي والشيخ إبراهيم البهادري.

الباب الاول

وفيه نقاط

النقطة الأولى

قد حفلت مصادر الحديث في تراث الفريقين من الشيعة والسنة ، بأحاديث حول لقب الصديقة والصدّيق، والاختلاف في تعيين المرموز إليهم والمراد بهم، ومن هم أصحاب ذلك اللقب؟ والسؤال الذي يفرض نفسه، مَنْ هو المقصود باللقب؟ هل هو واحد أم متعدد؟ وهل ثمة تعتيم وتضبيب حول أصحابه؟ فنارت لذلك الشكوك من أجل ما نحاه كل فريق وجهةً هو مولّوها، فقالت الشيعة: إنّ الصديقة هي فاطمة الزهراء عليها السلام وإنّ الصدّيق هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت السنة: إنّ الصديقة هي عائشة بنت أبي بكر وأبوها هو الصدّيق رضي الله عنه . ولدى إلقاء نظرة تحقيق على أحاديث الصديقة والصدّيق لدى الفريقين نجد التراث السنّي في هذا الجانب واهي العماد لعيوب في الإسناد، كما يقوله علماء التراث في الجرح والتعديل وسياتي بيان ذلك. وإذا أمعنا النظر في الأحداث التي مرّت في الصدر الأوّل من تاريخ المسلمين نجد هناك عملية تزوير منظّمة طالت الخلفاء وأتباعهم، ونالت أهل البيت وأشياعهم، وكان معاوية هو الذي أسّس مدرستها وتخرّج منها وعنها نماذج موبوءة ديناً، وأولئك هم الذين أعانوه على تثبيت سلطانه بالقهر والغلبة لمن أبى، وبالعطاء والحباء لمن بايع وشايع، فإلى قراءة شئ عن مدرسة الكذب.

النقطة الثانية: مدرسة الكذب والأحاديث الموضوعة

لقد روى ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) عن كتاب (الأحداث) للمدائني فقال: وروى أبو الحسن عليّ بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتاب (الأحداث) قال: (كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة)^(٢) وقبل الاستمرار مع المدائني في روايته، نود أن نلفت نظر القارئ إلى أنّ عمّال معاوية الذين كتب لهم جميعاً هم من نهاذج عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزباد بن سمية وسمرة بن جندب وأضرابهم لعنهم الله، ممّن استبدلوا الدين بالدنيا، وأراقوا دماء المسلمين بالعرض الأدنى، فقتلوا على الظنة والتهمة، وأعلنوا سبّ الإمام أمير المؤمنين

(١) في شرح النهج ١١: ٤٤ — ٤٦ ط تح أبو الفضل .

(٢) قال الجاحظ في الرسالة الحادية عشرة من رسائله جمع ونشر حسن السندوي ط الأولى بمصر سنة ١٣٥٦

المطبعة الرحمانية:

(... كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحرب، وتخلى الأمور عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلونهم عليه، فعندها استبدّ معاوية على الملك، واستبدّ على بقية الشورى، وعلى جماعة المسلمين، من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه (عام الجماعة) وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما ربّنا، حتى ردّ قضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رداً مكشوفاً، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفرائس وما يجب للعاهر، مع إجماع الأمة على أن سمية لم تكن لأبي سفيان فراشا، وإنّا كان بها عاهراً، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفّار... فهذه أول كفره كانت من الأمة، وعلى أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره.

عليه السلام على منابر المسلمين، ولا غضاضة علينا لو لعناهم لعناً صريحاً، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد لعنهم وذلك في الحديث الصحيح عنه عليه السلام قال:

(من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله أدخله الله نار جهنم وله عذاب عظيم)^(١) فأولئك اللعناء هم الذين كتب إليهم اللعين معاوية وإلى بقية عمّاله نسخة واحدة كما روى المدائني، فيألى قراءة ما رواه ابن أبي الحديد عن المدائني قال: وروى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر، يلعنون علياً وبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضمّ إليه البصرة، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كلّ حَجَر ومَدْر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسَمَل العيون، وصَلَبهم على جُذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألاّ يميزوا لأحدٍ من شيعة علي وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٣٠ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح وغير أبي عبد الله الجدي وهو ثقة. وللمزيد من الوقوف على المصادر راجع كتابنا عليّ إمام البررة ١: ١٦٠ — ١٦٤.

ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدثوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعّلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشاعوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلّمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا مَنْ قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فاحموه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفّع ذلك بنسخة أخرى: مَنْ اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدّموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى إنّ الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه مَنْ يثق به، فيدخل بيته، فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتُمَنَّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القراء المراءون، والمستضعفون، الَّذِينَ يظهرون الخشوع والنُّسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الَّذِينَ لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما روهها، ولا تدينّوها.

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، ووليّ عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك

والصلاح والدين ببغض عليّ وموالاة أعدائه، وموالاة مَنْ يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغصّ من عليّ عليه السلام وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له حتى إنّ إنساناً وقف للحجّاج -- ويقال إنّ جد الأصمعي عبد الملك بن قريب -- فصاح به: أيّها الأمير إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجّاج، وقال: لطف ما تولّست به قد وليتكَ موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيام بني أمية، تقرباً إليهم بما يظنون أنّهم يُرغمون به أنوف بني هاشم.

هذا ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج نقلاً عن كتاب الأحداث للمدائني، وعقب عليه بما ذكره نفطويه في كتابه نحوه^(١). وقد أثار العجب حين ذكر بعد هذا إفتراءً عجيباً، وذلك حين طعن الشيعة في الصميم فبهتهم بأنهم أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل، وإن تعجب فعجب قوله في ما أورده في شرح النهج وإليك ذلك في النقطة.

(١) لقد ذكر أحمد أمين في فجر الإسلام كتاب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق ألاّ يميزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة كما مرّ أعلاه.

الثالثة: قال: فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث

واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم، حملهم على وضعها خصومهم مثل حديث (السطل) وحديث (الرمانة) وحديث غزوة البئر التي كان فيها الشياطين، كما زعموا بـ (ذات العلم) وحديث غسل سلمان الفارسي، وطبي الأرض، وحديث الجمجمة، ونحو ذلك. فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو (لو كنت متخذاً خليلاً)، فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء، ونحو سدّ الأبواب فإنه كان لعليّ عليه السلام فقلبته البكرية إلى أبي بكر، ونحو (اتتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان). ثم قال: (يا أيُّ الله تعالى والمسلمون إلّا أبا بكر)، فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه: (اتتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلّون بعده أبداً)، فاختلفوا عنده. وقال قوم: منهم: لقد غلبه الوجد، حسبنا كتاب الله، ونحو حديث: (أنا راضٍ عنك فهل أنت عني راضٍ!)، ونحو ذلك. فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، فوضعوا حديث الطوق الحديد الذي زعموا أنه قتله في عُتق خالد، وحديث اللوح الذي زعموا أنه كان في غدائر الحنفية أم محمد، وحديث: (لا يفعلن خالد ما أمر به)، وحديث الصحيفة التي علقت عام الفتح بالكعبة، وحديث الشيخ الذي سعد

المنبر يوم بويع أبو بكر، فسبق الناس إلى بيعته، وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم، وعلى أدون الطبقات فيهم، فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في عليّ وفي ولديه، ونسبوه تارة إلى ضعف العقل، وتارة إلى ضعف السياسة، وتارة إلى حبّ الدنيا والحرص عليها. ولقد كان الفريقان في غنية عمّا اكتسباه واجترأه، ولقد كان في فضائل عليّ عليه السلام الثابتة الصحيحة، وفضائل أبي بكر المحقّقة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية لهما، فإنّ العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوي والمقابح.

ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحبّ العصبية وأن يجرينا على ما عودنا من حبّ الحقّ أين وجد وحيث كان، سخط بذلك من سخط، ورضي به من رضي بمنّه ولطفه^(١).

وبهذا الدعاء ختم ابن أبي الحديد كلامه وبلغ مرامه، ونحن أيضاً ندعو بدعائه، ولا نطيل الوقوف عند كلامه، وحسبنا أن أرينا القارئ تناقضه، فبينما هو قد ذكر أولاً عن المدائني أنّ معاوية هو الذي حمل الناس على الكذب في الفضائل وكتب إلى عمّاله نسخة واحدة...، وذكر من قهره واستذلّاه للشيعة وقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، إذا به يرمي الشيعة بأنّهم هم أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل! إنّه أمر عجيب ومريب!

(١) شرح النهج ١١: ٤٨ — ٥٠.

ولما كان قد شرح كلاماً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر. ونحن نرضى بما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، فهو الحكم الفصل الذي ينير لنا السبيل في تمييز الطيب من الخبيث، والخبر الصادق من الكاذب في الحديث، فيلى قراءة ذلك، ونستتبعه بقراءة ما شرح به ابن أبي الحديد، ليتضح لنا، كيف نتعامل مع مرويات الأحاديث النبوية، فضلاً عن مرويات التاريخ التي عراها من الدوافع السياسية ما عراها.

النقطة الرابعة: صفحات من شرح نهج البلاغة

الأصل: ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال عليه السلام: إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمُنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَمّاً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)). وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَاسِمٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأَاهُ، وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عليه السلام، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ، وَالِدُعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ

وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا
النَّاسَ مَعَ الْمُلُوكِ وَالذُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَبُهِتَ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ
كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَزْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَوْ
عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ
سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمُنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ،
فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَأَخْرَجَ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ، خَوْفاً لِلَّهِ،
وَتَعْظِيماً لِلرَّسُولِ اللَّهِ، وَلَمْ يَهْمُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ،
لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمُنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ،
وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ،
فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ بِهِ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَحْمِلُهُ السَّمِيعُ،
وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيَجِئُونَ أَنْ يَجِئَ
الْأَعْرَابِيُّ أَوْ الطَّارِيءُ، فَيَسْأَلُهُ ﷺ حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِمِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا
سَأَلَتْ عَنْهُ وَحَفِظَتْهُ.

فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

الشرح : الكلام في تفسير الألفاظ الأصولية، وهي العام والخاص، والناسخ والمنسوخ، والصدق والكذب، والمحكم والمتشابه، موكول إلى فن أصول الفقه، وقد ذكرناه فيما أمليناه من الكتب الأصولية، والإطالة بشرح ذلك في هذا الموضع مستهجن .

قوله عليه السلام : (وحفظاً ووهماً) الهاء مفتوحة، وهي مصدر وَهَمْتُ، بالكسر، أَوْهَمُ، أي غلطت وسهوت، وقد روى : (وَهْمًا) بالتسكين، وهو مصدر وَهَمْتُ بالفتح أَوْهَمُ، إذا ذهب وَهْمُكَ إلى شئ وأنت تريد غيره، والمعنى متقارب . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (فليتوبوا مقعده من النار) كلامٌ صيغته الأمر، ومعناه الخبر، كقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا^(١)﴾ وتبوات المنزل : نزلته، وبواته منزلاً : أنزلته فيه .

والتأثم : الكفّ عن موجب الإثم، والتحرّج مثله، وأصله الضيق، كأنه يضيق على نفسه . ولقّف عنه : تناول عنه، وجنب عنه : أخذ عنه جانباً .

و (إن) في قوله : (حتى إن كانوا ليحبّون) مخففة من الثقيلة، ولذلك جاءت اللام في الخبر . والطارئ ، بالهمز : الطالع عليهم، طراً أي طلع، وقد روى : (عللهم)، بالرفع عطفاً على (وجوه)، وروى بالجرّ عطفاً على (اختلافهم).

(١) مريم : ٧٥ .

[ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاة محمد ﷺ]

واعلم ان هذا التقسيم صحيح، وقد كان في أيام الرسول ﷺ منافقون، وبقوا بعده، وليس يمكن أن يقال: إن النفاق مات بموته، والسبب في استتار حالهم بعده أنه ﷺ كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فإنه مشحون بذكرهم، ألا ترى أن أكثر ما نزل بالمدينة من القرآن مملوء بذكر المنافقين، فكان السبب في انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هو القرآن، فلما انقطع الوحي بموته ﷺ لم يبقَ من ينعى عليهم سقطاتهم ويوبخهم على أعمالهم، ويأمر بالحدّ منهم، ويجارهم تارة، ويجاملهم تارة، وصار المتولّى للأمر بعده يحولّ الناس كلّهم على كاهل المجاملة، ويعاملهم بالظاهر، وهو الواجب في حكم الشرع والسياسة الدنيوية، بخلاف حال الرسول ﷺ فإنه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف، ألا ترى أنه قيل له: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾^(١)! فهذا يدلّ على أنه كان يعرفهم بأعيانهم، وإلاّ كان النهي له عن الصلاة عليهم تكليف ما لا يطاق، والوالي بعده لا يعرفهم بأعيانهم، فليس مخاطباً بما خُوطب به ﷺ في أمرهم، ولسكوت الخلفاء عنهم بعده حمّل ذكرهم، فكان قُصارى أمر المنافق أن يُسرّ ما في قلبه، ويعامل المسلمين بظاهره، ويعاملونه بحسب ذلك. ثمّ فتحت عليهم البلاد، وكثرت الغنائم، فانشغلوا بها عن الحركات التي كانوا يعتمدونها أيام رسول الله، وبعثهم الخلفاء مع

الأمراء إلى بلاد فارس والروم، فألهتهم الدنيا عن الأمور التي كانت تُنقَمُ منهم في حياة رسول الله ﷺ، ومنهم مَنْ استقام اعتقاده، وخلصت نيته، لما رأوا الفتوح وإلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمة، والكنوز الجليلة إليهم، فقالوا: لو لم يكن هذا الدين حقاً لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه. وبالجملة لما تَرَكُوا تَرَكُوا، وحيث سَكِتَ عنهم سَكَتُوا عن الإسلام وأهله، إلّا في دنية خفيّة يعملونها، نحو الكذب، الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه خالط الحديث كذبٌ كثيرٌ، صدر عن قومٍ غير صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلال وتخبيط القلوب والعقائد، وقَصَدَ به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيوي. وقد قيل: إنّه افتُعل في أيام معاوية خاصّة حديث كثير على هذا الوجه، ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيراً من هذه الأحاديث الموضوعة، ويَبْنُوا وضعها، وأنّ رواها غير موثوق بهم، إلّا أنّ المحدثين إنّما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة، ولا يتجاسرون في الطعن على أحدٍ من الصحابة لأنّ عليه لفظ (الصحبة) على أنّهم قد طعنوا في قومٍ لهم صُحبة كبسر بن أرطاة وغيره.

فإن قلت: من هم أئمة الضلالة، الذين يتقرّب إليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله ﷺ، وصحبوه للزور والبهتان؟ وهل هذا إلّا تصريح بما تذكره الإمامية، وتعتقده!

قلت: ليس الأمر كما ظننت وظنّوا، وإنّما يعني معاوية وعمرو بن العاص ومَن شايعهما على الضلال، كالخبر الذي رواه مَن رواه في حقّ معاوية: (اللّهُمَّ قِهِ العذاب والحساب، وعَلِّمَهُ الكتاب)، وكرواية عمرو بن العاص تقرباً إلى قلب معاوية: (إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين)، وكرواية قوم في أيام معاوية أخباراً كثيرة من فضائل عثمان، تقرباً إلى معاوية بها، ولسنا نجحدُ عثمان وسابقتها، ولكنّا نعلم أنّ بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، كخبر عمرو بن مرّة فيه وهو مشهور، وعمرو بن مرّة مَن له صحبة، وهو شامي.

[ذكر بعض ما مني به آل البيت من الأذى والاضطهاد]

وليس يجب من قولنا: إنّ بعض الأخبار الواردة في حقّ شخص فاضل مفتعلة أن تكون قاذحة في فضل ذلك الفاضل، فإنّا مع اعتقادنا أنّ عليّاً أفضل الناس، نعتقد أنّ بعض الأخبار الواردة في فضائله مفتعل ومختلق.

وقد روي أنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس! إنّ رسول الله ﷺ قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثمّ تداولتها قريش، واحدٌ بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحبُ الأمر

في صعود كئود، حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعُوهده ثم غدر به، وأسلم،
 ووُثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره،
 وعولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل
 بيته، وهم قليل حق قليل. ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون
 ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثم لم نزل -
 أهل البيت - نُستذل ونُستضام، ونُقصى ونُمتهن، ونُحرم ونُقْتل،
 ونُخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون
 لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال
 السوء في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنا
 ما لم نقله وما لم نفعله، لِيُبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن
 معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي
 والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نهب
 ماله، أو هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد، إلى زمان عبيد الله بن
 زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته، وأخذهم بكل
 ظنّة وتهمة، حتى إنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن
 يقال: شيعة عليّ، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعلّه يكون ورعاً
 صدوقاً - يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف
 من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت، وهو
 يحسب أنّها حقٌّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذبٍ ولا بقلة ورع.

قلت: ولا يلزم من هذا أن يكون عليّ عليه السلام يسوءه أن يذكر الصحابة والمتقدمون عليه بالخير والفضل، إلا أن معاوية وبني أمية كانوا يبنون الأمر من هذا على ما يظنون في عليّ عليه السلام من أنه عدو من تقدم عليه، ولم يكن الأمر في الحقيقة كما يظنونه، ولكنه كان يرى أنه أفضل منهم، وأنهم استأثروا عليه بالخلافة من غير تفسيق منه لهم، ولا براءة منهم.

فأما قوله عليه السلام: (ورجل سمع من رسول الله شيئاً ولم يحفظه على وجهه فوهم فيه)، فقد وقع ذلك. وقال أصحابنا في الخبر الذي رواه عبد الله بن عمر إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه: إن ابن عباس لما روي له هذا الخبر، قال: ذهل ابن عمر، إنما مرّ رسول الله ﷺ على قبر يهودي، فقال: إن أهله ليكون عليه، وإنه ليعذب.

وقالوا أيضاً: إن عائشة أنكرت ذلك، وقالت: ذهل أبو عبد الرحمن، كما ذهل في خبر قليب بدر، إنما قال عليه السلام: (إنهم ليكون عليه، وإنه ليعذب بجرمه).

قالوا: وموضع غلطه في خبر القليب أنه روى أن النبي ﷺ وقف على قليب بدر، فقال: (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟) ثم قال: (إنهم يسمعون ما أقول لهم)، فأنكرت عائشة ذلك، وقالت: إنما قال: (إنهم

يعلمون أنّ الذي كنت أقوله لهم هو الحقّ)، واستشهدت بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾^(١).

فأمّا الرجل الثالث، وهو الذي يسمع المنسوخ ولم يسمع الناسخ، فقد وقع كثيراً، وكتب الحديث والفقه مشحونة بذلك، كالذين أباحوا لحوم الحُمُر الأهلية لخبر رَوَّوه في ذلك، ولم يرووا الخبر الناسخ.

وأما الرجل الرابع فهم العلماء الراسخون في العلم.

وأما قوله عليه السلام: (وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان)، فهذا داخلٌ في القسم الثاني وغير خارج عنه، ولكنّه كالتنوع من الجنس، لأنّ الوهم والغلط جنس تحته أنواع.

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مخصوصاً من دون أصحابه رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله ﷺ، لا يطلع أحدٌ من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عن معاني القرآن وعن معاني كلامه ﷺ، وإذا لم يسأل ابتدأه النبي ﷺ بالتعلم والتثقيف، ولم يكن أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ كذلك، بل كانوا أقساماً، فمنهم من يهابه أن يسأله، وهم الذين يحبّون أن يجيئ الأعرابي أو الطارئ فيسأله وهم يسمعون، ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمّة في النظر والبحث، ومنهم من كان مشغولاً عن طلب العلم وفهم المعاني، إمّا

بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلّد الذي يرى أنّ فرضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشّانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيّع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه، وأنضاف إلى الأمر الخاصّ بعليّ ؑ ذكاؤه وفطنته، وطهارة طينته، وإشراق نفسه وضوؤها، وإذا كان المحلّ قابلاً متهيئاً، وكان الفاعل المؤثر موجوداً، والموانع مرتفعة، حصل الأثر على أتمّ ما يمكن، فلذلك كان عليّ ؑ - كما قال الحسن البصري - ربانيّ هذه الأمة وذا فضلها، ولذا تسميه الفلاسفة: إمام الأئمة وحكيم العرب.

انتهى ما في شرح النهج لابن أبي الحديد وبه تمام الباب الأول.

الباب الثاني

في الصديقية ومن هو أحق بها
وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: في صديقية فاطمة الزهراء عليها السلام

بعد تمهيد في معنى الصديقية وبعضه مستل من كتابنا (عليّ إمام البررة) مع ما أضيف إليه، قلنا في الكتاب المذكور:

الفضيلة الثالثة: وهي كونها (صديقة)، ومعنى الصديق والصديقة هو من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، فوافق قوله فعله، وطابق ظاهره باطنه، ومنزلته دون النبيّ وفوق الشهداء والصالحين، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١).

قال الآلوسي في تفسير الآية المذكورة في (روح المعاني): فالمنازل أربعة، بعضها دون بعض.

الأولى: منازل الأنبياء: وهم الذين تمدّهم قوّة إلهية، وتصحبهم نفس في أعلى مراتب القدسية، ومثلهم كمن يرى الشئ عياناً من قريب، ولذلك قال تعالى في صفة نبيّنا صلى الله عليه (وآله) وسلم: ﴿أَقْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾^(٢).

والثاني: منازل الصديقين: وهم الذين تأخروا عن الأنبياء عليهم السلام في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشئ عياناً من بعيد، وإياه عنى عليّ كرم الله

(١) النساء: ٦٩.

(٢) النجم: ١٢.

وجهه حيث قيل له: هل رأيت الله تعالى؟ فقال: ما كنت لأعبد ربّاً لم أره. ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

والثالث: منازل الشهداء: وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين، ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب، كحال من قال: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. وإياه قصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: أعبد الله كأنك تراه.

والرابع: منازل الصالحين: وهم الذين يعلمون الشيء بالتقليد الجازم، ومثلهم كمن يرى الشيء من بعيد في مرآة، وإياه قصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قاله الراغب، ونقله الطيبي وغيره^(١).

وإذا عرفنا معنى الصديقية، وأنها مساوقة في الكمال المتناهي في النبوة، إلا أنها دونها في الرتبة، مع فارق آخر هو أن النبوة والرسالة لا تكون إلا في الرجال، لأن مبناها الدعوة والظهور، والنساء هن الصون، وعليهن الحجاب، فلم تكن هن رسالة ولا فيهن نبوة، وإن ذهب بعضهم فأغرب وقال بنبوة مريم عليها السلام بل وغيرها، ورد ذلك عليه كما هو الحق.

(١) روح المعاني ٥: ٦٨ ط المنيرية.

وما تخيل ذلك إلا من مخاطبة الوحي لها بالاصطفاء والاجتباء والتطهير، ولم يدرك أن ذلك يحصل للصديقين أيضاً كما يحصل للأنبياء ﷺ فقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) لا يدل على نبوتها، ولا غيره من خطاب روح الله القدس لها ومن حال اختصاصها به، إنما كان ذلك تكريماً لها، وإعراباً عن مكانتها الصديقية، كما سماها بذلك في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ هُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢). فسماها الله تعالى صديقة، ولم يسمها رسولاً كما سمى ابنها المسيح عيسى ﷺ.

فالصديقية مقام سام في الكمال لا يناله إلا من اختصه الله بفضله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

ولأجل هذا كانت فاطمة الزهراء ﷺ أفضل من مريم ﷺ، لأنها كانت صديقة أيضاً، لاصطفاء الله تعالى لها مع أبيها وبعليها وابنائها، الذين خصّهم بالتطهير، فعصمهم من كل رجس، وطهرهم تطهيراً.

وعلى ذلك كافة الشيعة وجمهرة كبيرة من أعلام المسلمين من غيرهم، مستدلين بالآية الكريمة، وقد مرّ الكلام فيها، ومؤكدين ذلك

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) المائدة: ٧٥.

بالحديث النبوية الشريفة، نحو قوله ﷺ لعليّ عليه السلام: أوتيت ثلاثاً لم يؤتَهنَّ أحد ولا أنا: صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي، ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أوت من صلبي مثلها، ولكنكم مني وأنا منكم^(١). فسمّاها رسول الله ﷺ (صديقة)، كما أنّه شبهها بمريم عليها السلام بقوله ﷺ لها في حديث الجفنة: الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيّدة نساء بني إسرائيل.

فلنقرأ الحديث كما أخرجه الزمخشري والنظام النيسابوري وابن كثير في تفاسيرهم عن أبي يعلى بسنده عن جابر، واللفظ للآخر:

وقال الحافظ أبو يعلى: حدّثنا سهل بن زنجلة، حدّثنا عبد الله بن صالح، حدّثنا عبد الله بن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شقّ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً. فأتى فاطمة فقال: يا بنية هل عندك شيء آكله، فإني جائع؟ قالت: لا والله بأبي أنت وأمي. فلمّا خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعت في جفنة لها، وقالت: والله لأؤثرنّ بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفسي ومن عندي. وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة طعام، فبعثت حسناً أو حسيناً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فرجع إليها فقالت: بأبي أنت وأمي، قد أتى الله بشيء

(١) الرياض النضرة للمحب الطبري ٢: ٢٠٢ نقلاً عن أبي سعيد في شرف النبوة.

فخبأته لك. قال: هلمي يا بُنية. قالت: فأتيته بالجفنة، فكشفت عنها فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرت إليها بهتُ، وعرفت أنها بركة من الله، فحمدتُ الله وصليتُ على نبيّه، وقدمته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآه حمد الله وقال: من أين لك هذا يا بُنية؟ قالت: يا أبت ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١). فحمد الله وقال: الحمد لله الذي جعلك يا بُنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً وسُئلت عنه قالت: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ، ثم أكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم، وأكل عليّ وفاطمة وحسن وحسين، وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم وأهل بيته حتى شبعوا جميعاً. قالت: وبقيت الجفنة كما هي. قالت: فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً^(٢).

وروى الكرامة هذه الصابوني في تفسيره نقلاً عن ابن كثير في تفسيره، ثم قال: والقصة مشهورة^(٣).

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري ١: ٣٢١. تفسير النظام النيسابوري (بهامش تفسير الطبري ٣: ١٨٣ ط

المينية). تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٣٦٠.

(٣) تنوير الأذهان ١: ٢٣٧ — ٢٣٨.

أقول: ولم يقتصر ابن كثير على إيرادها في تفسيره فحسب، بل أوردتها في تاريخه نقلاً عن الحافظ أبي يعلى، لكنه هناك لم يستسغ أن يمرّ حديث الجفنة دون غمز، فقال: وهذا حديث غريب إسناداً ومتناً^(١).

وقد ذكر بعده عدة أحاديث عن سمرة بن جندب وغيره فيها ظهرت بركة الرسول ﷺ في شبه ذلك من تكثير الطعام في قصة بيت الصديق أو غيره، فلم يستغرب ذلك لا سنداً ولا متناً، وكأنّ بركة الرسول ﷺ كانت تعم سائر الناس إلّا أهل بيته؟! فالله المستعان. ولا نقول فيه شيئاً إلّا ما قاله الخطيب الشربيني وقد ذكر القصة في تفسيره (السراج المنير)، فقال بعدها: (فهذه كرامة لفاطمة عليها السلام)^(٢)، ويقول الصابوني: (والقصة مشهورة)، وليقل ابن كثير ما يقول.

الفضيلة الرابعة والخامسة: وهي كونها عليها السلام طاهرة ومعصومة، ولا نطيل المقام في استيعاب ما ورد في ذلك، وبيننا كتاب الله تعالى يغنياً بواضح بيانه وبَيِّنَاتِهِ، وحسبنا منه آية من آياته، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٣).

فهذه الآية الكريمة دالة على طهارة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم من درن الأرجاس، وقد سبق لنا أن ذكرنا مفصلاً ما يتعلق بها، وشأن نزولها،

(١) تاريخ ابن كثير ٦: ١١١.

(٢) السراج المنير ١: ١٧٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

وفيمن نزلت، وأردفناها بأحاديث نبوية وآثار صحابية تغنيا عن التكرار، فمن ابتغى المزيد والاستكثار فليرجع إلى هذا، ففيه الكفاية وبلوغ الغاية.

بقي علينا أن نختم الكلام في المقام بعرض أقوال الأعلام من أئمة السنة والتفسير والكلام في المفاضلة بين كل من النساء الأربع، وبينهن وبين عائشة، وفي ذلك مسك الختام.

١ - قال الخازن في تفسيره بعد ذكره حديث الكمال ملحقاً بحديث الثريد نقلاً عن ابن ماجة، فعقب عليه بقوله:

وليس في هذا تصريح بتفضيلها - يعني عائشة - على مريم وآسية، لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون. أخرجه الترمذي^(١).

٢ - وقال الخطيب الشربيني في تفسيره (السراج المنير): (فائدة): أفضل نساء العالمين مريم كما في الآية، إذ قيل بنبوتها، ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم خديجة أمها، ثم عائشة، ثم آسية امرأة فرعون. فإن قيل: روى الطبراني: خير نساء العالمين: مريم بنت عمران،

(١) تفسير الخازن ١: ٢٣.

ثمّ خديجة بنت خويلد، ثمّ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم،
ثمّ آسية امرأة فرعون.

أُجيب: بأنّ خديجة إنّما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار
السيادة. أهـ^(١).

أقول: لقد أغفل تقدير السؤال والجواب عن تفضيله عائشة على آسية،
مع أنّها لم يرد ذكرها في حديث الطبراني ضمن النساء اللاتي هن خير نساء
العالمين.

٣ - وقال ابن جزي في تفسيره (التسهيل) في تفسير آية اصطفاء مريم
في سورة آل عمران، آية ٤٢: يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصاً
بأن وهب لها - يعني مريم - عيسى من غير أب، فيكون ﴿عَلَى نِسَاءِ
الْعَالَمِينَ﴾ عاماً، أو يكون الاصطفاء عاماً، فيخص من نساء العالمين خديجة
وفاطمة، أو يكون المعنى: على نساء زمانها. وقد قيل بتفضيلها على
الإطلاق، وقيل: إنّها كانت نبية لتكليم الملائكة لها. أهـ^(٢).

٤ - وقال الشوكاني في تفسيره (فتح القدير): وقد ثبت في الصحيحين
وغيرهما من حديث عليّ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول: خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت
خويلد. وأخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله

(١) السراج المنير ١: ١٧٦ ط الخيرية.

(٢) التسهيل ١: ١٠٦ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٥ هـ.

صَلَّى الله عليه (وآله) وسلم: أفضل نساء العالمين: خديجة وفاطمة ومريم وآسية امرأة فرعون.

وأخرج ابن مردويه عن أنس مرفوعاً نحوه، وأخرج أحمد نحوه، والترمذي وصححه، وابن المنذر وابن حبان والحاكم من حديثه مرفوعاً. وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه (وآله) وسلم: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. وفي المعنى أحاديث كثيرة كلّها تفيد أنّ مريم سيّدة نساء عالمها، لا نساء جميع العالم، ويؤيّده ما أخرجه ابن عساکر عن مقاتل عن الضحاک عن ابن عباس عن النبیّ صَلَّى الله عليه (وآله) وسلم، قال: أربع نسوة سادات نساء عالمهن: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وأفضلهنّ عالماً فاطمة^(١).

٥ - وقال الصابوني في تفسيره (تنوير الأذهان): وعن النبيّ ﷺ: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). وإنّا شُبّهت عائشة بالثريد لأنّ العرب كانوا لا يؤثرون على الثريد شيئاً...

(١) فتح القدير ١: ٣٠٩. وفي ط مصر أفست دار المعرفة بيروت ١: ٣٤٠.

واستمر في بيان فضل الثريد وأوجه التشابه بين عائشة وبين الثريد، إلى أن قال: لكن الكمال المطلق إنما هو لفاطمة الزهراء عليها السلام كما دلّ عليه الحديث المذكور^(١).

٦- وقال الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) بعد إيراد معاني اصطفاء مريم عليها السلام، وما قيل في تفضيلها على سائر نساء العالمين، وما استدللّ به على أفضليّتها بعد خديجة وفاطمة عليها السلام، قال: والذي أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدّمات والمتأخرات من حيث إنّها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ومن حيثيات أخر أيضاً، ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة، لجواز أن يراد بها أفضليّة غيرها عليها من بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات، وبه يجمع بين الآثار، وهذا سائغ على القول بنبوة مريم أيضاً، إذ البضعية من روح الوجود وسيّد كلّ موجود لا أراها تقابل بشيء، وأين الثريا من يد المتناول؟

ومن هنا يعلم أفضليّتها على عائشة عليها السلام الذاهب إلى خلافها الكثير، محتجين بقوله: صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: (خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، وبأنّ عائشة يوم القيامة في الجنّة مع زوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وفاطمة يومئذٍ فيها مع

(١) تنوير الأذهان ٤: ٣٦٠ — ٣٦١.

زوجها عليّ كرم الله تعالى وجهه، وفرق عظيم بين مقام النبيّ صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم، ومقام عليّ كرم الله تعالى وجهه^(١).

(١) قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٧: ٢٥٨ في شرحه وتعقيبه على حديث الكمال المقصور على ذكر آسية ومريم، والمذيل بحديث الثريد كما رواه البخاري وقد مرّ في المورد الأوّل من موارد الحديث عنه، فراجع.

قال ابن حجر: استدلل بهذا الحصر على أنّها نبيّتان، لأنّ أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثمّ الأولياء ثمّ الصديقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيّتين للزم ألا يكون في النساء وليّة ولا صديقة ولا شهيدة، والواقع أنّ هذه الصفات في كثير منهن موجودة، فكأنّه قال: (ولم يبنّا من النساء إلاّ فلانة وفلانة). ولو قال: (لم تثبت صفة الصديقية أو الولاية أو الشهادة إلاّ لفلانة وفلانة) لم يصحّ، لوجود ذلك في غيرهن، إلاّ أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء، فلا يتمّ الدليل على ذلك لأجل ذلك، والله أعلم. وعلى هذا فالمراد من تقدّم زمانه صلى الله عليه (وآله) وسلم، ولم يتعرّض لأحد من نساء زمانه إلاّ لعائشة، وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة عليها السلام على غيرها، لأنّ فضل الثريد على غيره من الطعام إنّما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة، وكان أجلّ أطعمتهم يومئذ، وكلّ هذه الحصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كلّ جهة، فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى، وقد ورد في هذا الحديث من الزيادة من قوله: ((ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد)) أخرجه الطبراني عن يوسف بن يعقوب القاضي عن عمرو بن مرزوق عن شعبة بالسند المذكور هنا — يعني في صحيح البخاري —، وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمرو بن مرة أحد رواة الطبراني هذا الإسناد، وأخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عمرو بن مرزوق به، وقد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة على غيرهما، وذلك فيما سيأتي في قصة مريم من حديث عليّ بلفظ: ((خير نساها خديجة))، وجاء في طريق أخرى ما يقتضي أفضلية خديجة وفاطمة، وذلك فيما أخرجه ابن حبان وأبو يعلى والطبراني وأبو داود في كتاب الزهد والحاكم، كلّهم من طريق موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: ((أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون))، وله شاهد من حديث أبي هريرة في الأوسط

قال: وأنت تعلم ما في هذا الاستدلال، وآته ليس بنص على أفضلية الحميراء على الزهراء.

أما أولاً: فلأنّ قصارى ما في الحديث الأوّل على تقدير ثبوته إثبات أنّها عالمة من حيث يؤخذ منها ثلثا الدين، وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعته عليه الصلاة والسلام، ولعلمه صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أنّها لا تبقى بعده زمناً معتداً به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك، ولو علم لربّما قال: (خذوا كلّ دينكم عن الزهراء)، وعدم القول في حقّ من دلّ العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليّته، وإلاّ لكانت عائشة أفضل من أبيها رضي الله تعالى عنه، لأنّه لم يرو عنه في الدين إلّا قليل، لقلة لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم.

على أنّ قوله عليه الصلاة والسلام: (إني تركت فيكم الثقلين: كتاب الله تعالى وعترتي، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض)، يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى، كيف لا، وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيّدة تلك العترة.

وأما ثانياً: فلأنّ الحديث الثاني معارض بما يدل على أفضليّة غيرها رضي الله تعالى عنها عليها، فقد أخرج ابن جرير عن عمّار بن سعد أنّه

للطبراني، وأحمد في ٤- حديث أبي سعيد رفعه: ((فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة إلّا ما كان من مريم بنت عمران))، وإسناده حسن.

قال: قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم: فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، بل هذا الحديث أظهر في الأفضلية، وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف، لأن ذلك الخبر وإن كان ظاهراً في الأفضلية لكنه قيل - ولو على بُعد - : إن (أل) في (النساء) فيه للعهد، والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الإخبار، ولم يقل مثل ذلك في هذا الحديث.

وأما ثالثاً: فلأن الدليل الثالث يستدعي أن يكون سائر زوجات النبي صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، لأن مقامهم بلا ريب ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم، فلو كانت الشركة في المنزل مستدعية للأفضلية لزم ذلك قطعاً، ولا قائل به.

ثم قال: وبعد هذا كله، الذي يدور في خلدي أن أفضل النساء فاطمة، ثم أمها، ثم عائشة، بل لو قال قائل: (إن سائر بنات النبي صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أفضل من عائشة)، لا أرى عليه بأساً، وعندى بين مريم وفاطمة توقف، نظراً للأفضلية المطلقة، وأما بالنظر إلى الحيثية فقد علمت ما أميل إليه.

ثم قال: وقد سُئل الإمام السبكي عن هذه المسألة، فقال: الذي نختاره وندين الله تعالى به أن فاطمة بنت محمد صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم أفضل من أمها ثم عائشة.

ووافقه على ذلك البلقيني، وقد صحح ابن العماد أن خديجة أيضاً أفضل من عائشة، لما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال لعائشة حين قالت: قد رزقك الله خيراً منها. فقال لها: (لا والله ما رزقني الله تعالى خيراً منها، آمنت بي حين كذّبي الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس)، وأيد هذا بأن عائشة أقرأها السلام النبي صلى الله تعالى عليه (وآله) وسلم من جبريل، وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربّها.

ثم قال: وبعضهم لما رأى تعارض الأدلة في هذه المسألة توقّف فيها، وإلى التوقّف مال القاضي أبو جعفر الأستروشنى منا. وذهب ابن جماعة إلى أنه المذهب الأسلم (!؟).

وأشكّل ما في هذا الباب حديث الثريد، ولعلّ كثرة الأخبار الناطقة بخلافه تهون تأويله، وتأويل واحد لكثير أهون من تأويل كثير لواحد، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل. أه^(١).

٧ - وأخرج الموفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن عبيد الله القواريري، قال: اختلف أصحابنا - يعني يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي -

(١) روح المعاني ٣: ١٣٧ ط المطبعية.

في عائشة وفاطمة أيهما أفضل؟ فأرسلوني إلى عبد الله بن داود الخريبي، فسألته فقال: أما فاطمة فإنّ النبي ﷺ قال: (إنّما فاطمة بضعة منّي)، ولم أكن أفضل على بضعة من رسول الله أحداً^(١).

٨ - وقال السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي) في مسألة المفاضلة بين فاطمة وعائشة: وأما أيهما أفضل فتلاثة مذاهب: أصحّها أنّ فاطمة عليها السلام أفضل^(٢).

٩ - وقال القاضي زكريا الأنصاري الشافعي في (شرح البهجة) في زوجاته عليهن السلام: وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضلهما خلاف، صحّ ابن العماد تفضيل خديجة، لما ثبت من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة حين قالت له: قد رزقك الله خيراً منها: لا والله ما رزقني خيراً منها... الحديث، وعائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل من ربّها السلام على لسان محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فهي أفضل.

قيل له: من أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: (بضعة منّي)، فلا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً، وعليه فهي أفضل أيضاً من عائشة^(٣).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١١٢ ط دار أنوار الهدى في قم سنة ١٤١٨ هـ.

(٢) شرح ثلاثيات أحمد ٢: ٥١٠ ط المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٣٨٠ هـ.

(٣) المصدر السابق.

١٠ - وقال السبكي: الذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة بنت محمد أفضل من أمّها خديجة ثمّ عائشة^(١).

١١ - وقال ابن العماد: وإنّما فضلت خديجة على فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة.

١٢ - وقال الفقيه عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري في (بهجة المحافل): ومذهب المحقّقين أنّها - يعني خديجة - أفضل من عائشة، وأنّ فاطمة أفضل من الجميع^(٢).

وأقرّه على ذلك جمال الدين محمد الأشخر اليمنى في شرحه على ذلك، واستدل على صحّته بنحو ما مرّ عن القاضي زكريا الأنصاري.

١٣ - وحكى السهيلي في الروض الأنف ما قاله أبو بكر بن داود وقد سئل: عائشة أفضل أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربّها على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهي أفضل.

قيل له: فمن أفضل: خديجة أم فاطمة؟ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنّ فاطمة بضعة منّي)، فلا أعدل ببضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً.

(١) المصدر السابق.

(٢) بهجة المحافل ٢: ١٣٩.

قال السهيلي: وهذا استقراء حسن، ويشهد لصحة الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحلّه إلاّ رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فجاءت فاطمة لتحلّه، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: (إنما فاطمة بضعة منّي)، فحلّته، وقال: ويدل على تفضيل فاطمة قوله لنبيها لها: أمّا ترضين أن تكوني سيّدة نساء أهل الجنة إلاّ مريم، فدخل في هذا الحديث أمّها وأخواتها... ^(١) إلى آخر ما قال.

قال أبو بكر - أحمد بن عبد العزيز الجوهري - وحدّثني المؤمل بن جعفر قال: حدّثني محمّد بن ميمون عن داود بن المبارك، قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن الحسن، ونحن راجعون من الحجّ في جماعة فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال: كانت أمي صديقة بنت نبيّ مرسل، فماتت وهي غضبي على إنسان، فنحن غضاب لغضبها وإذا رضيت رضينا.

قال ابن أبي الحديد بعد روايته لما تقدم، قلت: قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد

(١) الروض الأنف ١: ١٦٠.

الحميد بن محمد بن عبد الحميد العلوي قال أنشدني هذا الشاعر -
وذهب عني اسمه -^(١) قال:

يا أبا حفص الهوينا وما كنت ملياً بذاك لولا
أتموت البتول غضبي ما كذا يصنع البنون
قال ابن أبي الحديد يخاطب عمر ويقول له: مهلاً رويداً يا عمر، أي
أرفق واثتد ولا تعنف بنا، وما كنت ملياً أي وما كنت أهلاً لأن تخاطب
بهذا وتستعطف، ولا كنت قادراً على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه

(١) شرح نهج البلاغة ٦: ٤٩ تحمّد أبو الفضل إبراهيم. أقول : وقد ذكر ابن أبي الرجال في مطلع البدور
٣: ٢٩٥ اسم الشاعر وهو عليّ بن حمزة بن وهاس وقال: ومن شعره ← البيتان السائران في آل محمّد
مسير الأمثال (يا أبا حفص الهوينا... إلى تمام البيت). وجاء في الهامش: وقد روى معناهما لكامل أهل
البيت والإمام القاسم بن إبراهيم (عليهم السلام) وهو قولها لمن سألمها عن قول أهل البيت في شأن
فاطمة الزهراء والمشاخ فقالا: كانت لنا أم صديقة ابنة صديق ماتت غضبانة ونحن غاضبون لغضبها،
وذكر أبو الفرج في مقاتل الطالبين ص ٣٦ — ٣٧ تحقيق صقر في ذكر العجوز الجرشيّة أكرم الناس أحماءً
فقال: وذكرها الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ فقال:

كانت الجرشيّة أكرم الناس أحماءً، ذكر رسول الله ﷺ وعليّاً وحمزة وجعفر والعباس، ولم يذكر أبا بكر،
وكان في مجلسه جماعة من ولده، فرأى ذلك قد شقّ عليهم فقال: وأبو بكر بعد سكوت طويل.
(أقول) وهذا بعض مظاهر الغضب التي أشار إليها عبد الله بن الحسن بن الحسن، ووافقه على ذلك
آخرون من بني فاطمة (عليها السلام)، وكذلك ينبغي لمن هو من ذريّتها، ومن لم يكن كذلك منهم فهو
يوالي عدوّها ويكون حرباً بقول شاعرهم:

إذا العلوي ناصباً علي رأي فما هو من أبيه
وكان الكلب خيراً منه طبعاً لأن الكلب طبع أبيه فيه

الذي ولجته عليها، لولا أنّ أباهما الذي كان بيتها يحترم ويصان لأجله مات فطمع فيها من لم يكن يطمع.

ثمّ قال: أغدت أمنا وهي غضبي ونرضى نحن؟! إذن لسنا بكرام، فإنّ الولد الكريم يرضى لرضى أبيه وأمه، ويغضب لغضبهما.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: والصحيح عندي أنّها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنّها أوصت أن لا يصلّيّا عليها^(١).

وروى الخوارزمي الحنفي في كتابه مقتل الحسين عليه السلام بسنده عن عائشة أنّها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله قالت: ما رأيت أحداً أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها^(٢)..

الصلاة والسلام على الصديقة

جاء في مصباح المتجهّد^(٣): (اللهم صلّ على الصديقة فاطمة الزكية حبيبة حبيبك ونبيك وأمّ أحبائك وأصفياك، التي انتجبتها وفضلتها وأخترتها على نساء العالمين.

اللهم كن الطالب لها ممن ظلمها واستخف بحقها، وكن الثائر - اللهم - بدم أولادها، اللهم وكما جعلتها أم أئمة الهدى، وحليّة صاحب

(١) نفس المصدر ٢: ٢٠ الطبعة الأولى بمصر.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ٥٦: ١ — ٥٧ ط الزهراء في النجف ١٣٦٧ هـ.

(٣) مصباح المتجهّد للشيخ الطوسي: ٤٠١ ط مؤسسة فقه الشيعة لبنان سنة ١٤١١ هـ.

اللواء، والكريمة عند الملاء الأعلى، فصلّ عليها وعلى أمها خديجة الكبرى، صلاة تكرم بها وجه أبيها محمد عليه السلام، وتقرّ بها أعين ذريتها، وأبلغهم عني في هذه الساعة أفضل التحية والسلام).

الإغارة على لقب الصديقة

لقد أغار رواة السوء تزلفاً لزعانف الحكم، فجعلوا من ألقاب السيدة عائشة (الصديقة) وسمّوها (الصديقة ابنة الصديق) وقد سمّى العقاد كتابه فيها بذلك، ولم يكن في ذلك بدعاً، فإن أبناء مذهبه، سمّوها قبله بذلك، فقد جاء في مغني المحتاج^(١): فقد قبل عليه السلام فاطمة، وقبل الصديق الصديقة... ومثله في حواشي الشرواني والعبادي^(٢).

وجاء في حاشية رد المختار لابن عابدين^(٣): قال في البحر: وينبغي أن من اعتقد مذهباً يكفر به: إن كان قبل تقدم الاعتقاد الصحيح فهو مشرك. وإن طرأ عليه فهو مرتد أهـ. وبهذا ظهر أن الرافضي إن كان ممن يعتقد الألوهية في عليّ، أو إن جبرئيل غلط في الوصي. أو كان ينكر صحبة الصديق، أو يقذف الصديقة فهو كافر لمخالفته القواطع المعلومة من الدين بالضرورة، بخلاف ما إذا كان يفضل عليّاً أو سب الصحابة،

(١) مغني المحتاج ٢: ١٣٣.

(٢) حواشي الشرواني والعبادي ٧: ٢٠٢.

(٣) حاشية رد المختار ٢: ٥٠.

فإنّه مبتدع لا كافر كما أوضحته في كتابي (تنبيه الولاة والحكّام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام). وجاء في كشف القناع للبهوتي^(١): (ووقفت عائشة) الصديقة بنت الصديق... (حائضاً بأمر النبي ﷺ).

فالآن إلى المبحث الثاني في صديقية عائشة

(١) كشف القناع للبهوتي ٥٧٥: ٢.

المبحث الثاني: في صديقية عائشة

إنَّ الباحث في أحاديث التراث السنِّي، لا يجد حديثاً واحداً مرفوعاً حتى ولو كان مكذوباً - تذكر فيه السيِّدة عائشة بأثما صديقة، وآتى يجد ذلك، وهذه دواوين الحديث والتراجم التي ذكرتها، لم يرد فيها شيء من ذلك، وإنَّما الذي نجده، هو أنَّ أحد الرواة عنها كان يقول: حدَّثني الصديقة ابنة الصديق، وذلك هو مسروق بن الأجدع فمن هو مسروق؟ هو مسروق بن الأجدع.. أبو عائشة الوداعي الهمداني الكوفي.. قال: لقيت عمر فقال: ما اسمك؟ فقلت: مسروق بن الأجدع، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن. قال الشعبي: فرأيت في الديوان^(١) مسروق بن عبد الرحمن وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ. وكانت عائشة قد تبنته فسَمَّى بنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئاً. وقالت له عائشة: يا مسروق إنَّك من ولدي، إنَّك لمن أحبهم إليّ...

وكان إذا قيل له: أبطأت عن عليّ وعن مشاهده فيقول: أرايتم لو أنَّه حين صفَّ بعضكم لبعض فتزل بينكم ملك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنََّّ

(١) الديوان: الكتاب الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء والعمال.

اللَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا»^(١) أكان ذلك حاجزاً لكم؟ قالوا: نعم، قال: فوالله لقد نزل ملك كريم على لسان نبيكم، وإنها لمحكمة ما نسخها شيء^(٢).

(أقول): وهذا نموذج من استدلال جهلة المتفهمة من النواصب، مع الإعراض عن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِي إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣).

وتجاهل لأقوال النبي ﷺ: (عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ) و (سلمك سلمى وحربك حربى).

ولولا خوف الإطالة لذكرت من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ما يكشف زيف مسروق في فهمه ودينه، ألم يكن هو الذي سأله عائشة من هو الذي قتل المخدج ذا الثدية، وقد لعنت عمرو بن العاص لأنه غشها في ذلك، وقد أخرج حديثه الحاكم في المستدرك^(٤)، والذهبي في تلخيصه بهامشه عن مسروق قال: قالت لي عائشة إني رأيت على تل وحولي بقر تنحر، فقلت لها: إن صدقت رؤياك لتكونن حولك ملحمة، قالت: أعوذ بالله من شرك، بئس ما قلت، فقلت لها فلعله إن

(١) النساء: ٢٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٨: ١٩٧ — ٢٠٥ ط الحانجي وسير أعلام النبلاء ١٠٢: ٥ — ١٠٦ ط دار الفكر.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) المستدرك ٤: ١٣.

كان أمراً سيسوؤك ، فقالت: والله لئن أخر من السماء أحب إليّ من أن أفعل ذلك ، فلمّا كان بعدُ، ذكر عندها أنّ عليّاً قتل ذا الثدية، فقالت: إذا أنت قدمت الكوفة فاكتب لي ناساً ممّن شهد ذلك ممّن تعرف من أهل البلد، فلمّا قدمت وجدت الناس أسباعاً، فكتبت لها من كلّ سبعة عشرة ممّن شهد ذلك، قال: فأتيتهما بشهادتهم فقالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنّه زعم لي أنّه قتله بمصر.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي على ذلك.

وفي شرح النهج للمعتزلي نقلاً عن كتاب صفين للمدائني عن مسروق أنّ عائشة قالت له لما عرفت أنّ عليّاً قتل ذا الثدية: لعن الله عمرو بن العاص، فإنّه كتب إليّ يخبرني أنّه قتله بالأسكندرية، إلّا أنّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ يقول: (يقتله خير أمّي من بعدي)^(١).

ولو أنّ مسروقاً تسامى عن نصبه، وتدانى من أبي حنيفة في فقهه لقال كقوله: (ما قاتل أحد عليّاً إلّا وعليّ أولى بالحقّ منه، ولولا ما سار عليّ فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين، ولا شك أنّ عليّاً إنّما قاتل

(١) شرح النهج للمعتزلي ١: ٢٠٢ ط مصر الأولى.

طلحة والزبير بعد أن بايعاه وخالفاه، وفي يوم الجمل سار عليّ فيهم بالعدل، وهو علّم المسلمين، فكانت السنّة في قتال أهل البغي^(١).

وليت مسروقاً وسّع فهمه فقال كما قال سفيان الثوري: (ما قاتل عليّ أحداً، إلّا كان عليّ أولى بالحقّ منه)^(٢).

وقد ذكرت مجموعة من أقوال أئمة المذاهب في الفقه والحديث والكلام في موسوعة ابن عباس كان من بينها قول ابن تيمية فقد ذكر في مجموع فتاواه^(٣): حديث (عَمَّا رَتَقْتُهُ الْفَتَى الْبَاغِيَةَ) فقال: (وهذا أيضاً يدل على صحّة إمامة عليّ ووجوب طاعته، وإنّ الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولاً - وهو دليل على أنّه لم يكن يجوز قتال عليّ، وعلى هذا فمقاتلته مخطئ - وإن كان متأولاً - أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليّاً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرّعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين).

ولا عجب من مسروق بعد هذا لو قرأناه يقول: كنت مع أبي موسى أيّام الحكمين، فسطاطي إلى جانبه، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا

(١) مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ٢: ٨٣ ط حيدرآباد، ومناقب أبي حنيفة للكردي بهامش المصدر السابق.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٧: ٣١.

(٣) فتاوى ابن تيمية ٤: ٤٣٧.

بمعاوية، فرفع أبو موسى رفر فسطاطه وقال: يا مسروق قلت: ليبيك قال: إنّ الإمارة ما أتمر فيها، وإنّ الملك ما غلب عليه بالسيف.

ولا غرابة في فقهه إنّهُ زوّج بنته السائب بن الأقرع على عشرة آلاف اشترطها لنفسه قال: جهز امرأتك من عندك وقال: جعلها في المجاهدين والمساكين والمكاتبين، وله في مصادر ترجمته، أخبار في صلاته وصيامه، وفيها أنّه كان قاضياً، ولا يأخذ على القضاء رزقاً، وقد عيب عليه تولي العمل لبني أمية؟ فقال: لم يدعني ثلاثة: زياد وشريح والشيطان حتى أوقعوني فيه^(١). وروى ابن سعد بسنده عن شقيق قال: كنت مع مسروق بالسلسلة سنتين... فسمعتة يقول: ما عملت عملاً قط أخوف عليّ من أن يدخلني النار من عملي هذا، وما بي أن أكون أصبت درهماً ولا ديناراً، ولا ظلمتُ مسلماً ولا معاهداً، ولكن ما أدري ما هذا الحبل^(٢) الذي لم يسنّه رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر. قال: قلت فما ردّك عليه وقد كنت تركته؟ قال: اكتنفتني زياد وشريح والشيطان فلم يزالوا يزيّنونه حتى أوقعوني فيه^(٣).

هذا بعض ما ذكره ابن سعد والذهبي في ترجمة مسروق، وقد زاد ابن سعد عن مدى علاقة مسروق بعائشة أنّه قال: (لولا بعض الأمر لأقمت

(١) طبقات ابن سعد ٨: ٢٠٤.

(٢) السلسلة التي تمّذ على النهر حيث تدفع العطايا — عن هامش الطبقات.

(٣) طبقات ابن سعد ٨: ٢٠٤ ط الحانجي.

على أم المؤمنين منحة^(١) فمن كان بهذه المثابة والتفجع بموت عائشة، لا يستغرب منه لو غالى فيها حين يحدث عنها فيقول: (حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة...)^(٢).

وفي معجم الطبراني: (حدثني المبرأة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله)، وفي لفظ آخر: (حدثني الصادقة بنت الصديق البريئة المبرأة بكذا وكذا...)^(٣). ولم أجد أي راو آخر عن عائشة ذكر لها مثل ذلك، وإذا ازددنا علماً بحال مسروق وأنه كان مناوئاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حتى ورد أنه وعبيدة السلماني وشريح القاضي وأبو وائل قالوا له: لئن فارقت سيرة الشيخين لنفارقنك، بل وذكر أن مسروق خذله وسار إلى معاوية يجرضه على حربه^(٤). فلا عجب ولا غرابة أن يقول في عائشة ما قال رافعاً بضبيعتها بعد أن تبنته كما مرّ ذلك.

ولكن هلّم الخطب كيف للقارئ أن يصدّق بمسروق، وهو كما وصفوه متهم في مدحه لأمه ومنحه لها لقب الصديقة، وهي نفسها روت قصة الإفك وجاء في حديثها: (قالت: دخلت عليّ أم مسطح فخرجنا إلى حير عاد، فوطئت أم مسطح على عظم أو شوكة فقالت: تعس مسطح،

(١) طبقات ابن سعد ٨: ٢٠٢.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٤١ ط مصر الأولى.

(٣) معجم الطبراني ٢٣: ١٥٣ ط الموصل.

(٤) كامل البهائي ٢: ٢٦، انتشارات المكتبة الحيدرية.

فقلت: بئس ما قلت، رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالت: أشهد أنك من الغافلات المؤمنات، أتدرين ما قد طار عليك؟ قلت: لا والله قالت: متى عهد رسول الله بك؟ قلت: رسول الله يفعل في أزواجه ما أحب، يبدأ بمن أحبّ منهن، ويأتي من أحب، قالت: فإنه طبق عليك كذا وكذا، فخررت مغشياً عليّ، فبلغ أم رومان أُمي فلما بلغها الأمر أتتني فحملتني، فذهبت إلى بيتها، فبلغ رسول الله أنّ عائشة قد بلغها الأمر، فجاء إليها، فدخل عليها وجلس عندها وقال: (يا عائشة إن الله قد وسّع التوبة) فازددت شراً إلى ما بي، فبينما نحن كذلك إذ جاء أبو بكر فدخل عليّ فقال: يا رسول الله ما تنظر بهذه التي خانتك وفضحتني؟ قالت: فازددت شراً إلى شرّ، قالت: فأرسل إلى عليّ، فقال: (يا عليّ ما ترى في عائشة)؟ قال: قد وسّع الله النساء، ولكن أرسل إلى بريرة خادمتها فسلها، فعسى أن تكون قد اطلّعت على شيء من أمرها، فأرسل إلى بريرة فجاءت فقال لها: (أتشهدين إنّي رسول الله؟) قالت: نعم، قال: (فليني سائلك عن شيء فلا تكتميني) قالت: نعم يا رسول الله ما من شيء تسألني عنه إلّا أخبرتك به، ولا أكتمك إن شاء الله، قال: (قد كنت عند عائشة فهل رأيت منها ما تكرهينه)؟ قالت: لا والذي بعثك بالنبوة ما رأيت منها مذ كنت عندها إلّا خلّة، قال: (وما هي؟) قالت: عجنتُ عجينةً لي فقلت لعائشة: احفظي هذه العجينة حتى أقتبس ناراً فأخبز، فقامت تصلي، فغفلت عن الخمر، فجاءت شاة فأكلتها. فأرسل إلى

أَسَامَةُ فَقَالَ: (يا أَسَامَةُ مَا تَرَى فِي عَائِشَةَ؟) قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (لِتُخْبِرَنِي بِمَا تَرَى فِيهَا) قَالَ: فَإِنِّي أَرَى أَنَّ تَمَسَّكَ فِيهَا حَتَّى يَحْدُثَ اللَّهُ إِلَيْكَ فِيهَا، قَالَتْ: فَمَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَ الْوَحْيُ، فَلَمْ يَزَلْ يَرَى فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السُّرُورَ وَجَاءَ عِذْرُهَا مِنَ السَّمَاءِ - يَعْنِي مِنَ اللَّهِ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، ثُمَّ أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ نَبَأَنِي اللَّهُ بِعِذْرِكَ) فَقُلْتُ: بِغَيْرِ حَمْدِكَ وَحَمْدِ صَاحِبِكَ قَالَتْ: فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكَلَّمْتُ، وَكَانَتْ إِذَا أَتَاهَا يَقُولُ: (كَيْفَ تَيْكُم؟) أَهْ.

موقفنا من عائشة

لَسْنَا مِمَّنْ يَعْجِبُهُ التَّطَاوُلُ عَلَى مَقَامَاتِ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّنَا وَلَا حَقِّ أَيِّ أَحَدٍ أَنْ يَتَجَاوَزَ حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَلِهَذَا حَيْثُ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْكُمْ وَأَسْرَحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْكَنَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمُ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَكُونُ لَهَا عَذَابًا مُّهِينًا * وَتَعْمَلُ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُمْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُمْ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقرن في يَبُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً ﴿١٠٠﴾ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿١٠١﴾. ولا شك في أنهم لم يكن على مستوى واحد من الإيمان والعقل والفهم بل وحتى السلوك الزوجي، لذلك كن حزين كما تقول عائشة فيما رواه عنها البخاري، وهذا من الطبيعي أن يكون بين الضرائر، ولا شك أن عائشة أخذت دوراً كبيراً في الحياة السياسية لم يكن لأي من بقية الأزواج سواء من كان في حزبها أو من كان في الحزب الآخر.

وقد مرت بأحداث ظهرت لها فيها ذاتية خلدت ذكرها سواء رضيت بذلك أم أبت، فلا يتجنى عليها من يروي عنها حديثها، في قصة الإفك، وفيه قول أبيها لرسول الله ﷺ: (ما تنتظر بهذه التي خانتك وفضحتني) وهذه الكلمة قالها أبوها فيها، وروتها عنه هي نفسها، وأيم الله لو كان القائل غير أبيها لأقامت الدنيا ولم تقعدا على رأس قائلها. فقذف أبيها لها بتلك الكلمة الشائنة الشائنة، لم تززع مكانته عندها، ولها عند موته كلام طويل عريض في مدحه والثناء عليه. ولم تززع مقام صديقيته المزعومة له خاصة، ولو أنا أنصفنا أنفسنا وقارنا بين كلمته هذه وبين ما قاله الإمام علي عليه السلام حين استشاره النبي ﷺ في هذه القصة في هذه الرواية نفسها عن عائشة قالت: فأرسل إلى علي فقال: (يا علي ما ترى في عائشة؟ قال الله ورسوله أعلم، قال: لتخبرني ما ترى في عائشة. قال: قد وسع الله النساء، ولكن أرسل إلى بريرة خادمتها فسلها، فعسى أن تكون

قد أطلعت على شيء من أمرها...) هكذا نص الرواية عن عائشة وقد أخرجها الطبراني^(١)، والهيتمي^(٢)، وغيرهما، ولو قارنا بين الكلمتين لرأينا البون شاسعاً، فأبوها يرميها بالخيانة وعليّ لا يرميها، فبالله عليكم أيّ العبارتين أجرح لشعور عائشة؟: (ما تنتظر بهذه التي خانتك وفضحتني) أو عبارة: (قد وسّع الله النساء، ولكن أرسل إلى بريرة خادمها فسلها...). فما بال عائشة تحقد على عليّ قوله هذا؟ وهي مذ سمعته لم تزد شراً إلى شرّ، بينما هي لما سمعت كلمة أبيها قالت: (فازددت شراً إلى شرّ)؟ ولكنها كما قال أحمد شوقي مخاطباً الإمام عليه السلام:

يا جبلاً تأبى الجبال ما حمل

ماذا رمت عليك ربة الجمل

أثار عثمان الذي شجاها

أم غصة لم ينتزع شجاها

وإن أم المؤمنين لامرأة

وإن تك الطاهرة المبرأة

أخرجها من كنها وسنها

ما لم يزل طول المدى من ضغنها^(٣)

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ١٠٠ ط الموصل، قال السلفي محقق الكتاب: وفيه خفيف وقد وثقه جماعة وضعفه آخرون، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. وفي المعجم الأوسط ٩: ٢٧١.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ٢٢٩.

(٣) دول العرب وعظاء الإسلام...

المبحث الثالث: صديقية أبي بكر الصديق بين التصور والتصديق

لا شكّ في أنّ أبا بكر حاز لقب الصديق وعُرف به منذ أيامه، أمّا كيف كان مبدأ ذلك؟ ومن الذي لقبه بذلك؟ فهذا ما لم تتفق عليه الأخبار، ولا تتسق في مضمونها مع الآثار، ولئلا يسئ بنا الظن ظانّ معاند، بأننا نحاول دفع أبي بكر عن صديقيته كما يحلو لمكابر جاحد، كلا، بل الذي نريده هو اطلاع القارئ على ما هو من إسفاف البكرية في حشر أخبار وآثار، فيها من التناقض والاضطراب ممّا لا يدع مجالاً للتصديق بها هو واقع، لكثرة الشك والإرتياب، وإنّا في ذلك لنحفّظ لأبي بكر مقامه في المسلمين، كخالف تولى الأمر فقام بعد سيد المرسلين ﷺ، وقد جرت بينه وبين أهل البيت عليه السلام خطوب وخطوب، ولا تزال تنزف منها القلوب، وهذا لا يمنعنا من تسليط الضوء على ما صنعتته مدرسة الكذب من إساءة إلى أبي بكر وإلى تاريخ المسلمين حين نسجوا من الخيال الحبال، وصنعوا من الذرة مجرّة، فاختلط الحابل بالنابل، وقمشوا الحقّ بالباطل من دون أن يرفعوا بضبع أولئك الرموز الذين تبوّأ نصرتهم فلم يحسنوا لهم صورة، ولم يحسنوا إليهم وفيهم صنعا، وخير مصدر يحسن بنا عرض ما فيه للقارئ في هذا المقام هو كتاب (الرياض النضرة في مناقب العشرة) للمحبّ الطبري (ت ٦٤٩) والكتاب مطبوع بمصر بعناية بدر الدين النعساني، وقد ضم الكتاب كثيراً من الغث ولم يخل من سمين، إذ جمع

فيه مؤلفه ما حصل له، على جهد بالغ وهوى متبع، وإلى القارئ ما فيه مما يتعلق بتحقيق لقب أبي بكر بالصدّيق فقال:

ذكر ما جاء في إثبات الصديقية لبعضهم والشهادة لبعضهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحرّكت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: اسكن حراء، فما عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد.

وفي رواية: وسعد بن أبي وقاص، ولم يذكر عليّاً، أخرجها مسلم، وانفرد بإخراجه، وأخرجه الترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا، وقال: اهدأ مكان أسكن، وقال حديث صحيح.

وأخرجه الترمذي أيضاً عن سعيد بن زيد، وذكر أنّه كان عليه العشرة إلاّ أبا عبيدة، وقال: البث حراء الحديث. وأخرجه الخلعي عنه ولفظه أنّه قال: تأمروني بسبب إخواني، بل صلّى الله عليهم أو قال: غفر الله لهم، ثم ذكر أنّه كان على حراء فتحرك فقال ﷺ: اسكن حراء، وذكر معناه، وذكر أنّه كان عليه العشرة إلاّ أبا عبيدة وأخرجه الحربي عن ابن عباس رضي الله عنه ولفظه: كان رسول الله ﷺ على حراء فتزلزل الجبل فقال ﷺ: اثبت حراء فما عليك إلاّ نبيّ وصدّيق وشهيد، وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وذكر العشرة إلاّ أبا عبيدة.

وأخرجه الحافظ إسحاق بن إبراهيم البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: إن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وسعداً وسعيداً، كانوا - يعنى على حراء - فتحرك الجبل، فقال رسول الله ﷺ: أسكن حراء فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد، فسكن حراء.

ثم قال المحب الطبري: وسيأتي في مناقب الثلاثة نحو هذا الفضل فيهم في أجبل مختلفة، واختلاف الروايات محمول على قضايا متكررة والله أعلم. ألا ترى إلى اختلاف عدد الكائنين على الجبل في كل رواية، واثبات الصديقية لأبي بكر ظاهرة وبها اشتهر، واثبات الشهادة للخمسة الذين تضمنهم الحديث الأول ظاهرة، فإنهم قتلوا شهداء والثلاثة الآخر الذين تضمنهم باقي الأحاديث لم يقتلوا، فلعلهم داخلون في الصديقية أو شهداء بمعنى آخر غير القتل والله أعلم^(١).

أقول: من العجيب الغريب أن يجهد المحب الطبري نفسه، ويتكلف في تعقيبه على اختلاف الروايات بما يحسبه توجيهاً مقبولاً، بينما كان عليه أن يمعن النظر في روايتي أبي هريرة الأولى والثانية التي ذكر فيها الصعود على جبل حراء، وهذا هو جبل بمكة، وأبو هريرة لم يتفق له الحضور بمكة مع النبي ﷺ لا قبل الهجرة، ولا بعدها، أما قبل الهجرة فمن الواضح لأنه أسلم في السنة السابعة من الهجرة فأتى المدينة أيام

(١) الرياض النضرة ١: ٢١.

خير، وبقي تلك السنة إلى أن خرج مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين في السنة الثامنة في ذي القعدة فكان مؤذناً له، ولم يرجع إلى أيام عمر بن الخطاب حين استدعاه للشهادة على قدامة بن مظعون لأنه شرب الخمر فتنتع في الشهادة فأنبه عمر وقال له: قد تنطعت في الشهادة^(١) فجميع مروياته في فترة غيابه ويزعم فيها السماع والحضور في مكة أو المدينة فهو مردود ومرذول غير مقبول، ولا يندع القارئ بمن ذكرها في كتابه عنه، سواء كان من أصحاب الصحاح أو غيرهم.

وأما رواية سعيد فإن صحت سنداً عنه ففيها ما يشير إلى الضغط الحاكم عليه وعلى المسلمين من إعلان السب لمن سبه - يعني سباً لله ولرسوله - كما في رواية أم سلمة^(٢). فإن لفظ الخلعي في رواية الرجل (تأمروني بسب إخواني) إذن فثمة أمر بالسب، فمن هو الأمر بالسب؟ ولمن كان ذلك السب؟ ولماذا يغفل الرواة عن سعيد الإفصاح عن تلك الأزمة الخائفة الخائفة التي ألمت بسعيد بن زيد وغيره يومئذ حين كانوا

(١) راجع الاستيعاب والإصابة وأسد الغابة ترجمة قدامة بن مظعون، والمصنف لعبد الرزاق ٩: ٢٤١ ط المجلس العلمي، وتفسير القرطبي ٦: ٢٩٨ ط دار إحياء التراث العربي وأحكام القرآن لابن العربي ٢: ١٦٨ والمحرم الوجيز لابن عطية ٢: ٢٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ٨: ٣١٥ وغيرها وغيرها.

(٢) لقد ورد في حديثها قالت لبعض أهل العراق منهم أبو عبد الله الجدي: أيسب رسول الله فيكم؟ فقال الجدي: معاذ الله، أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله) راجع كتابي علي إمام البررة ١: ١٦٢ تجد مصادر هذا الحديث بلغت العشرين من التراث السني.

يؤمنون بسب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؟ إنها مفارقات المؤرخين في ازدواجية المعايير حين يذكرون الصحابة بمن فيهم ممن لا تلتقي بدمه الشفتان من منافقين وفساق نددت بهم آيات القرآن المجيد وتكفي سورة براءة التي سماها ابن عباس (الفاضحة) وخل سورة المنافقين وسورة الحجرات وسورة الطلاق وو، ويمنعون من سبهم، ثم هم لا ينكرون مسألة إعلان السب وفرضه على المسلمين الذي كان يأمر به معاوية بعد المهادنة التي كانت بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام عام ٤١ هـ وهو عام الفرقة كما سماه الجاحظ^(١) ومهما يكن ذلك التهميش والتشويش على مسألة السب. فقد روى أن معاوية لما دخل الكوفة ومعه سعيد بن زيد وأبو هريرة والمغيرة وأضرابهم، وصعد المغيرة فسب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقام سعيد بن زيد وأنكر ذلك وروى لهم حديث العشرة المبشرة الذي طبلوا له كثيراً ونمقوه وزوقوه بما يحلو لهم، ولا ريب أن أبا هريرة كان حاضراً ذلك المشهد، فلعله روى ما رواه سماعاً من سعيد بن زيد إلا أنه

(١) قال في رسالته في بني أمية: إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحرب، وتخلّيته الأمور عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلؤمهم عليه، فعندها استبد معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه (عام الجماعة) وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتبنا... راجع بقية كلامه في كتابي (علي إمام البررة ٣: ٣٦٥ - ٥٦٦) نقلاً عن رسائل الجاحظ جمع ونشر حسن السندوي بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ.

دلّس في سماعه فلم يذكره، وليس ذلك بغريب منه بعد أن عرفنا كذبه في جملة أحاديث رواها فأكذبه عمر وعلي وعائشة وآخرون^(١).

ثم عاد المحب الطبري فقال^(٢):

ذكر إثبات الصديقية لأبي بكر والشهادة لهما

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ صعد أحداً ف تبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضر به النبي ﷺ برجله وقال اثبت فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان. وقال: خرّجه أحمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم.

وعن بريدة أن رسول الله ﷺ كان جالساً على حرا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك الجبل فقال رسول الله ﷺ: اثبت حرا فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد.

وقال خرّجه أحمد، ثم قال: وقد سبق في الباب الثالث من حديث مسلم وغيره عن أبي هريرة وفيه زيادة عليّ وطلحة والزبير وسعد.

وعن ثمامة عن عثمان بن عفان أن النبي ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجار بالحضيض، فركضه برجله وقال: اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.

خرّجه الترمذي والنسائي.

(١) راجع (عليّ إمام البررة ١: ١٩٦ — ١٩٨).

(٢) الرياض النضرة ١: ٤٠.

ثم قال (شرح) أحد جبل معروف بالمدينة وهو الذي قال فيه عليه السلام أحد جبل يحبنا ونحبه، وحرًا وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة، واختلاف الروايات نحمله على انها قضايا تكررت فيهن والله أعلم. والحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل، وركضه برجله: أي ضربه بها والركض تحريك الرجل، وإنما أسندنا الصديقية إلى أبي بكر حملاً لمطلق هذا الحديث على مقيد غيره.

أقول: هذا جميع ما ذكره المحب الطبري في محاولته اثبات صديقية أبي بكر، وهو لا يخلو من مناقشة سنداً ومتناً وإن حاول - فاشلاً - درء ذلك، إلا أن ما في (اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) للسيوطي ج ١ في فضائل أبي بكر يأبى عليه تصحيح شيء من ذلك، وقد ناقش المرحوم الشيخ الأميني ذلك في موسوعته الغدير^(١) وحسبنا إنصافاً له ولغيره من سائر المسلمين ممن صدقوا النبي عليه السلام في دعوته وآمنوا بنبوته، وعاضدوه على نشر رسالته من مهاجرين وأنصار وتابعين لهم بإحسان ولم يغيروا من بعده أن يكونوا من الصديقين أما إذا أبينا العقلانية وأسففنا مع الذين أسفوا فقالوا: ان أبا بكر سماء الله صديقاً في تنزيله فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٢) فجاء عن عطاء الذي جاء بالصدق محمد، فأفاض من بركات أنوار صدقه على أبي بكر

(١) راجع الغدير ٥: ٤٧٦.

(٢) الزمر: ٣٣.

فسمي صديقاً^(١) بينا ورد عن ابن عباس ومجاهد وأبي الطفيل عن عليّ وحتى عن أبي هريرة كما في الدر المنثور أنّ الآية نزلت في عليّ عليه السلام^(٢) وأما إذا طرنا مع الذين وضعوا على لسان عليّ أنّه كان يحلف بالله أنّ الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق^(٣). وإذا ما عفنا الحياء لأهله فروينا للناس أنّ أبا بكر كان يلقب في الجاهلية بالصديق^(٤).

فلا عجب ولا غرابة بعد هذا أن نجد الفيروزآبادي الشافعي يقول في خاتمة كتابه سفر السعادة في باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه أشهر المشهورات من الموضوعات - ثم ذكر بعض الأحاديث ثم قال - وأمثال هذه من المفتریات المعلوم بطلانها ببديهة العقل.

فألذي ينسف كل تلك المقولات الفجة والدعاوى الفارغة والتي لا تغني ولا تسمن عند احتكاك المواقف ، واصكاك الحجة بالحجة ما نقرأ أنّ الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام طالبت أبا بكر الصديق بفدك، فلم يعطها وردّها، فها هنا تسكب العبرات، فإمّا أن تكون الصديقة فاطمة صادقة في دعواها - وهذا ما اعترف لها به أبو بكر نفسه كما سيأتي قوله لها : (وأنت صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن

(١) تفسير السلمي ٢: ١٩٩.

(٢) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢ / ١٢٠-١٢٢ بتحقيق المحمودي، وكتاب المحسن البسط

مولود أم سقط ١٤٦ — ١٤٧.

(٣) أسد الغابة ٢: ٢١٦.

(٤) سمط النجوم العوالي ٢: ٤١٢.

حقك، ولا مصدودة عن صدقك) فكيف إذن نصّدق بالمزاعم السابقة في صدّيقية أبي بكر.

بقي علينا أن نشير إلى خبرين وردا في التراث الشيعي وصفاً لأبي بكر بالصدّيق وهما:

١ - خبر في كشف الغمة^(١) قال: وعن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي^{عليه السلام} عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، وقد حلّى أبو بكر الصدّيق^{عليه السلام} سيفه، قلت: فتقول الصدّيق؟ قال: فوثب واستقبل القبلة وقال: نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، نعم الصدّيق، فمن لم يقل له الصدّيق فلا صدّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة اهـ.

وهذا الخبر لو سلّم سنداً لكان حجة ما لم يصادمه واضح البرهان، ولكن عروة بن عبد الله مجهول الحال عند أصحابنا فقد ترجمه سيدنا الأستاذ في معجمه^(٢) ولم يذكر له ما يشعر بتعريفه فضلاً عن توثيقه ليصحّ الأخذ بروايته.

وإذا رجعنا إلى رجال العامة نجد ترجمته وقد وثّقه أبو زرعة، وذكره ابن حبان في الثقات^(٣)، ولو سلّمنا جدلاً بوثاقته، فإنّ جهالة السند من

(١) كشف الغمة للإربلي ٢: ٦٨٥ نشر الشريف الرضي بقم.

(٢) معجم رجال الحديث ١١: ١٤٩ ط الآداب.

(٣) كما في تهذيب التهذيب لابن حجر ٧: ١٨٦.

صاحب كتاب كشف الغمة المتوفى سنة ٦٩٢ إلى عروة بن عبد الله تمنع من الاعتماد على الرواية والأخذ بها.

٢ - خبر الجعفریات^(١) ولفظه بعد السند عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: إن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلّى فاستسقى واستقبل القبلة ونظر إلى السماء وحول رداءه، يمينه على شماله، وشماله على يمينه اهـ، وهذا رواه السيد البروجردي رحمته الله^(٢) وفيه قال جعفر بن محمد رحمته الله قال أبي: فعل ذلك أبو بكر الصديق بعده اهـ.

ونحن أزاء قبول الخبر في حيرة من أمره، فإنّ الجعفریات من الكتب المعتمدة المعول عليها^(٣) فلا مناص من قبول أخبارها ما لم يصادمها واضح البرهان، وفي المقام قد حصل ذلك، إذ لم يذكر أحد ولا ورد في أنّ أبا بكر صلى صلاة الاستسقاء في أيامه^(٤) على إن في حديث خبر الأمة عبد الله بن عباس رحمته الله مع أم المؤمنين عائشة بعد حرب الجمل وقد أرسله أمير المؤمنين إليها يأمرها بقلعة العرجة وتعجيل الرحيل - ما يشير إلى أن أبا بكر كان يدعى صديقاً أوّل أيامه، وإلى القارئ تلك المحاورة:

(١) رواه الشيخ النوري في مستدرک الوسائل ٦: ١٨٥ ط المؤسسة.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ٦: ٢٦٣.

(٣) كما في الذريعة ٢: ١.

(٤) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢: ١٢٠ - ١٢٢ بتحقيق المحمودي، وكتاب المحسن السبط مولود أم

سقط: ١٤٦ - ١٤٧.

قال السيّد المرتضى في الشافي: فإنّ الواقدي روى بإسناده عن شعبة عن ابن عباس قال: أرسلني عليّ عليه السلام إلى عائشة بعد الهزيمة وهي في دار الخزاعين يأمرها أن ترجع إلى بلادها، قال: فجئتها فوقفت على بابها ساعة لا تأذن لي، ثمّ أذنت فدخلت ولم توضع لي وسادة ولا شيء أجلس عليه، فالتفت فإذا وسادة في ناحية البيت على متاع فتناولتها ووضعتها ثمّ جلست عليها، فقالت عائشة: يا بن عباس أخطأت السنّة، تجلس على متاعنا بغير إذننا، فقلت لها: ليست بوسادتك، تركت متاعك في بيتك الذي لم يجعل الله لك بيتاً غيره. فقالت: والله ما أحبّ أنّي أصبحت في منزلٍ غيره. قلت: أمّا حين اخترت لنفسك فقد كان الذي رأيت.

فقالت: أيها الرجل أنت رسول فهلّم ما قيل لك؟

قال: فقلت: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يأمرك أن ترحلي إلى منزلك وبلدك.

فقالت: ذاك إلى أمير المؤمنين عمر.

قال ابن عباس: فقلت أمير المؤمنين عمر والله يرحمه، وهذا والله أمير المؤمنين. فقالت: أبيت ذلك.

فقلت: أما والله ما كان إباؤك إلاّ فواق ناقة غير غزير حتى ما تأمرين ولا تنهين، كما قال الشاعر الأسدي:

ما زال إهداء القصائد بيننا	شتم الصديق وكثرة
حتى تركت كأن أمرك فيهم	في كلّ جمعة طنين ذباب

قال ابن عباس: فوالله يعلم لبكت حتى سمعت نشيجها، فقالت: أفعل، ما بلد أبغض إليّ من بلد لصاحبك مملكة فيه. وبلد قتل فيه أبو محمد وأبو سليمان - تعني طلحة وابنه - .

فقلت: أنتِ والله قتلتها، قالت: وأجلها إلى سباق.

قلت: لا ولكنك لما شجّعوك على الخروج خرجت، فلو أقمت ما خرجا.

قال: فبكت مرة أخرى أشدّ من بكائها الأوّل، ثمّ قالت: والله لئن لم يغفر الله لنا لنهلكنّ، نخرج لعمرى من بلدك، فأبغض بها والله بلداً إليّ وبمن فيها.

فقلت: والله ما هذا جزاؤنا وما هي بأيدينا عندك، ولا عند أبيك؟

لقد جعلنا أباك صديقاً وجعلناك للناس أمّاً.

فقالت: أتمنّون عليّ برسول الله.

قلت: أي والله لأمننّ به عليك، والله لو كان لك لمننّ به.

قال ابن عباس: وتركتها، فجئت عليّاً فأخبرته خبرها وما قلت لها.

فقال عليه السلام: «دُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ^(١).

(١) آل عمران: ٣٤.

وهذه المحاورة أوردتها في موسوعة عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن) من عدة مصادر مرتبة على القرون بدءاً من القرن الثالث وحتى القرن التاسع. وفي بعضها وردت جملة الصديقية هكذا (وجعلنا أباك صديقاً وهو ابن أبي قحافة، وجعلناك أم المؤمنين وأنت ابنة أم رومان) فراجع الموسوعة تجد تفصيل ذلك.

فنحن أمام هذا النص بالصديقية الذي يوحى بأنه بجعل من أهل بيت ابن عباس حيث يقول: (وجعلنا) فيا ترى ماذا يعني ذلك الجعل؟ ولم يعهد ذلك الجعل تاريخياً فلا بد أنه كان يعني به دين الإسلام الذي أتى به محمد رسول الله ﷺ فبلغ الناس بشيراً ونذيراً، فأمن به من آمن وكفر به من كفر، وكان أبو بكر ممن أسلم وإن لم يكن هو أول من أسلم بشهادة سعد بن أبي وقاص وبرواية الطبري في تاريخه وإن إسلامه كان بعد أكثر من خمسين إنساناً.

فقد روى بسنده عن محمد بن سعد قال قلت لأبي أكان أبو بكر أولكم إسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين^(١).

إذن فابن عباس يقرّر لعائشة بأن أبا بكر صار صديقاً بفضل الإسلام، أمّا متى حصل على ذلك اللقب؟ وكيف حصل؟ ومن الذي منحه؟ فثمة

(١) الشافعي: ٢٩٢ ط حجرية.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٢: ٢١٥ ط الحسينية بمصر.

أخبار مذكورة ولكنها مخدوشة الإسناد فكيف يصح إليها الاستناد، وقد ذكر المرحوم الشيخ الأميني طائفة منها ويّين عوارها^(١).

وقال السيّد أحمد بن موسى ابن طاووس المتوفى (٦٧٠) في كتابه :
وتعلق - يعني الجاحظ - بقول ابن عباس لعائشة: (نحن سمينا أباك
صديقاً) وهذا، إن ثبت فمعناه بطريقنا (سُمي أبوك صديقاً) والقرائن
دالة على ذلك، إذ فنون كلمات ابن عباس تشهد لأمر المؤمنين - صلى الله
عليه - بعلو الدرجات السماويات، وأنه الشمس التي لا تكسفها يد
الحادثات، الصادق في اللهجات، وأنّ حال بني هاشم مع الذين تقدّم
عليهم ظاهر في المعانيات (المعانيات - ظ)^(٢).

وعلينا أن نستحضر في المقام ما مرّ من كلمة الفيروزآبادي في خاتمة
كتابه سفر السعادة في باب فضائل أبي بكر الصديق عليه السلام أشهر
المشهورات من الموضوعات، وقال بعد ذكر أحاديث مفتعلة في فضائل
أبي بكر: وأمثال هذه من المفتریات المعلوم بطلانها ببديهة العقل. ومثله.

ثمّ لنقرأ ما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أبي بكر من قول
ابن أبي عزة القرشي الجمحي:

شكراً لمن هو بالثناء خليق	ذهب اللجاج وبويع الصديق
من بعد ما دحضت بسعد نعله	ورجاء رجاءً دونه العيوق

(١) راجع موسوعة الغدير ٥: ٤٧٦ ط مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي.

(٢) بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية: ٢٨٥ ط مؤسسة آل البيت عليه السلام.

جاءت به الأنصار عاصب فأتاهم الصديق والفاروق
وأبو عبيدة والذين إليهم نفس المؤمل للبقاء تنوق
كنا نقول لها على والرضى عمر وأولاهم بتلك عتيق
فدعت قريش باسمه فأجابها إن المنوّه باسمه الموثوق
ولكن مع الأسف أنّ الشاعر مجهول والشعر منحول، إذ لا يوجد في
بني جمح من اسمه أبو عزة إلا أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عمير بن
أهيب، وهذا قتله رسول الله ﷺ يوم أحد صبراً، بعد أن كان قد منّ عليه
يوم بدر فأطلقه على أن لا يخرج مع أعدائه، فخان يوم أحد فأمر بقتله.

وهذا الإنسان لا عقب له كما ذكر ابن حزم^(١)، وكذا قال غيره من
النسّابين، فصار منح لقب الصديق لأبي بكر خاضعاً لعواطف سياسية
تتلاعب بعقول الناس، وللسياسة دهاقينها يصرفون الناس كما يشتهون.

فيوماً بحزوى ويوماً بالعقيق تردد أنغاماً لولهان عاشق
فأبو بكر اسمه عتيق لأنهم رووا عن النبي ﷺ أنّه قال: هذا عتيق من
النار؟! وأبو بكر لقبه الصديق لأنهم رووا عن النبي ﷺ أنّه قال ذلك له
في أحاديث لم تسلم سنداً ولا متناً كما مرّت الإشارة إلى ذلك.

والله أعلم بمن قال وما قال.

غير أنّ السمعاني ذكر في تفسير الآية ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾^(٢) فقال: والصديق
كثير الصدق وهو للمبالغة، ومنه سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه صديقاً،

(١) كما في الجمهرة: ١٦٢.

وقيل سمي صديقاً لأنّه قيل له إنّ صاحبك يقول أُسري بي إلى السماء
فقال ان (هو قال) ذلك فقد صدق.

والآن إلى المبحث الرابع في صديقية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإلى
القارئ ما ذكرته في كتاب (عليّ إمام البررة) ممّا يتعلّق بالمقام:

المبحث الرابع: عليّ الصديق الأكبر

«يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمة»

أكبرُ صديق أتاهُ لقباً مع النبيّ كان للناس أباً
إشارة منه دام ظله إلى فضيلتين خصّ النبيّ ﷺ بهما أمير المؤمنين عليه السلام:
الأولى: لقبه بالصديق الأكبر. والثانية: جعله معه أباً للأمة.
أما الأولى: فقد ورد في عدة أحاديث أنّه ﷺ لقبه تارة بالصديق وتارة
بالصديق الأكبر.

١ - أمّا ما ورد من تلقيبه بالصديق فمن ذلك ما رواه ابن عباس وأبو
ليلي وجابر وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم عنه ﷺ، قال: الصديقون
ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب آل يس، وعلي
بن أبي طالب، وهو أفضلهم^(١).

(١) راجع أحاديث الصحابة المذكورين وغيرهم في كلّ من: مناقب الإمام أمير المؤمنين لأحمد بن حنبل
(مخطوط)، مناقب ابن المغازلي: ٢٤٥، الرياض النضرة ٢: ١٥٣ ط تصحيح النعساني، كفاية الطالب:
٤٧، فرائد السمطين ١: ٢٨٢، شواهد التنزيل ٢: ٢٢٤، معرفة الصحابة لأبي نعيم ١: ٣٠٢ ط مكتبي
الدار بالمدينة والحرمين بالرياض، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١: ٨٠، ينابيع المودة: ١٢٤ ط
إسلامبول عن أحمد في مسنده وأبي نعيم وابن المغازلي والموفق الخوارزمي، وص ١٨٥ نقلاً عن مناقب
أحمد، وص ٢٣٣ و٢٨٤، أسد الغابة ٥: ٢٨٧، الفتح الكبير للنبيهاني: ٢٠٢، مشارق الأنوار للحمزاوي:
٧٨ ط مصر بمطبعة الشرق سنة ١٣٥٦ هـ، منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ٥: ٣٠ — ٣١،

٢ - أما ما ورد من تلقيه عليه السلام بالصدّيق الأكبر فمن ذلك ما ورد عنه عليه السلام: إنّ هذا - يعني عليّاً - أوّل من آمن بي، وأوّل من يصفحني يوم القيامة، وهو الصدّيق الأكبر، وهذا فاروق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين. وقد رواه غير واحد من الصحابة، منهم سلمان وأبو ذر وابن عباس وحذيفة وأبو ليلى الغفاري وغيرهم بألفاظ متفاوتة، ومنهم من سمعه يقول لعليّ ما مرّ نقله، ومنهم من سمعه يقول له: أنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل^(١).

الصواعق المحرقة: ٧٤ — ٧٥ ط الميمنية، شرح نهج البلاغة ٢: ٤٥١ ط مصر الأولى، فردوس الأخبار للدليمي حرف الصاد ٢: ٥٨١، تفسير الرازي ٢٧: ٥٧ ط عبد الرحمن محمّد بمصر، الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٥٦ ط بولاق، السراج المنير للعزبي ١: ٤٠٣ ط الشرقية سنة ١٣٠٤ هـ، جمع الجوامع كما في تربيته كنز العمال ١٢: ٢٠١ — ٢٠٢ ط حيدرآباد الثانية، التيسير في شرح الجامع الصغير للمناوي ٢: ١٠٤، ثمّ قال: فهو صدّيق هذه الأمة الأعظم، ولهذا قال: أنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها غيري، الأمالي الخميسية للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري ١: ١٣٩، ذخائر العقبى: ٥٦، فيض القدير للمناوي ٤: ٢٣٧ — ٢٣٨.

(١) وقد أخرج أحاديثهم كلّ من: المحب الطبري في الرياض النضرة ٢: ١٥٥، وقد قال في ص ١٥٣: وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدّيقاً، وحكى في ص ١٥٥ عن الخنّدي قوله: ويلقب بيعسوب الدين وبالصدّيق الأكبر، ذخائر العقبى: ٥٦، الاستيعاب لابن عبد البر ١٦٩: ٤ بهامش الإصابة ط مصطفى محمّد، المناقب للخوارزمي: ٦٢ ط تبريز، أسد الغابة ٥: ٢٨٧ ط مصر الأولى، فرائد السمطين ١: ١٣٩ — ١٤٠، تاريخ ابن عساكر (ترجمة الإمام) ١: ٧٥ — ٧٨، أبو جعفر الإسكافي في نقض العثمانيّة للجاحظ المطبوع معها بمصر: ٢٠ جمع ونشر السندوبي سنة ١٣٥٢ هـ، شرح النهج للمعتزلي ٣: ٢٥٧ ط مصر الأولى، اللثالي المصنوعة للسيوطي ١: ١٦٧، السيرة الحلبية ١: ٣٨٠ ط سنة ١٣٢٠، البيان والتعريف لابن حمزة الحسيني نقيب دمشق ٢: ١١٠ ط حلب و٣: ٢٧ ط دار الكتب

ولشيوخ هذا اللقب وثبوتهم كان عليّ عليه السلام يفتخر به على المنبر، ويسمعه المسلمون، ويتحدّى به من يعانده، ولم يُؤثر أنّ أحداً أنكر عليه ذلك أو غمز فيه، فقد كان عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الأعظم، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين، قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة^(١١٩).

العلمية، بيروت، مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٠٢ ط القدسي، جمع الجوامع للسيوطي كما في ترتيبه كنز العمال ١٢: ٢١٤ ط حيدر آباد الثانية، منتخب كنز العمال للمتقي الهندي ٥: ٣٣ بهامش مسند أحمد ط الأولى بمصر، الأمالي الحميسية للإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري ١: ١٤٤، ميزان الاعتدال للذهبي ١: ٣١٦ ط السعادة بمصر، جمع الفوائد للرواداني ٢: ٣٣١.

(١١٩) أخرجه بهذا اللفظ أو بألفاظ متقاربة كلّ من: سنن ابن ماجه ١: ٥٧ ط الغازية، ص ٤٤ ط مصر برقم ١٢٠ ط محققة، خصائص النسائي: ٣ ط التقدم، مناقب الإمام لأحمد بن حنبل (مخطوط)، رسالة النقص على العثمانية للإسكافي: ٢٠ ط مصر ونشر حسن السندوبي، وقال في ص ٢٨: ولو كان إسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام على رؤوس الأشهاد ولا خطب على المنبر وهو بين عدو محارب وخاذل منافق فقال: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، صليت قبل الناس سبع سنين، وأسلمت قبل إسلام أبي بكر وأمنت قبل إيمانه. فهل بلغكم أنّ أحداً من أهل ذلك العصر أنكر ذلك، أو عابه أو ادّعى لغيره، أو قال له: إنّنا كنت طفلاً... إلى آخر كلامه في إثبات مراده، مستدرك الحاكم ٣: ١١١، الرياض النضرة ٢: ١٥٥، ذخائر العقبى: ٥٨، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢: ٢٠ ط حيدرآباد، تلخيص المستدرك للذهبي بذيّل المستدرك ٣: ١١١، الكشف والبيان للتعليبي (مخطوط)، شرح النهج للمعتزلي ١: ١٠ ط مصر الأولى، الأوائل لأبي هلال العسكري، الضعفاء للعليلي في ترجمة عباد بن عبد الله ٣: ١٣٧ ط دار الكتب العلمية، تهذيب الكمال للمزي، المصنف لابن أبي شيبة، فراند السمطين ١: ٢٤٨، الثالث المصنوعة ١: ١٦٦ ط بولاق، تاريخ ابن عساکر (ترجمة الإمام) ١: ٥٣ — ٥٤، جمع الفوائد للرواداني ٢: ٣٣١ نشر المكتبة الجامعة بمكة المكرمة، جمع الجوامع للسيوطي كما في

ونختم الحديث عن اختصاص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقلب الصديق الأكبر بقول السيد الحميري ولنعم ما قال:

أشهدُ بالله وألأنه والله عما قلتَه سائلي
 إنّ عليّ بن أبي طالب لخير ما حاف وما ناعل
 صديقنا الأكبر فاروقنا فاروق بين الحقّ والباطل^(١)
 هذا ما يتعلق بالفضيلة الأولى التي أشار إليها الناظم دام ظله بقوله:
 أكبر صديق أتاهُ

وأما الفضيلة الثانية: وهي التي أشار إليها بقوله:

مع النبيّ كان للناس أباً
 فقد ورد عنه عليه السلام قوله لعليّ: (أنا وأنت أبوا هذه الأمة)، أو قوله: (أنا وعليّ أبوا هذه الأمة)، أو قوله: (أنا وهو أبوا هذه الأمة)^(٢).
 وأخرج القندوزي الحنفي في ينابيع المودة حديث أبي سعيد بن عقيصا، عن الحسين، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أنت أخي وأنا أخوك... إلى أن قال: أنا وأنت أبوا هذه الأمة. الحديث^(٣).

تربيته كنز العمال ١٥: ١٠٧، ١٤٥، تاريخ الطبري ٢: ٥٦، أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ١٤٩ (في ترجمة الإمام) ط بيروت بتحقيق المحمودي.

(١) ديوان السيد الحميري: ٣٣٧ — ٣٣٨ ط بيروت.

(٢) غاية المرام: ٥٤٤ — ٥٤٥ نقلًا عن المناقب المائة لأبي الحسن بن شاذان من طريق العامة، وعن غيره من طريق الخاصة في ثلاث منها النصوص المتقدمة.

وأخرج القندوزي أيضاً في الينابيع عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله قد فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وفرض عليكم طاعة عليّ بعدي، ونهاكم عن معصيته، وهو وصيي ووارثي، وهو منّي وأنا منه... إلى أن قال: وأنا وهو أبوا هذه الأمة^(١).

وروى في غاية المرام نقلاً عن الخصائص للشریف الرضي رحمه الله، وقد أخرجه الشریف^(٢) بإسناد عن سلمة بن كهيل عن أبيه في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾^(٣). قال: أحد الوالدين عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٤). وهناك أحاديث تؤكد هذا المعنى بلفظ: حقّ عليّ على هذه الأمة - على المسلمين - كحقّ الوالد على الولد - على ولده - .

وتلكم الأحاديث رواها من الصحابة عليّ عليه السلام، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله، وأبو أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، كلّهم رَوَوْها عنه عليه السلام، وقد أخرجها الحفاظ في زبرهم^(٥).

(١) ينابيع المودة للقندوزي الخفي: ١٢٣ نقلاً عن المناقب.

(٢) المصدر السابق: ١٢٣ نقلاً عن المناقب.

(٣) نفس المصدر: ٣٩ ط الحيدرية.

(٤) العنكبوت: ٨.

(٥) غاية المرام للسيد هاشم البحراني: ٥٤٥.

(٦) كاخوارزمي في مناقبه: ٢٢٤ ط تبريز، والمحّب الطبري في الرياض النضرة ٢: ١٧٢، وابن عساکر في تاريخ دمشق (ترجمة الإمام عليه السلام).

الباب الثالث

في مصادر خطب الزهراء عليها السلام

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث، قبلها تمهيد في حيثياتها عدداً وزماناً ومكاناً
وأسبابها، ثم آثارها في المجتمع، وتأثيرها على التاريخ.
وسوف نقرأ في المبحث الأول: المصادر في التراث الشيعي.
وفي المبحث الثاني: المصادر في التراث السني.
وفي المبحث الثالث: النصوص بصورها من المصادر المختارة.

التمهيد

أولاً: ماذا عن عدد الخطب؟

سؤال قد يبدو مستغرباً لدى الكثير من القراء، فهل هناك خطب
متعددة؟ أو أنها هي خطبة واحدة خطبتها سلام الله عليها في مسجد أبيها
على حشد من المهاجرين والأنصار؟
والجواب: أنها ثلاث خطب، أشهرها التي كانت في المسجد، والثانية
والثالثة كانت في بيتها.

وتوضيح ذلك: أنّ الخطبة الأولى كانت الوحيدة في شهرتها وبلغ بيانها
وقوة برهانها، كما أنّها الفريدة في طولها، وما جرى عليها وفيها من كلام
ونقض وإبرام، وهي مدرسة لمن يريد تعلم أساليب الكلام في الجدل
والخصام ووثيقة متكاملة في تسجيل أحداث تلك الحقبة العvisية،

وتعرف بالخطبة (الكبيرة) وخطبة (اللمة) لقول الراوي في أولها يصف خروجها عليها السلام (في لمة من حفدتها) .

أما الخطبة الثانية، فهي كلام جرى مجرى الخطبة استعرضت فيه بيان ظلامتها، وتقريع خصومها، ألقنتها على مسامع النساء اللواتي أتين لعيادتها من نساء المهاجرين والأنصار، وتسمى بالخطبة (الصغيرة).

وأما الخطبة الثالثة فهي كلام لها مع عائشة بنت طلحة وقد دخلت عليها فرأتها باكية فقالت لها: بأبي أنت وأمي ما الذي يبكيك؟ فانفجرت تبثها شكواها من صحابة أبيها الذين ما رعوا لها حرمة، وقد ذكرت الشيخين بما ينبي عن مدى غيظها منهما وغضبها عليهما، كما سيأتي ذلك في محله. ولما كان هذا الكلام جرى مجرى ما تقدّم في معنى الخطبتين، فقد جعلته خطبة ثالثة وإن لم يعرف عنها من قبل إلا القليل.

ثانياً: ماذا عنها زماناً ومكاناً وموضوعاً؟

لقد كان زمان الخطبة (الكبيرة) وهي الأولى زماناً ومن حيث الترتيب أيضاً فهي بعد وفاة النبي ﷺ بفترة ربّما تجاوزت الشهر فما بعده لأن الزهراء عليها السلام لم تضطر إلى الخروج إلى المسجد لتعلن سخطها على أبي بكر ومن معه، إلا بعد أن أجمع أبو بكر على منعها فذكاً، وذلك بعد أن كانت قد استنفذت جميع وسائل المطالبة المتاحة لها - ففي حديث عائشة وقد

رواه ابن سعد^(١) قالت - : أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ فيما أفاء الله على رسوله، وفاطمة حينئذٍ تطلب صدقة النبي التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر^(٢). ولم تفصح عائشة عن اسم الرسول الذي أرسلته الزهراء عليها السلام إلى أبي بكر في ذلك، ويبدو لي أنّها عليها السلام لما رأت أنّ ذلك لم يجد شيئاً مع أبي بكر، فقد أتت هي ومعها العباس، وهذا أيضاً روته عائشة قالت: أنّ فاطمة عليها السلام والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذٍ يطلبان أرضيهما من فدك، وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمد من هذا المال، قال أبو بكر: والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلّا صنعته .

قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت^(٣).

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٧٣.

(٢) رواه أحمد في المسند ١: ٣٤ برقم ٢٥ تح شاكر ١: ٤٥ برقم ٥٥، ورواه البخاري في صحيحه في أواخر باب غزوة خيبر ٥: ١٣٩، ورواه غيرهم.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفرائض باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا صدقة ٨: ١٤٩، كما رواه أحمد في مسنده وعبد الرزاق في مصنفه وغيرهما.

ولما كان حديث المطالبة بفدك تعددت رواياته، وتفاوتت نصوصه، لتعدد مرات المطالبة، وتعدد وجوه المطالبة فمن دعوى النحلة أولاً، ثم المطالبة بالميراث ثانياً، لهذا كله وقع الخلط بين الدعويين في التقديم والتأخير عند بعض الرواة، لعدم استيعاب كل واحد منهم جميع ما جرى، فمنهم من روى ما حضره، ومنهم روى ما بلغه، وفي أولاء وهؤلاء من لم يتفطن إلى حقيقة وجه المطالبة، فروى ما عنده كيفما خبره.

ولو أمعنا النظر في تلك الروايات لرأينا جملة منها تتفق في المضمون وتختلف في الأداء إجمالاً وتفصيلاً، وللدلالة على هذا سنذكر للقارئ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام وردت في كتاب الاختصاص للمفيد وهو من التراث الشيعي وورد مضمون جانب منها باختصار في كتاب فتوح البلدان للبلاذري وهو من التراث السنّي، وفيهما معاً نجد مطالبة الزهراء عليها السلام بفدك لأنها نحلة فطلب أبو بكر منها البيّنة فجاءت بعليّ وأم أيمن، وهذا هو القدر المشترك بين روايتي التراث الشيعي والسنّي، أمّا مقدّمات المطالبة وكيف حدثت؟ ومتى كانت؟ وإلى أين انتهت، فهذا كله مسكوت عنه في رواية البلاذري - من التراث السنّي - لماذا؟ بينما هو مذكور في رواية المفيد في الاختصاص - من التراث الشيعي، وذلك كله قد استغرق زماناً طويلاً قبل أن تصحر السيدة الصديقة عليها السلام بدعواها في مسجد أبيها، لذلك لا يمكن تصديق ابن أبي الحديد في ان الخطبة كانت بعد عشرة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

فلنقرأ الذي جاء في الترائين في هذا المقام. ففي كتاب الاختصاص (حديث فذك) عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما قبض رسول الله ﷺ وجلس أبو بكر مجلسه بعث إلى وكيل فاطمة صلوات الله عليها فأخبره من فذك، فأته فاطمة فقالت: يا أبا بكر أذعيت أنك خليفة أبي وجلست مجلسه، وأنت بعثت إلى وكيل فأخرجته من فذك، وقد تعلم أن رسول الله ﷺ صدق بها عليّ وأن لي بذلك شهوداً، فقال لها: إن النبي ﷺ لا يورث، فرجعت إلى عليّ عليه السلام فأخبرته فقال: ارجعي إليه وقولي له: زعمت أن النبي ﷺ لا يورث، وورث سليمان داود، وورث يحيى زكريا، وكيف لا أرث أنا أبي؟ فقال عمر: أنت معلّمة. قالت: وإن كنت معلّمة فإنها علّمني ابن عمي وبعلي، فقال أبو بكر، فإن عائشة تشهد وعمر أنها سمعا رسول الله ﷺ وهو يقول: إن النبي ﷺ لا يورث، فقالت: هذا أول شهادة زور يشهدان بها في الإسلام، ثم قالت: فإن فذك إنما هي صدق بها عليّ رسول الله ﷺ ولي بذلك بيّنة، فقال لها: هلمي بيّتك، قال: فجاءت بأُم أيمن وعليّ عليه السلام فقال أبو بكر: يا أم أيمن إنك سمعت من رسول الله ﷺ يقول في فاطمة؟ فقالا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، ثم قالت أم أيمن: لمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدّعي ما ليس لها؟ وأنا امرأة من أهل الجنة ما كنت لأشهد إلاّ بما سمعت من رسول الله ﷺ، فقال عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصص بأيّ شيء تشهدان، فقالت: كنت جالسة في

بيت فاطمة عليها السلام ورسول الله ﷺ جالس حتى نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد قم فإن الله تبارك وتعالى أمرني أن أخط لك فداً بجناحي فقام رسول الله ﷺ مع جبرئيل عليه السلام فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبة أين ذهبت؟ فقال: خط جبرئيل عليه السلام لي فداً بجناحيه وحدلي حدودها، فقلت: يا أبة إني أخاف العيلة والحاجة من بعدك فصدق بها عليّ. فقال: هي صدقة عليك، فقبضتها؟ قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ يا أم أيمن إشهدني، ويا عليّ أشهد^(١). فقال عمر: أنت امرأة ولا نجيز شهادة امرأة وحدها، وأما عليّ فيجرّ إلى نفسه.

قال: فقامت مغضبة وقالت: اللهم انهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها، فأشدد وطأتك عليهما. ثم خرجت. وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين معهما وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا الله فإني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله ﷺ يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذرايكم، ففوا الرسول الله ﷺ ببيعتمكم. قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها^(٢).

(١) أخرج الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين ١: ٧١ بسنده عن أبي سعيد قال: لما نزلت آية ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا﴾ الاسراء: الآية ٢٦، دعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فأعطاهها فداً، وقد روى ذلك أيضاً السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية الشريفة.

(٢) الاختصاص: ١٧٨ — ١٧٩ ط الحيدرية.

ففي هذا الحديث كانت دعوى النحلة، إلا أنّ أبا بكر تذرّع بأنّ النبي ﷺ لا يورث، فردّت عليه الزهراء عليها السلام بارث سليمان من داود ويحيى من زكريا، ولمّا أراد عمر نصرته من حيث لا تنفع، ورأى أبو بكر نفسه مخصوماً زعم أنّ عائشة وعمر سمعا من النبي ﷺ أنّه لا يورث. ولمّا طعن في شهادتهما، عادت إلى دعواها الأولى وهي النحلة فطالبها بالبيّنة، فأّتت بأم أيمن وعلي، وشهدا فلم يقبل أبو بكر تلك الشهادة، وفي هذه الحال منه أوقع أنصار الفقه السلطاني في حيص ويصص، إذ لم يكن له الحقّ أولاً في سلب فذك من مالكتها الصديقة عليها السلام لأنّها صاحبة اليد، فهو طرد وكيلها منها ظلماً وعدواناً وأخذها غصباً فهذه مخالفة أولى وثانياً: طلب البيّنة من الزهراء عليها السلام على صدق دعواها مع أنّها سيدة نساء أهل الجنة، ومن كانت سيدة نساء أهل الجنة لا تدعي ما ليس لها وهذا ما احتجت به أم أيمن (رحمها الله). وهذه مخالفة ثانية.

وثالثاً: ردّ شهادة أم أيمن وعلي، بحجة أنّه لا يجيز شهادة امرأة وحدها. وأنّ عليّاً يجرّ إلى نفسه كما قال عمر، وكلاهما مشهود لهما بالجنة، ومن كان من أهل الجنة لا يشهد زوراً وهذه مخالفة ثالثة، وتتبعها رادفة وخالفة.

ورابعاً: وخامساً... وهكذا فتق فتقاً لا يرتق وتترك فقهاء السلاطين في حيرة من أمره فشرّقوا وغربّوا، وسيأتي بعض ما عندهم فيما نقله من النصوص عن شرح النهج لابن أبي الحديد.

ولقد روى البلاذري هذا بصورة مختصرة فقال: (إنها قالت لأبي بكر: أن رسول الله ﷺ جعل لي فذك فأعطني إياها، وشهد لها علي بن أبي طالب، فشهدت لها أم أيمن، فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فانصرفت)^(١).

(أقول) أحسب أنها لما رأت أن ذلك لم يغير من موقف أبي بكر شيئاً، فذهبت هي وعمّها العباس معها كما مرّ في حديث عائشة، ولما رأت أن ذلك أيضاً لم ينفع مع أبي بكر لتصلّبه بموقفه، وإصراره على عدم إرجاع فذك ولا غير فذك (حتى سهم ذوي القربى فأصحرت بظلامتها في مسجد أبيها، فصح إذن استعمال الرواة لصيغة (لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فذكاً...)) والمراد بالإجماع في المقام هو التصميم وسبق الإصرار عن عمد، وهذا لا يعرف عادة إلا بعد تكرار المراجعة سابقاً حول الموضوع، وهذا جميعه يستغرق وقتاً طويلاً ربّما جاز الشهر على أقل التقدير.

هذا ما أراه في زمان الخطبة الكبيرة وهي الأولى زماناً، كما هي الأولى في نسق الترتيب الآن .

أمّا عن المكان الذي خطبت فيه فهو المسجد النبوي الشريف، وهذا ما لا شك فيه ويبدو من بعض النصوص أنه كان للمهاجرين مجلسهم الخاص وذلك هو مجلس أبي بكر، كما أنّ للأنصار كان مجلسهم الخاص في جانب من المسجد، حيث دل على ذلك الفصل الثاني من الخطبة،

(١) فتح البلدان: ٣٦.

واختصاص مخاطبة أبي بكر والمهاجرين وزادنا تأكيداً ما جاء في أول الفصل الثالث في مخاطبة الأنصار. (ثم عدلت إلى مجلس الأنصار).

وأما عن موضوع الخطبة فقد اشتملت على ثلاثة أنحاء من البيان، استعرضت في الأول جانباً كبيراً من علل الأحكام في التشريع، وفي الثاني احتجت على أبي بكر والمهاجرين الذين معه بقوارص الكلام مع قوة الحجة في البيان، وفي الثالث عاتبت الأنصار عتاباً ممّاضاً مما أيقظ فيهم الحسّ الخامل، والجاهل الغافل، كما سيتضح ذلك من قراءة النص.

هذا جميعه ما يتعلّق بالخطبة الأولى وهي التي حفلت بها المصادر الكثيرة. وأما زمان الخطبة الثانية فهي في أيام مرضها عليها السلام، إذ كانت قالتها لنساء المهاجرين والأنصار وقد أتين لعيادتها، ومن المعلوم أنّها لم تعرض عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله بلا فصل، وإنّ جلّ الخطب وعظم المصاب، لأنّها كانت بعد الهجوم على بيتها يحملها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً تستنصر الأنصار وهم في مجالسهم، فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا عنه، فيقول عليّ - كرم الله وجهه - أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه.

فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما
الله حسيبهم وطالبهم^(١).

فالخطبة في نساء المهاجرين كانت بعد هذا زماناً، وإذا اعتمدنا تعبير
الوزير الآبي^(٢) في المقام فقد ذكر (قولها عند احتضارها) وهذا يعني أنّ
النساء أتيتها عائدات في أخريات أيامها عليها السلام ومكانها بيت الزهراء عليها السلام
وموضوعها عتاب أقوى من سباب.

وأما الخطبة الثالثة وهي كلامها مع عائشة بنت طلحة فزمانها أيام شدة
بكائها لمصائب فقد النبى و غصب الوصي وهضمها من الصحابة، فلم
يراعوا فضل القرابة، ومكانها هو بيتها عليها السلام، وموضوعها كسابتها.

ثالثاً: قراءة واعية في التاريخ من جديد:

لا شك في أنّ التاريخ الإسلامي خضع في تسجيله لعواطف محسوبة ولم
يكتب بنزاهة تامة، ولم يأتنا بجميع حذافيه صحيحاً، ولذلك طالب
كثيرون بإعادة كتابة التاريخ من جديد، وحتى هذه المطالبة أيضاً
خضعت لأهواء وآراء لست بصدد البحث عنها فعلاً، وحسبنا أن نقول
بما قاله المستشار محمد سعيد العشراوي في كتابه فقد قال: (وقد بدت
نزعة غريبة تزعم أنّ التاريخ الإسلامي قد زيف إذ عمد العباسيون إلى

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٢.

(٢) أنظر نثر الدرر ٤: ٨ ط العلمية بيروت.

تشويه أعمال الأمويين، وسعى خلفاء العباسيين إلى الإساءة لأعمال هؤلاء، وقصد الشيعة إلى العبث بكل أفعال وأقوال السنّة وهكذا... إنّ دعوى تزييف التاريخ الإسلامي لإخفاء وقائع ضد الإسلام تعمل من حيث تدري أو لا تدري على توطيد احتمالات عودة مثل هذه الوقائع وتكرارها ما دامت لا تستنكرها ولا تستهجنها، ولا تعرف أنّها ضد الإسلام ذاته^(١).

(لكن الحقيقة ستبقى واضحة، وإنّ من عمل المسلم الحقّ - وصحيح إيمانه - أن يرفض كل ما هو مضاد للإسلام منافع للشرعية، حتى ولو كان صدر من صاحب شأن أو مكانة، أو كان قد تكرر على مدى التاريخ الإسلامي حتى أخفى وراءه الحقيقة، لقد صاحب هذا الإنكار دفاع عن الأمويين وغيرهم من الطغاة، كأنّما ذكر مظالم الظالمين دون التبرؤ منها يسئ إلى الإسلام ولا يطهره منها ومنهم)^(٢).

والذي يعنينا في المقام ما يتعلّق بخطب الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وقلت أنّها كوثائق تاريخية عن حقبة تاريخ الصدر الأوّل، الّذي تحاشى المؤرّخون اقتحام البروج العاجية لموزة فيما لهم وعليهم، غير أنّ بعض الأفلام الحرّة نفتت بما يكتنه أصحابها ممّا ينبغي أن نسوقه في المقام شاهداً، داعياً إلى قراءة واعية في التاريخ من جديد عن حقبة صدور الخطب

(١) الإسلام السياسي لمحمد سعيد العشراوي : ٣ ط ٤ الناشر مدبولي الصغير بمصر.

(٢) نفس المصدر: ٣١.

الفاطمية فيها تمهيداً لمعرفة أسبابها ومسبباتها وآثارها سلباً وإيجاباً، فإن تاريخ تلك الحقبة عليه من التعتيم السياسي ما يشوش الرؤية، وحتى تفاوت الناس في قبوله ورفضه كلاً أو بعضاً، فلا بدّ لنا من قراءة بعض نفثات تلك الأفلام الحرّة والجريئة قراءة واعية.

١ - قال محمد فريد وجدي بعد أن ذكر خطبة أبي بكر يوم السقيفة نقلاً عن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة فقال: (يرى المتأمل في خطبة أبي بكر أنّه لم يشر إلى حديث الخلافة في قريش، مع أنّه كان أمضى سلاح له في ذلك اليوم الصعب، الأمر الذي يجعلنا نشك في صحته، وإنّ الكتاب الذي نقل منه هذه الخطبة هو من أقدم الكتب وأوثقها في مسائل الخلافة الإسلامية^(١)).

ثم قال ناقداً أبا بكر في خطبته فقال: يؤخذ من خطبة أبي بكر عليه السلام أنّه احتج بفضل المهاجرين على الأنصار، أنّهم أول من آمن برسول الله ﷺ وأجابوه.. ولكن هذا شيء والصلاحية للخلافة شيء آخر، فربما سبق قوم إلى خير ولم يوجد فيهم من يصلح للملك^(٢).

وقال أيضاً: (وظن أكثر المسلمين أنّ الإنسان يأثم إن انتقد أحد الصحابة أو رأى خلاف رأيه، واستحال لديهم هذا الظن إلى وسوسة حسنت لهم أن ينظروا لحوادث ذلك التاريخ من خلال حجب موهمة

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٢: ٣١٢ ط دار الفكر.

(٢) نفس المصدر: ٣١٣.

حتى يروا فيه كل شئ حسناً، وكل عمل متقناً، وقد غلا بعضهم فقال: قاتلهم ومقتولهم في الجنة، والحقيقة أنهم بشر مثلنا، وإن كانوا أفضل منا تقوى وإيماناً وحباً للحق وقربهم من النور المحمّدي، ولكن لا يقول أحد أنهم منزهون عن الخطأ، وبأن جميع أعمالهم حسنة، مع أنه قد ثبت لنا أنهم تجادلوا وتشاتموا وتضاربوا، وقتل بعضهم بعضاً، ومرّ عليهم زمن كانت فيه المجازر بينهم على أشد ما يكون بين المتخاصمين من الشعوب المتعادية^(١).

وقال أيضاً: يقول عمر رضي الله عنه: (والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم) وهذا الكلام عليه رائحة من التمييز بين القبائل، فقوله من غيركم - أي يا معشر الأنصار - مع أنّ الأنصار والمهاجرين وجميع سكان جزيرة العرب هم عرب لا جدال في أصلهم، فكيف يسوغ أن يقال للأنصاري نبينا من غيركم، وقد محا الله التمايز بالقبائل؟ ولم يمح الله التمايز بين قبائل العرب فقط، بل محّاها من بين جنسيات جميع المسلمين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ - ولم يقل يا أيها العرب - إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢). ولم يقل (أن أكرمكم عند الله من كان قرشياً).

(١) نفس المصدر: ٣١٤.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) المصدر قبل السابق: ٣١٥.

٢ - قال عليّ عبد الرازق في كتابه: كانوا يومئذٍ - يوم السقيفة - إنّما يتشاورون في أمر مملكة تقام، ودولة تنشأ، وحكومة تُنشأ، ولذلك جرى على لسانهم يومئذٍ ذكر الإمارة والأمراء، والوزارة والوزراء... وتذكروا قوة السيف، والعزة، والثروة، والعدد، والمنعة، والبأس والنجدة، وما كان ذلك إلّا خوضاً في الملك، وقياماً بالدولة، وكان من أثر ذلك ما كان من تنافس المهاجرين والأنصار، وكبار الصحابة بعضهم مع بعض، حتى تمت البيعة لأبي بكر... فكان أول ملك في الإسلام^(١).

٣ - قال عبد الكريم الخطيب في كتابه: وإنّما كانوا يتنازعون في الحكم والإمارة، إذ لم تكن كلمة (خليفة) من الألفاظ التي وقعت في خواطر المسلمين، أو جرت على ألسنتهم في اجتماعهم يوم السقيفة^(٢).

٤ - قال أحمد أمين المصري في كتابه: (ومن مظاهر هذا - يعني عصبية العرب في تولية الأمر نقلاً عن ابن خلدون - ما كان من خلاف الصحابة على من يتولى الأمر بعد الرسول،) وكان هذا ضعف لياقة منهم إذ اختلفوا قبل أن يدفن الرسول، ولكن كان عذرهم في ذلك العمل على ضم الشمل وجمع الكلمة، فلما مات النبي ﷺ حصل هذا الاختلاف، فبايع عمر أبا بكر ثم بايعه الناس، وكان هذا مخالفة لركن الشورى، ولذلك قال عمر: إنّها غلطة وقى الله المسلمين شرّها، وكذلك كانت

(١) الإسلام وأصول الحكم: ٩٢.

(٢) الخلافة والإمامة ديانة وسياسة: ٣٣٧.

غلطة بيعة أبي بكر لعمر، وإن كان قد استشار كبار الصحابة في ذلك فبعضهم حمده وبعضهم خاف من شدته...) (١).

٥ - وقال الدكتور طه حسين في كتابه: (وما أريد أن أتزيد ولا أن أتكلف، ولا أن أؤدي بعض الضمائر، ولا أن أحفظ بعض الصدور، ولكني مع ذلك ألاحظ أنّ جماعة من أصحاب النبيّ قد حسن بلاؤهم في الإسلام حتى رضي النبيّ عنهم وبشّرهم بالجنة أو ضمنها لهم، ثم طال عليهم الزمن، واستقبلوا الأحداث والخطوب، وامتحنوا بالسلطان الضخم العظيم والثراء الواسع العريض، ففسدت بينهم الأمور، وقاتل بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً، وساء ظن بعضهم ببعض، إلى أبعد ما يمكن أن يسوء ظن الناس بالناس، فما عسى أن يكون موقفنا نحن من هؤلاء؟

لا نستطيع أن نرضى عن أعمالهم جميعاً، فلا نلغي عقولنا وحدها، وإنّا نلغي معها أصول الدين التي تأمر بالعدل والإحسان وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ولا نستطيع أن نحكم بالخطيئة على من نظن أنّه قد خطئ لمكانتهم من النبيّ أولاً، ولما بشّرهم به النبيّ من الجنة ورضا الله ثانياً.

ولحسن ظنّهم بالله ورسوله وثقتهم بها وعد الله ورسوله وإيمانهم بالجنة التي بشروا بها.

(١) يوم الإسلام لأحمد أمين المصري : ٥٣ — ٥٤ وهو من خيرة كتبه.

وما نحب أن نذهب في أمرهم مذهب الذين عاصروهم من خصومهم وأنصارهم، فتحكم على بعضهم بالخير، ونحكم على بعضهم بالشر. فالذين عاصروهم من الأنصار والخصوم كانوا شركاءهم فيما آلم بهم من الفتنة، فكانوا يرضون أو يُسخطون حسب مكانهم من أولئك أو هؤلاء.

أما نحن فلسنا نعاصرهم ولا نشاركهم فيما شجر بينهم من الخلاف، وليس من المعقول لذلك أن نقحم عواطفنا في أمرهم إقحاماً، وإننا سيلولنا أن ننظر في أعمالهم وأقوالهم من حيث صلتها بحياة الناس وأحداث التاريخ، وأن نخطئ من نخطئ ونصوب من نصوب منهم من هذه الجهة وحدها، دون أن نقضي في أمر دينهم بشئ، فإن الدين لله، ودون أن نستبيح لأنفسنا أن نقول كما كان يقول أنصارهم وخصومهم: هؤلاء مؤمنون وهؤلاء كافرون، وهؤلاء في منزلة بين بين، وهؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، ذلك شئ لا نخوض فيه، وليس لنا أن نخوض فيه، وإنها أمره إلى الله وحده.

فأما الذي إلينا فهو أن نتبين من أعمالهم وأقوالهم وسيرهم ما يلائم الحق والعدل والصواب وما لا يلائمها. وهذا في نفسه كثير، ولكن لا بد مما ليس منه بد^(١).

هكذا قال طه حسين ونحن لا نصادقه على جميع قوله، ولكن نأخذ من كلامه ما ختم به (فهو أن نتبين من أعمالهم وأقوالهم وسيرهم ما يلائم

(١) الفتنة الكبرى ١: ٤٠ - ٤١.

الحقّ والعدل والصواب، وما لا يلائمها، وهذا في نفسه كثير، ولكن لا بدّ ممّا ليس منه بدّ).

ونصادقه على قوله: (ولكن أبا بكر لم يبايع بالخلافة عن مشورة من المسلمين، وإنّما كانت بيعته فلتة، وقى الله المسلمين شرّها كما قال عمر، كما أنّ عمر نفسه لم يبايع عن مشورة من المسلمين، وإنّما عهد إليه أبو بكر فأمضى المسلمون عهده... ولم تكن الشورى التي تمت بها خلافة عثمان مقنعة ولا مجزئة، فقد اختص عمر بها ستة من قريش على أن يختاروا واحداً منهم...)^(١).

كما أنا نوافقه في قوله: (إنّ عليّاً كان أقرب الناس إليه - النبيّ ﷺ - وكان ربيبه، وكان خليفته على ودائعه، وكان أخاه بحكم تلك المؤاخاة، وكان ختنه وأبا عقبه، وكان صاحب لوائه، وكان خليفته في أهله، وكانت منزلته منه بمنزلة هارون من موسى، بنص الحديث عن النبيّ نفسه، لو قال المسلمون هذا كلّهم واختاروا عليّاً بحكم هذا كلّهم لما أبعدوا ولا انحرفوا... وكان كل شيء يرشح عليّاً للخلافة، قرابته من النبيّ ﷺ وسابقته في الإسلام، ومكانته بين المسلمين، وحسن بلائه في سبيل الله، وسيرته التي لم تعرف العوج قط، وشدته في الدين، وفقهه بالكتاب والسنة، واستقامة رأيه).

(١) المصدر السابق ٢: ٣٥.

وقوله: (فكان بنو هاشم قد أبعدوا عن هذا الأمر عمداً، أبعدتهم عنه قريش، مخافة ان تظل لبني هاشم رعيّة، وألا تكون الخلافة في حيّ آخر من أحيائها)^(١).

وقال: (وكانوا - الناس - كذلك يعرفون أنّ قريشاً قد صرفت الخلافة عن بني هاشم بعد وفاة النبيّ إشاراً للعافية، وكراهة أن تجتمع النبوة والخلافة لهذا البطن من بطون قريش، وكانوا يرون أنّ الله قد أثر بني هاشم بنبوة محمد ﷺ فاختصها بخير كثير، وأنّ بني هاشم ينبغي لهم أن يقنعوا بما آثرهم الله به من الخير الضخم والفضل العظيم)^(٢).

٦- وقال الدكتور صبحي الصالح (أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية): (لقد كانت بيعة أبي بكر للخلافة أول فتنة أو (فلتة) وقى الله المسلمين شرّها، وكانت مقدّماتها كنتائجها ذات طابع سياسي يتلخص في اختيار شخص دون شخص للخلافة)^(٣).

وقال وهو يتحدث عن تولية أبي بكر لعمر واختلاف الناس فيه: (على أنّ نفرأ من الناس في تلك الفترة العصبية بدؤوا يعتقدون أنّ السلطة الدينية يجب أن تفرضها على الناس سلطة إلهية، فجعلوا السلطة بذلك

(١) المصدر السابق ١: ١٥٢.

(٢) نفس المصدر ٢: ١٥.

(٣) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها: ٨٧.

مفروضة لا منتخبة تعيّنهما إرادة السماء كما تعيّن الأنبياء وتصفّي المرسلين^(١).

٧- وقال حسن فرحان المالكي في كتابه الصحة والصحابة بين الأطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي في (مبحث الصحابة): من المباحث والموضوعات ذات الأهمية البالغة في التراث والفكر الإسلامي قديماً وحديثاً لما يترتب عليه من قضايا فقهية وحديثية وإيمانية وجوانب أخرى تتصل بالجوانب الفقهية والسياسية والشوروية والاقتصادية في الفكر الإسلامي...

إنّ موضوع (الصحة والصحابة) من أكبر الموضوعات أهمية ، وأشدّها حرجاً عند كثير من مفكري وعلماء المسلمين، بل عند سائر المهتمين بالإسلام ودراسته من غير المسلمين...^(٢).

وقال أيضاً: (وكانت السياسة تلعب أيضاً الدور الأكبر في توسيع الفجوة بين علماء المسلمين وعوامهم، ولم يكن الساسة يشتهون الفرقة بين المسلمين لمجرد الإفساد بينهم، ولكن كانت لهم مصالح في تأييد هذه الجماعة أو تلك، ومنها إظهار الحاكم نفسه بمظهر الحريص على سلامة العقيدة، والحامي لها ضد الطوائف الأخرى، فلذلك شكّل مغفلوا

(١) نفس المصدر: ٩٠ ط الأولى دار العلم للملايين بيروت.

(٢) الصحة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي: ١٣ ط مركز الدراسات الإسلامية الأردن.

الصالحين والعوام الساعد الأيمن لكل سلطة تستغل هذه القضية على مرّ التاريخ، سواءً كان هؤلاء من السنّة أو الشيعة أو المعتزلة أو النواصب أو الخوارج...

وقضية (الصحابة) من القضايا المستثمرة في تصفية الخصوم أو كبّتهم أو التضيق عليهم، أو التشكيك في عقائدهم، وتنفير الناس عنهم، وعن علمهم، دون النظر إلى حججهم وأدلتهم.

ولذلك نجد أنّ عبارة (فلان يطعن في الصحابة) تكفي للقضاء على كل إبداع بحثي عند أهل السنّة، كما تكفي عبارة (فلان يثني على أعداء أهل البيت) للقضاء على الإبداع نفسه عند الشيعة.

والشيعة والسنّة يشكلان أهمّ فرقتين إسلاميتين من حيث الانتشار وكثرة الانتاج الفكري، مع تقدم زمانهما وبداياتهما الهادئة من أيام الخلافة الراشدة، بل إنّ جذورهما الأولى تمتد منذ عهد النبوة^(١).

وقال أيضاً: (حقاً أنّ تعميم فضل الصحبة ومنزلتها على كل من لقي النبي ﷺ من المسلمين أدى إلى اختلاف بين كثير من الفرق الإسلامية، ولا زال الاختلاف بينهما إلى يومنا هذا، إذ أدّى هذا التعميم في المديح إلى

(١) نفس المصدر: ١٦.

تعميم فرق أخرى كالشيعة لنصوص أخرى في الدم، وأصبح الناجون عندهم أفراداً قلائل^(١).

وقال أيضاً: (وهناك أناس صحبوا النبي ﷺ قبل الحديبية لكنهم أساءوا الصحبة، أو تغيروا، وبعضهم نافق، وبعضهم تذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن أبرز أولئك - ثم ذكر أكثر من سبعين اسماً ثم قال - : وغيرهم وأغلب هؤلاء متهمون بالنفاق مع أن لهم صحبة قبل الحديبية، بل بعضهم مذكور في أهل بدر، وبعضهم قيل إنه تاب، أما أسباب إتهامهم بالنفاق فمختلفة، فبعضهم قتل نفساً بغير حق، وبعضهم اعترض على النبي ﷺ أو لم يرض بحكمه، وبعضهم ساءت سيرته ونحو هذا)^(٢).

وقال أيضاً: (وكثير من الطلقاء لم يحسنوا الإسلام فهم الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط، وسرقة ثلاثة منهم جملاً يوم حنين (سرقه أبو سفيان وابنه معاوية وأخوه عتبة) حتى دعا عليهم النبي ﷺ^(٣) وحاول بعض الطلقاء اغتيال النبي ﷺ، وبقي بعضهم مستهزأً بالنبي ﷺ حتى لعنه ونفاه إلى الطائف، وهو الحكم بن أبي العاص، وركل بعضهم قبر حمزة بن عبد المطلب وقال: قد عدنا يا حمزة، وأثر عن

(١) نفس المصدر: ١٩٨.

(٢) نفس المصدر: ١٨٠.

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: (اللهم عن الراكب والقائد والسائق).

هذا الشخص أنّه قال: تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فليس هناك من جنة ولا نار^(١).

وأخذ النواصب والشاميون ومغفلوا الصالحين من أهل السنة يحاولون تحسين صورة الطلقاء، وأنّه حسن إسلام جميعهم مرددين الحديث الشريف: (الإسلام يجب ما قبله) متناسين الحديث الآخر الذي أخرجه مسلم عن ابن مسعود^(٢): (قال: قال أناس لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنؤاخذ بها عملنا في الجاهلية؟ قال: أمّا من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام، وقد غفل عن هذا الحديث ومثله كثير من الناس)^(٣).

٨ - وقال الشيخ محمود أبو رية في كتابه: (والصحابّة ناس يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من التابعين وغير التابعين - وقد أثبت التاريخ والقرآن يؤيّده - أنّه قد وقع منهم مثل ما وقع من سائر خلق الله من الأناسي أجمعين، فكان منهم المنافقون، وكان منهم من ارتكب الكبائر، وكان منهم من قاتل بعضهم بعضاً، وكفّر بعضهم بعضاً، ثم كان منهم المرتدون، وغير ذلك ممّا يعلم من تاريخهم، ولا يستطيع عاقل منصف أن يدافع عنهم، وقد أشبعنا القول في أمر عدالة الصحابة، فارجع إلى

(١) إشارة إلى أبي سفيان فهو صاحب المقالة وقد قالها لما ولي عثمان، ومن الغريب أنّ المؤلف لم يسمّه ..

(٢) صحيح مسلم ١: ١١١.

(٣) الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي ١٣٩ مركز الدراسات الإسلامية الأردن.

الفصل الذي عقدناه لذلك في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية - الطبعة الثالثة)^(١).

وقال أيضاً: (ومما قالوه فيهم: إن بساطهم قد طوي!! كأن العدالة موقوفة عليهم، والعصمة مختصة بهم! وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الإنسانية، فلا يعترهم ما يعترى كل إنسان من سهو أو خطأ أو وهم أو نسيان، ولا نقول الكذب والبهتان! فحاشاهم من ذلك!!

وماذا يقولون فيما جاء في القرآن الكريم عنهم ووصفه لأعمالهم، وأنه قد نزلت سورة خاصة بالمنافقين منهم وإن سورة براءة قد سميت (بالفاضحة)^(٢) لأنها فضحت جماعة منهم - وإن أكثرهم قد ارتدّ بعد موت الرسول ﷺ، وكذلك ما ورد فيهم من أحاديث صحيحة وأخبار متواترة.

إذا جابهتهم بذلك نبحوك ولعنوك، وقالوا: مرتد وزنديق وفاسق، ثم قذفوك بسبابهم وشتائمهم)^(٣).

٩ - وقال الدكتور هشام جعيط (تونسي) في كتابه:

(١) شيخ المضيرة أبو هريرة: ١١٩ ط دار المعارف بمصر.

(٢) أخرج البخاري عن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظننا أنها لم تبق أحداً - وهي تسمى كذلك المنقرة - لتنقيها عن أسرار المنافقين، والمخزية، والمثيرة، والحافرة، والمنكّلة، والمدممة، والمقشقة، والبعثرة، والمشردة، وتسمى سورة العذاب. (تفسير الكشاف للزخشري ٢: ١٣٦).

(٣) المصدر قبل السابق: ٢٦٣ - ٢٦٥.

(ولم يكن العقائديون الشيعيون هم الوحيدين الذين فكّروا بالأمر، ولن يظلوا الوحيدين، لقد اغتُصب حقّ عليّ في الخلافة، إنّها فكرة شائعة حتى في أيامنا في الضمير الإسلامي قاطبة عند الشيعة والسنيّة معاً، كما أنّ من الصعب على السنيين أن يتبعوا عقيدتهم التي تضع عليّاً بعد عثمان من حيث الفضل. في الواقع يتمتع عليّ بحب المسلمين كافة، إمّا لأن التشيع فرض رؤيته للإنسان - في أفريقية، في مصر، في العراق - بعد مروره فيها، وإمّا نتيجة الأسطورة الملحمية الحيّة على الدوام التي اتخذت عليّاً موضوعها، وإمّا لأنّه تعذّب من جراء رفضه وخسارته بينما كان حبيب النبي ﷺ^(١)).

١٠ - وقال خالد محمّد خالد في كتابه: لقد كانت حياته - الإمام عليّ - في دورها الأخير وقفاً على قضية كبرى... أن يعيد للإسلام حقيقته، وللمسلمين وحدتهم، وللدولة الإسلامية تماسكها وشرعيّتها واستقامتها.

أجل، كانت القضية التي نذر لها حياته هي ذي: أن يردّ الإسلام إلى حقيقته، وأن يردّ المسلمين إلى الإسلام، ولم يترك سلماً ولا حرباً يبلغان به

(١) (الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر) ترجمة خليل أحمد خليل، استاذ المعرفة والفلسفة الجامعة اللبنانية بمراجعة المؤلف، نشر دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط الثالثة سنة ١٩٩٥ م.

غايته النبيلة، هذه إلاّ توصل بهما في عدالة وشرف، ولقد كانت قضيته واضحة المحيّا، مشرقة الجبين، ناصعة الحجة، طاهرة الضمير...^(١).

هذه عشرة شواهد من نفثات الأقلام الحرّة الجريئة على ما تعرض له تاريخ رموز الصحابة في تاريخ الإسلام السياسي من تضبيب وتعتيم، ودون كشف الحجاب فشهروا مقولة (عدالة الأصحاب) وكأنتها آي من وحي الكتاب، ولو أغمضنا عن كل ما قيل ويقال في حقّ الصحابة، وما جرى منهم مع القرابة، فكيف بنا ونحن نقرأ لهم اعترافات خطيرة، تكشف زيف الكثير من رموز تاريخ الإسلام السياسي: ولما كانت الأعمال بخواتيمها كما في الحديث النبوي الشريف، فإنّ كثيرا من الصحابة زلزلت الدنيا أقدامهم، فخاضوا غمارها وراء الأهواء، ولما أحسّوا بدنو أجالهم، ندموا على ما فرطوا ولات مندم، فكانت منهم اعترافات بالخطأ، وأتهم أحدثوا بعد النبي ﷺ ما لم يكن ينبغي لهم أن يحدث، وهذا هو الذي حذرهم منه ﷺ كما في جملة أحاديث الحوض التي رواها البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم، وسيأتي ذكر بعضها. وقبل ذلك، فلنقرأ نماذج من الاعترافات الخطيرة.

(١) في رحاب علي: ١٨٠ — ١٨١ ط دار الأندلس بيروت.

رابعاً: اعترافات خطيرة تنسف تاريخ الإسلام السياسي والسيرة:

لقد عاش المسلمون تاريخهم الإسلامي السياسي من خلال الحُكَّام الذين بذلوا للمرتزقة، فرووا لهم أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ تمجّد بالصحابة نكاية بالقراية، حتى زرعوا في النفوس بذرة (عدالة الصحابة) ولكنهم لسوء حظهم لم يراعوا نبتتها وسقايتها، وحذف الدخيل عنها كما يصنع البستاني في مراعاة زرعه، بل جمعوا الصحابة تحت خيمة الإسلام السياسي حتى الذين مردوا على النفاق، وهذا عصفت به رياح أحاديث الحوض، وحسب القارئ منها ما رواه البخاري في صحيحه في عشرة موارد كما في (قطف الروض من أحاديث الحوض) وإليه ثلاثة منها أحدها عن ابن عباس:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير آخر سورة المائدة باب قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾^(١) بسنده عن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: (يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حُفَاة عِراء غرلاً، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢) إلى آخر الآية ثم قال: ألا وإنّ أول الخلائق يكسى يقوم القيامة إبراهيم، ألا وإنّه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال

(١) المائدة: ١١٧.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(١) فيقال إنّ هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم^(٢).

وثانيها عن أبي هريرة في كتاب الرقاق باب الحوض عن النبي ﷺ قال: بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم^(٣).

وثالثها عن ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ: إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول يا ربّي مَنّي ومن أمّتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم، فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم أنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا.

(١) المائدة: ١١٧.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٥٥.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٢١.

فهذه الأحاديث لا تلتقي مع فكرة عدالة الصحابة أجمعين أكتعين أبصعين، وتكشف عن زيف عقيدة الطحاوي وأضرابه ممن أفرط في حبهم حتى جاز حد الغلو فقالوا: (ونحب أصحاب الرسول ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)^(١).

ويقول أحمد بن حنبل: (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا حُدد في الحبس حتى يموت أو يرجع)^(٢).

وقال ابن حجر في الإصابة: (اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف ذلك إلا شذوذ من المبتدعة...

ومع الأسف الشديد، إن هذا الإطار والثناء، إنما هو هباء في الهواء، لأن القرآن الكريم أكذب هذه الأحادithe فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣) إلى غير ذلك من آيات فصلت - بدون محاباة أو ممالاة - مراتب الصحابة، فذكرت السابقين من

(١) شرح العقيدة الطحاوية.

(٢) كتاب السنة لأحمد وعقيدة أهل السنة.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

المهاجرين والأنصار فقال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (١) وهذا مدح عظيم، وليس لكل الصحابة فقد فضل بعضهم على بعض فقال تعالى في سورة الأنفال (الآية ٧٢): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إلى غير ذلك من آيات المدح والثناء على من استحق ذلك، وليس كل الصحابة كذلك فمنهم من ينكث من بعد مبايعته^(٢)، ومنهم ﴿الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣)، ومنهم من كان يرفع صوته على النبي ﷺ لجهالته وسمى أيضاً منهم الفاسق^(٤) وشنع عليهم فرارهم يوم حنين في نفس السورة.

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ بِاللَّهِ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَنْصُرْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠).

(٣) الحجرات: ٤.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢).

وكما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

وأما سورة التوبة فحسبنا قول ابن عباس فيها: ما زالت تنزل حتى ظننا
لن تترك أحداً إلا فضحته لذلك سميت الفاضحة، ودع عنك آيات في آل
عمران (١٢١ - ١٢٢ / ١٥٢ - ١٥٣ / ١٥٥) وفي سورة (الأحزاب / ٥٧) وسورة
(مريم / ٤ - ١٠) و سورة (الجمعة / ١١) وسورة المنافقين إلى غير ذلك من
آي الذكر الحكيم.

فمع هذا كله كيف يصحّ قول النووي في التقريب: (الصحابة كلّهم
عدول من لابس الفتنة وغيرهم)؟

وكيف يصحّ هذا مع قول ابن أبي مليكة: أدركت أكثر من خمسمائة من
أصحاب النبي ﷺ كل منهم يخشى على نفسه النفاق لأنه لا يدري ما
يختم له^(١).

وكيف يصحّ الغلو في الصحابة مع ما أخرجه الطبراني عن أم الفضل
وعبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ أنّه قام ليلة بمكة من الليل فقال:
(اللهم هل بلغت؟ ثلاث مرات، فقام عمر بن الخطاب - وكان أواهاً -
فقال: اللهم نعم فحرصت وجهدت ونصحت، اللهم نعم فحرصت
وجهدت ونصحت، فأصبح فقال: (ليظهرنّ الإيذان حتى يُردّ الكفر إلى
مواطنه، وليخاض البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون
فيه القرآن فيعلّمونه ويُقرؤونه، ثم يقولون قد قرأنا وعلمنا فمن ذا الذي
هو خير منا؟ فهل في أولئك من خير؟)

(١) أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ط أفتت المثني عن طبعة استنبول سنة ١٣٤٦هـ.

قالوا: يا رسول الله من أولئك؟ قال: (أولئك منكم وأولئك هم وقود النار)^(١). فبعد هذا لا غرابة في قول الصديقة الزهراء عليها السلام لصحابة أبيها في خطبتها في المسجد وقد حملتهم مسؤولية الانحراف: (حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه، أطلع الشيطان رأسه، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة ملاحظين ثم استنهضكم فوجدكم غضاباً فوسمتم غير أبلحكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، إنما زعمتم خوف الفتنة - ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^{(٢)(٣)} فهم في الفتنة سقطوا وهم في النهاية كما في بقية الآية، فلا عتاب بعد هذا على من رأى في بيعة السقيفة الفتنة هي السبب الأقوى والأول في تفريق كلمة المسلمين إلى يوم الدين.

وهذا ما اقتبسه دعبل الخزاعي فقال في تائيته العصماء ما يشير إليه:

وما سهّلت تلك المذاهب فيهم	على الناس إلا بيعة الفلتات
وما نال أصحاب السقيفة إمرة	بدعوى تراث بل بأمر ترات
ولو قلّدوا الموصى إليه أمورها	لزّمت بمأمون عن العثرات
أخا خاتم الرسل المصطفى من	ومفترس الأبطال في
فإن جحدوا كان الغدير شهيداً	وبدرٌ وأحد شامخ الهضبات

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٢: ١٩٤ ط الموصل.

(٢) رواه الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين ١: ٧٨. وغيره.

(٣) سورة التوبة الآية: ٤٩.

وأيّ من القرآن تتلى بفضله وإشاره بالقوت في اللزّبات
وغرّ خلالٍ أدركته بسبقها مناقب كانت فيه مؤتلفات^(١)
إذن ليس من الافتئات على بعض الصحابة حين يذكرهم شاعر أو ناثر
فيحمّلهم مسؤولية الانحراف حين غاب الرسول عن أمته فخالفوه في
وصيته كيف يعاتب أو يعاب عليه وهو يذكر عن بعضهم اعترافه بذلك،
وهي اعترافات جدّ خطيرة، تنسف تاريخ الإسلام السياسي والسيرة
نسفاً، كما مرّ في العنوان، ولتوثيق تلك الاعترافات نسوقها من مصادر
التراث السنّي الذي يدين لأصحابها بالمحبة والولاء، فضلاً عن التراث
الشيوعي الذي هو مظنة الافتراء فلتقرأ الإعترافات بعين القلب المفتوحة،
وليتدبّر القارئ ما تحمل حروفها اليسيرة من معان خطيرة، وليتجرّد من
رواسبه الموروثة وليصحح تلك المغالطات التي عاشها في تاريخه
الإعلامي المخادع الذي كانت تمليه عليه السلطة، فشبّ على ذلك وحتى
نمت فروعه على أصوله. وإنّ في هذا لبلاغ مبين لمن اهتدى، ومن ضل
فما أنا عليه بوكيل.

(١) ديوان دعبل جمع عبد الصاحب عمران الدجيلي ١٢٧ — ١٣٠ ط الثانية دار الكتاب اللبناني سنة

نماذج من الإعراف بالخلاف

١ - أبو بكر بن أبي قحافة، أخرج مالك بن أنس في الموطأ في كتاب الجهاد باب الشهداء في سبيل الله بسنده عن مولى عمر بن عبيد الله أنه بلغه أنّ رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم) فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله ﷺ: (بلى)، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي، فبكى أبو بكر ثم بكى، ثم قال: أئنا لكائنون بعدك؟^(١)

أقول: فهذا الحوار في الكلام مع النبي ﷺ، ثم الجوار بالبكاء وكله من أبي بكر، هو الذي بخرته الأيام القليلة فنسيه أبو بكر أوتناساه، فخاض غمرة الحياة بأساليب ما كان له ولا ينبغي لمثله في مكانته وقرباه من النبي ﷺ أن يخوضها، ولكنها الدنيا تصيّدت رجالاً بفخّها، فألهتهم بزينتها وزخرفها، وهم سرعان ما ندموا على مماشاتها ولات حين مندم. فماذا عن ندم أبي بكر؟ فقد أخرج ابن أبي شيبة وابن المبارك والمتقي الهندي أنّ أبا بكر قال: (والله لو ددت أنّي كنت شجرة إلى جانب الطريق مرّ عليّ جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني، ثم أخرجني بعراً ولم أكن بشراً) لماذا هذا الجزع؟ وممّ هذا الخوف؟ وعلى م هذا الندم؟

(١) الموطأ ١: ٣٠٧ بشرح تنوير الحوالك للسيوطي ط مصطفى محمد بمصر.

والجواب نسمعه منه من دون مواربة أو مداجاة فقد أخذ بلسانه وينضضه ويقول: ها إن ذا أوردني الموارد^(١).

ومن تلك الموارد المحزنة المخزية خطبته التي تحامل فيها ظالماً على الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من بعد ما سمع قوارص الكلم والتقريع من الزهراء عليها السلام في خطبتها فصعد المنبر وقال: (أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة؟ أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله ﷺ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنها هو ثعالة شهيده ذنبه، مربّ لكل فتنة، هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحب أهلها إليها الغوي - البغي - ألا وإني لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، إني ساكت ما تُرُكت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول الله ﷺ أنتم، فقد جاءكم فاوِتم ونصرتهم، ألا وإني لستُ باسماً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك ممّا؟ ثم نزل^(٢).

وهنا تعقيب لأم سلمة أم المؤمنين وهذا رواه الطبري الإمامي قال: فأطلعت أم سلمة رأسها من بابها وقالت: (أمثل فاطمة يقال هذا؟ وهي الحوراء بين الأنس، والأنس للنفس، رُبِيت في حجور الأنبياء، وتداولتها

(١) المصنف لابن شيبة ١٣: ٢٥٩ ط باكستان، ٩: ٦٦ و ١٤: ٥٦، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٣٣، وكتر

العمال ٣: ٤٧٨ ط حيدر آباد الحديثة).

(٢) شرح النهج ١٦: ٢١٤.

أيدي الملائكة، ونمت في المغارس الطاهرات، نشأت خير منشأ، ورُيِّت خير مربى. أترعمون أنّ رسول الله ﷺ حرّم عليها ميراثه ولم يعلمها وقد قال الله له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) أفأندرها وجاءت تطلبه؟ وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الأقران، تمت بأبيها رسالات ربّه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقرّ، فيوسّدها يمينه ويدّثرها شماله، رويداً فرسول الله بمرأى لأعينكم، وعلى الله تردون، فواها لكم وسوف تعلمون).

قال: فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها .

قال أبو جعفر - مؤلّف الكتاب - نظرت في جميع الروايات فلم أجد فيها أتم شرحاً، وأبلغ في الإلزام، وأؤكد في الحجة من هذه الرواية. ونظرت إلى رواية عبد الرحمن بن كثير فوجدته قد زاد في هذا الموضع: أنسيتم قول رسول الله ﷺ وبدأ بالولاية: أنت منّي بمنزلة هرون من موسى، وقوله: إني تارك فيكم الثقلين. ما أسرع ما أحدثتم، وأعجل ما نكثتم، وهو في بقية الحديث على السياقة^(٢).

وثمة تعقيب آخر لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي على ذلك أيضاً قال: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ قال: بل يصرح .

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) دلائل الإمامة للطبري الإمامي: ٣٩ ط الحيدرية سنة ١٣٦٩.

قلت: لو صرّح لما سألتك، فضحك وقال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام، قلت: هذا الكلام كلّه لعلّي يقوله؟ قال: نعم، إنّهُ المُلْكُ يا بُني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم^(١).

فكلام أبي بكر غير مقبول منه ولا يمكن الاعتذار عنه، ولعلّ هذا هو مبعث الندم فأخذ لسانه ينضضه ويقول: ها أن هذا أوردني الموارد، وأصرح من ذلك ندماً قوله في مثلثاته التي نفت بها في حديثه مع عبد الرحمن بن عوف، فقد جاء فيها: (فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على حرب...) ^(٢).

٢ - عمر بن الخطاب، وهو كصاحبه في شدة الاضطراب من مغبة الانقلاب الذي حدث بعد وفاة النبي ﷺ، وحسبنا قوله وقد أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني هذه التبنة، ليتني لم أك شيئاً، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسياً^(٣).

وأصرح من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة بسنده عن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري، قال

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٤ — ٢١٥.

(٢) راجع كتابنا: المحسن السبط مولود أم سقط: ٢٠٢ — ٢١٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣: ١: ٣٦٠ — ٣٦١ ط اوربا، المصنف لابن أبي شيبة ١٣: ٢٧٦، وكتاب الزهد

لابن المبارك: ٧٩.

قال لي عبد الله بن عمر هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال قلت لا قال: فإنَّ أبي قال لأبيك يا أبا موسى هل يسرك إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه، وعملنا كله معه بَرَدَ لنا (يرد لنا - كما في دليل القاري: ٥٢٠) وإنَّ كل عمل عملناه بعده نجونا منه كفافاً رأساً برأس. فقال أبي (أبوك - ظ): لا والله قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً، وأسلم على أيدينا بشر كثير، وانا لنرجو ذلك. فقال أبي: لكني أنا والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك بَرَدَ لنا، وإنَّ كل شيء عملناه بعد نجونا منه كفافاً رأساً برأس، فقلت: إنَّ أباك والله خير من أبي^(١). ومعنى (بَرَدَ لنا): أي ثبت لنا ثوابه ودام وخلص.

وفي حديث الفلته الذي رواه عمر جاء فيه قوله: (إنَّ الله أبقى رسوله بين أظهرنا ينزل عليه الوحي من الله يحلَّ به ويحرم، ثم قبض الله رسوله فرفع معه ما شاء أن يرفع، وأبقى منه ما شاء أن يبقى فتشبهنا ببعض وفاتنا بعض...)^(٢).

(١) صحيح البخاري ٥: ٦٤ ط بولاق سنة ١٣١٤، وأنظر جامع الأصول لابن الأثير ٩: ٣٦٣، ومشكاة

المصابيح: ٤٥٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٤: ٥٦٣، ومسند أحمد ١: ٥٥، وكنز العمال ٣: ١٣٩ ط الأولى.

وأخرج الهيثمي في حديث قال فيه عمر: وددت إنّي خرجت منها كفافاً لا لي ولا عليّ وإنّ صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي^(١).

٣- أنس بن مالك قال: ما نفضنا الأيدي من دفن رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا^(٢). وسمعه أبو عمران الجواني يقول: ما أعرف شيئاً ممّا كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ فقال له: أين الصلاة؟ قال: أولم تصنعوا في صلاتكم ما قد علمتم^(٣).

وذكر الشاطبي في كتابه عن أنس بن مالك قال: ما أعرف منكم ما كنت أعهد على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم: لا إله إلا الله قلنا: بلى يا أبا حمزة؟ قال: قد صليتم حتى تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ^(٤)؟.

٤- أبو الدرداء قال: لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئاً ممّا كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة، قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى بن يونس، فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان^(٥).

أقول: فكيف لو أدرك هؤلاء هذا الزمان.

(١) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان: ٥٣٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٣: ٣٦٤، وسنن ابن ماجة: ١١٩، وموارد الظمان: ٥٣٠، والسيرة الحلبية ٣:

٣٦٦ ط البهية بمصر.

(٣) صحيح الترمذي كتاب صفة القيامة باب ١٧.

(٤) كتاب الاعتصام للشاطبي: ج ١ / ١٥.

(٥) كتاب الاعتصام للشاطبي: ج ١ / ١٥.

٥ - أبي بن كعب قال: فوالله ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ قبض رسول الله ﷺ، وأيم الله لئن بقيت إلى يوم الجمعة لأقومن مقاماً أقتل فيه، فمات يوم الخميس^(١). (لأقولن قولاً لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني).

وقال: كان وجهنا على عهد رسول الله ﷺ واحداً، فلمّا توفي رسول الله ﷺ توجهنا هاهنا وهاهنا^(٢).

٦ - البراء بن عازب، أخرج البخاري في صحيحه عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب فقلت: طوبى لك صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة! فقال: يابن أخ إنك لا تدري ما أحدثنا بعده^(٣).

٧ - أبو سعيد الخدري لقيه المسيب قال له: هنيئاً لك برؤية رسول الله ﷺ وصحبته، قال: إنك لا تدري ما أحدثنا بعده^(٤).

٨ - الزبير بن العوام قال: لقد قرأنا قرآناً زماناً وما نرى اتّامن أهلها فإذا نحن المعنيون بها: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٥) قال البلاء والأمر الذي هو كائن^(٦).

(١) مشكاة المصابيح: ٩٩، طبقات ابن سعد ٣ ق ٢: ٦١.

(٢) الفتن لنعيم بن حماد: ٤١ تحذرة.

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ٧: ٥٧.

(٤) الإصابة لابن حجر ٣ ق ١: ٨٤.

٩ - حذيفة قال: ربّ يوم لو أتاني الموت لم أشك، فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري على ما أنا فيها وأوصى أبا مسعود فقال: عليك بما تعرف، وإياك والتلّون في دين الله.^(٣)

١٠ - عائشة أم المؤمنين لما احتضرت جزعت فقيل لها: أتجزعين يا أم المؤمنين وابنة أبي بكر؟ فقالت: إنّ يوم الجمل لمعرض في حلقي ليتني مت قبله وكنت نسياً منسياً^(٤).

وعن أنس قال: دخل جماعة على عائشة رضي الله عنها وهي محتضرة ييكون عندها فقال شخص: يا أمّاه ألا ندفنك عند رسول الله ﷺ؟ فقالت: إنّني أحدثت بعده ﷺ أموراً فأنا أستحي من لقاءه^(٥).

هذه عشرة نماذج من اعترافات الصحابة وهم من عليّة القوم، يقرّون على أنفسهم بأنهم أحدثوا بعد موت النبي ﷺ ما لا ينبغي أن يحدث، فما بالك بالآخرين دونهم، إنّها لفتنة عمياء أظلمتهم، وطخية سوداء غشيتهم، وما أحراهم بها وصفتهم به فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها - الكبيرة - : (أتقولون مات محمد ﷺ فخطب جليل، استوسع وهنه، واستنهر فتقه،

(١) الأنفال: ٢٥.

(٢) الحاشية لأبي نعيم ١: ٢٧٨، وراجع تهذيب ابن عساکر ٤: ١٠٤.

(٣) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٣/ ١٧٧.

(٤) بلاغات النساء: ٢٧.

(٥) كشف الغمة للشعراني ١: ٢١٧.

وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته،... فتلك والله النازلة الكبرى،
 والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، أعلى بها كتاب الله جلّ
 ثناؤه في أفئيتكم، في ممساكم ومصبحكم يهتف في أفئيتكم هتافاً وصراخاً،
 وتلاوة وألحاناً، ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء
 حتم. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
 عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ
 الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

خامساً: ماذا عن أسباب الخطب؟:

لعلّ أكثر القراء الذين يقرأون تاريخ الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السلام)،
 سيجدون تظلمها ممن ظلمها منصباً على المطالبة بحقها من فدك وسهم
 ذوي القربى، ولما منعها ذلك أبو بكر صارت تبتّ شكاوها للمسلمين
 تستنصرهم عليه. فتارة تخرج إلى المسجد النبوي لتعلن ذلك أمام الملاء من
 مهاجرين وأنصار، وأخرى تنفجر أمام النساء العائدات لها، وثالثة تميّز
 غيضاً على الشيخين فتقول في كلامها مع عائشة بنت طلحة: (ان نُحيف
 تيم وأحيوك عدي...). هذا ما يدركه عامة القراء لكلامها ويفسّرونه إنّه
 وليد انفعال هاج بها الحزن لفقد أبيها (عليه السلام) وغضب نحلها فقالت ما
 قالت، وطالبت ما طالبت.

(١) آل عمران: ١٤٤.

ولكن لو تخطينا حواجز ظواهر الألفاظ قليلاً وأمعنا النظر في سياق المعاني من خلال خلفيات الإعلان المحموم في المواطن كلها لتلك الظلامنة مع استذكار السلوك الحياتي لتلك الصديقة أم أبيها وهي بضعة منه، أدركنا أنّ الأمر أعمق من ذلك، وأعلى من النهج الساذج لمجريات الأحداث. ولو رجعنا إلى فهم شخصية تلك الإنسانية الفذة من خلال فهمنا لتحديداتها على ضوء ما قاله أبوها في حقها، لتبين لنا الوجه الآخر وراء تلك المواقف الصاخبة الناجبة.

فأبوها رسول الله ﷺ الذي عصمه الله تعالى من كل وصمة، فكان مثال كمال العصمة، إذ يقول الوحي فيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(١)، وهو يقول في ابنته: (فاطمة بضعة مني، يربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها)^(٢).

وقال ﷺ: (إنّ فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني)^(٣).

فهذا القول لم يكن مجرد عاطفة أبوية، خصها بها من دون البقية.

بل إنّه يعني منحها بحكم كونها بضعة منه نفس السمة التي كان يتمتع بها في التعامل مع الناس في تطبيق أحكام الدين، فإن أطاعوا الله تعالى سرّه ذلك، وإن عصوه ساءه ذلك، فحبه وبغضه في الله تعالى ورضاه

(١) النجم: ٣ — ٥.

(٢) صحيح مسلم فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة وسنن الترمذي أيضاً.

(٣) صحيح البخاري ٢٦: ٥ و ٣٦.

وسخطه لله تعالى، فهو لا يغضب إلا لله، فكَذلك كانت ابنته التي هي بضعة منه. ومن الطبيعي إن انحرف المسلمين عن نهج النبي ﷺ الذي أمرهم بالتزامه، موجب لغضبه، فكَذلك ابنته وقد رأت الانحراف ظاهراً منذ بيعة السقيفة، وغضب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حقه الشرعي، لأنّه الخليفة الذي عيّنه النبي ﷺ، لذلك غضبت لا لفوات الخلافة فحسب، بل لما يترتب على ذلك الغضب من سلبات تمسّ الجوهر، فهي إن غضبت لتعلن للملأ إن انحرفكم عن عليّ وهو صاحب الحقّ الشرعي سوف يؤدي بكم إلى مزالق خطيرة، وسوف تنحدرون إلى مهوى سحيق، حتى يتولى أموركم من لا حريجة له في الدين. وهذا ما قد حصل.

إذن فالمطالبة بفدك كانت وسيلة لا غاية، وهذا ما أدركه الشيخان قبل غيرهما، فلم يستكينا لحجتها على قوتها ومع اعترافهما بصدقها، ولم يستلينا لحرمتها مع عظمتها، بل أصراً - وأيّ إصرار - على منعها فدكاً، وردّ دعواها بكلّ ما أوتيا من قوّة وقد كلفهما ذلك الرد جهداً بالغاً في حياتهما، ونقداً لا ذعاً بعد وفاتهما، حتى ممّن يدين بخلافتهما.

فهذا ابن أبي الحديد - وهو من أشدّ المحامين عنهما في شرحه نهج البلاغة - قال: وسألت عليّ بن الفارقي مدرّس الغريبة ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسنأ مع ناموسه

وحرمة وقلة دعابته، قال: لو أعطاهما اليوم فداً بمجرد دعوها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يمكنه الإعتذار والموافقة بشيء، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود.

ثم قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل^(١).

فهذا الذي أدركه الشيخان أوردهما والمسلمين معهما المهالك، لأن ذلك أغضب فاطمة عليها السلام، ومن أغضب فاطمة أغضب رسول الله ﷺ ومن أغضب النبي أغضب الله تعالى، ومن أغضب الله فله عذاب أليم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾^(٢). ورسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَىٰ لِرِضَاكَ وَيَغْضَبُ لَغَضَبِكَ)^(٣).

ولا ينقضي العجب من الشيخين حين أتيا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبي ﷺ فقال له عمر - والقول له بروايته - : ما تقول فيما ترك رسول الله ﷺ ؟

(١) شرح النهج ١٦ : ٢٨٤ تح إبراهيم .

(٢) طه : ٨١ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني : ١٠٨ ، والمستدرک للحاكم ٣ : ١٥٤ وصححه، وجمع الزوائد ٩ : ٢٠٦ ومصادر أخرى كثيرة .

قال: (نحن أحق الناس برسول الله ﷺ) فقلت: والذي بخير؟ قال: (والذي بخير)، قلت: والذي بفدك؟ قال: (والذي بفدك) فقلت: أما والله حتى تحزوا الرقابنا بالمناشير^(١).

ولا شك أنها علمت بذلك فهي لم تخرج لتطالب بفدك وحدها، ولم توبخ المسلمين على عدم نصرتها من أجل استردادها، بل كانت صريحة في خطبتها وسبب إقامة دعواها، فهي حين تقول في فصلة من خطبتها بعد أن بيّنت ما أنعم الله به على المسلمين من نعمة الإسلام وذكرتهم بما كانوا عليه من شظف العيش وتفاهة الحياة وذلة النفوس^(٢).

(فلما اختار الله لنيّهِ دار أنبيائه، ومحل أصفياه، ظهرت حسيكة النفاق، وانسمل جلباب الدين، وأخلق عهده، وانتقض عقده، ونطق كاظم، ونبغ حامل، وهدر فنيق الباطل، يخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، صارخاً بكم، فألفاكم لدعوته مصغين، وللغرة ملاحظين، واستنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فخطمتم غير إيلكم، وأوردتموها غير شربكم، بداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣) هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يُقبر.

(١) مجمع الزوائد ٩: ٣٩ — ٤٠ ط القدسي بمصر.

(٢) نقلاً عن منال الطالب لابن الأثير ط الحانجي بمصر.

(٣) التوبة: ٤٩.

هيهات منكم، وأين بكم، وأتى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم،
زواجه قاهرة، وأوامره لائحة، وأدلتها واضحة، وأعلامه بيّنة، أرغبة -
ويحكم - عنه ﴿بَشِّرِ الظَّالِمِينَ بِدَلَاٍّ﴾^(١).

ثم لم تَرِثُوا بعد اجتهداد، إلّا رِثْماً سكنت نفرتها، وأسلس قيادها، تسرون
حسواً في ارتغاء، ونحن نصبر منكم على مثل وخز المدى، وأنتم الآن
تزعمون أن لا إرث لنا ولا حظّ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ
اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٢).

ثم إنّها عليها السلام قد عاشت تلك الأيام التي أوصى النبي ﷺ فيها أصحابه
في حياته برعايتها ومؤدتها فخالفوه ولم يمتثل إلّا القليل ممّن امتحن الله
قلبه بالإيمان، أمّا الرموز التي برزت على الساحة من بعده، فكانت معلنة
للمخالفة، بالرغم من التهديد والوعيد في كتاب الله تعالى لمن يخالف أمره
كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) المائدة: ٥٠.

(٣) النور: ٦٣.

فهل نسيت فاطمة عليها السلام يوم دعاهم - وهم مجتمعون عنده في الحجرة -
ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فخالفوه أمره، وقال قائلهم كلمته
النايبة الجافية (إنَّ الرجل يهجر!) ^(١)؟

وهل نسيت لعنه عليه السلام من تخلف عن جيش أسامة، وقد سمى أناساً
بأسمائهم ليخرجوا في ذلك الجيش وكان منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
وسمى آخرين من وجوه الصحابة، فلم يخرجوا؟

أم هل خفي عنها ما طرحه القوم بعد وفاة أبيها عليها السلام من إنكارهم
الوصية ^(٢)، وأنه قد ترك الأمر للأمة في سياسة الرعية؟

كل ذلك كان بمرأى منها ومسمع، وهي تعلم جيّداً عواقب ذلك
الخلاف، وماذا سينجم عنه من مآسي وويلات تطال الأمة جميعاً،
فهي عليها السلام كانت بدافع الحرص على سلامة الأمة من شرور الأهواء
وخطل الآراء تعلن عن نهج النبي عليه السلام الذي أمر بالتزامه، وبيّنه لهم قولاً
وعملاً منذ يوم غدير خمّ حين نصّب عليّاً إماماً وهادياً من بعده وقرن
موالاته بموالاته ومعاداته بمعاداته، وهذا ما سمعه كل من كان في ذلك

(١) صحيح البخاري في سبعة مواضع وغيره كما في موسوعة ابن عباس الجزء الثاني الحلقة الأولى.

(٢) رحم الله أحمد بن علي بن المرتضى بن المفضل الزيدي حيث يقول:

يقولون ما أوصى الرسول إلى امرئ إليه أمور المسلمين تؤول

فيا عجباً أبقى الرسول عظمة وعلمنا المختار كيف نبول

راجع مطلع البدور لابن أبي الرجال الباني ١: ٣٧.

اليوم وهم مائة ألف أو يزيدون، وأقام ثلاثة أيام فلم يريم، يأمرهم بمبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وشاعره حسان بن ثابت يهتف قائلاً:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟ فقالوا ولم يُبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق ممّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليّ فإنني رضيتك من بعدي إماماً
فمن كنت مولاه فهذا وليّـه فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا الله وال لله وكن للذي عادى عليّاً معاديا^(١)

وهي عليها السلام إنّما تذكّرهم بآيات الله البينات، وما أنزل الله تعالى من ترغيب وترهيب في اتباع أوامر النبي صلى الله عليه وآله والإنزجار عن نواهيه حرصاً على سلامتهم، ومنّ منهم ينكر ما أنزل الله في ذلك اليوم من قرآن يتلى إلى يوم القيامة، وهو قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً»^{(٢)(٣)}.

(١) الغدير للشيخ الأمين رحمته الله.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) راجع بشأن نزول الآية في ذلك اليوم الدر المشور للسيوطي ٣: ١٩، وتاريخ بغداد ٨: ٢٩٠، وشواهد

التنزيل للحسكاني ١: ٢٠١، ومناقب الخوارزمي: ٨٠ ط حجرية، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي:

١٨ ط حجرية، وفرائد السمطين للجويني الحنفي ١: ٧٢ وغيرها.

وهي عليها السلام إنما تبكي حزناً على أبيها صلى الله عليه وعليها، لأنها رأت أتعابه كادت أن تذهب أدراج الرياح وإن الناس كثير منهم عادت إليهم جاهليتهم، واستزلمهم الشيطان فألفاهم لدعوته مصيخين كما مر من قولها شاهداً على ما نقول. ولم لا تبكي وقد أهدق الخطر بالمسلمين وداهمهم الأعراب من خارج المدينة، ومن داخلها الذين مردوا على النفاق حتى قال عمرو بن ثابت أبي المقدام^(١): (كفر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أربعة - وفي رواية ابن حجر إلا خمسة -) ومهما يكن العدد، فإن ذلك يكشف عن عمق الشرخ الذي خلفته السقيفة، والجرح الذي لم يندمل ولن يندمل، ولولا موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحازم بفكره والحاسم بصبره لذهب كل فريق بما يهوى، واختفت كلمة الشهادتين في ضبابية الموقف لذلك أغضى عن منازعة القوم على الخلافة يومئذٍ، وأرجأ الأمر إلى حين، حفاظاً على وحدة الكلمة ولم يترك واجبه في نصرته الزهراء عليها السلام، فقد شاركها آلامها وأحزانها لفقد النبي صلى الله عليه وآله كما أنها عليها السلام لم تترك نصرته في المطالبة بحقه كما في صريح فقرات من خطبها - كما ستأتي - وحتى في

(١) لقد جرحه غير واحد وقالوا عنه رافضي خبيث رجل سوء ولكنه كان صدوقاً في الحديث، كذا قال أبو داود في السنن وقد أخرج له حديثاً، عن ابن عقيل في الاستحاضة، وقال في غير السنن: قد روى عنه سفيان وهو المشوم ليس يشبه حديثه أحاديث الشيعة، وجعل يقول: يعني إن أحاديثه مستقيمة، وقال في موضع آخر: ليس في حديثه نكارة، راجع ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمته ستجد ذلك وأكثر منه، ونحن نقول لهم: إن المنقول عنه في المقام هو من بعض حديثه، لأنه لم يكن يومئذٍ حاضراً لتأخر زمانه، فما قاله إلا رواية عن غيره وإن لم يصرح باسمه، فلنا حديثه وعليه وزر معتقده إن كان رجل سوء كما يقول أبو داود.

بكائها قد اتخذت منه وسيلة إعلامية تفضح غاصبيها إرثها وغاصبي زوجها حقه، وكانت تثير ببكائها العواطف، وتستدرف الدموع، وتنبه الحسّ الخامل عند الناس، ولم يخف هذا على الخالفين، فحاولوا منعها بحجة أنهم لا يقرّ لهم قرار لبكائها في الليل والنهار، وسألوا الإمام عليه السلام أن يسألها إمّا البكاء ليلاً أو نهاراً، فكانت عليها السلام تخرج إلى البقيع وتستظل بظل أراكة هناك عن حرارة الشمس فتبكي أباهما فعمدوا إليها فقطعوها فبنى لها الإمام بيتاً سَمّي بيت الأحران، وفي أدبيات التراث الشيعي شواهد عديدة على ذلك، كقول بعضهم:

ومذ ألفت ظل الأراكة لم تطب نفوس القوم إلّا بقطعها
وقول الآخر:

لا تراني اتخذت لا وعلاها بعد بيت الأحران بيت سرور
فكانت عليها السلام بتلك الحال وبالرغم من معاناتها تستنطق الأحاسيس، فتجواب معها بالبكاء، وهذا ما يبعث على الأمل والرجاء في يقظة الضمير ولو على أضعف الإيمان. وهذا ما قد حدث، فقد روى ابن الأثير وغيره أنّها عليها السلام بعد خطبتها الكبيرة انكفأت إلى قبر أبيها عليه السلام متمثلة بقول صفية بنت عبد المطلب وقيل أمانة:

قد كان بعدك أنباء وهنبشة لو كنت شاهداها لم تكثر الخُطْبُ

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها وغاب مدغبت عنا الوحي
تهضمتنا رجال واستخفّ بنا إذ بنت عنا فنحن اليوم نغتصب
أبدت رجال لنا فحوى لما فُقدت وحالت دونك الكتب
قال الرواة: فما رأينا يوماً أكثر باكيةً وباكية من ذلك اليوم.^(١)

فهذا بعض من إيجابيات خطبتها، فإنّ ندبتها لأبيها عقب خطبتها، والناس بعدُ على إجتماعهم يتطلعون إليها ماذا بعدُ لديها، ففاجأتهم بموقفها على قبر أبيها، وتنشدهم رسالتها الشعرية شاكية إليه ما لحق بها من الأذى بعد غيابه عنها، معبرة عن حرارة فقد الأب، ولا يستشعرها إلّا من حظي بنعمة الأبوة وحنانها وطعم لسانها. فكان الإمام عليه السلام قلنا وهو يشارك الصديقة حرارة الفاجعة ويشاطرهما ألم المصاب الفادح، يعاني مع ذلك الأمرين حرارة غضب الخلافة منه، وهو الذي محلّه منها محل القطب من الرحي، ومرارة الردة التي كادت تغزو المدينة بخيلها ورجلها. فرأى بالموازنة الصحيحة والموفقة، الإغضاء عن المطالبة بحقه إلى حين، وينصر كلمة الإسلام الذي هو أوّل من آمن به وضحّى في سبيله حتى استوت دعائمه وقام قائمه، وهذا ما قاله عليه السلام في كتابه إلى أهل مصر حين ولى مالك الأشتر عليها:

(١) بحاشية الأصل: واختل قومك لما غبت وانقلبوا. عن المصدر وفي الأبيات تحقيق حول قائلها ذكرته في

كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط؟) : ٢٤٥ — ٢٤٨ فراجع.

(٢) منال الطالب ٢ / ٥٧.

(أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين، ومهيئاً على المرسلين، فلما مضى ﷺ تنازع المسلمون الأمرين بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحَّوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكتُ يدي حتى رأيتُ راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهت) (١).

سادساً: ماذا نجم عن الخطب وآثارها؟:

فيما قرأنا عن أسباب الخطب، عرفنا ارتباطها الوثيق بأحداث بيعة الفلّة - كما سمّاها عمر وغير عمر، وسمّاها أحمد أمين بالغلطة وهي كذلك وأصدق تعبيراً - فكان ما أصاب الأمة من بعدها من نتائج سيئة لا يتحمل وزرها إلا من باء بها منذ يوم السقيفة وحتى اليوم وإلى يوم القيامة، وقد أشارت الصديقة (عليها السلام) في خطبتها الكبيرة والصغيرة إلى جملة

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده: ٢. رسالة / ٦٢ وشرح ابن أبي الحديد ج ١٧ / ١٥١ ط محفقة.

تَمَّا سِيحِدَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ الْإِنْحِرَافِ، فَأَيَّ تَعْبِيرٍ صَادِقٍ كَانَ مِنْهَا وَأَيَّ
إِنْذَارٍ صَارِخٍ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهَا لِنِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ:

(أَمَّا لَعْمَرِ إِيْهَكُنَّ، لَقَدْ لَقَحْتَ فَنظَرَةَ رِيْثِمًا تَنْتَجِ، ثُمَّ احْتَلَبُوا طِلَاعَ الْقَعْبِ
دَمًا عَبِيْطًا، وَذَعَا فَاً مَمْقَرًا، هُنَالِكَ يَخْسِرُ الْمَبْطُلُونَ، وَيَعْرِفُ التَّالُونَ غَبًّا مَا
أَسَّسَ الْأَوَّلُونَ، ثُمَّ طَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا، وَطَامَنُوا لِلْفِتْنَةِ جَأْشًا،
وَأَبْشَرُوا بِسَيْفِ صَارِمٍ، وَهَرَجَ شَامِلٍ، وَاسْتَبَدَّادَ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَدْعُ فَيْئَكُمْ
زَهِيْدًا، وَجَمْعَكُمْ حَصِيْدًا، فَيَا حَسْرَةً لَكُمْ، وَأَتَى بِكُمْ، وَقَدْ عُصِمَتْ عَلَيْكُمْ،
أَنْزَلَ مَكْمُوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ) إِنْذَارٌ مُخِيفٌ وَقَعَهُ كَوَقْعَ صَاعِقَةٍ عَادَ
وَتُمُوْدٌ، وَتَشَاوَمَ مِنَ مُسْتَقْبَلِ مُظْلَمٍ بِتَدَاعِيَاتِهِ وَمُبْتَدَعَاتِهِ، إِنَّهَا نَبْوَةٌ
صَادِقَةٌ مِنْ لَدُنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، وَهُوَ عَنْ وَحْيٍ مَنْزَلٍ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(١) فَقَدْ كَانَ يَسَّرُ
إِلَيْهَا مَا يَخْصُّهَا بِهِ مِنْ أَسْرَارِ الْكَائِنَاتِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ أَزْوَاجِ
فَضْلًا عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَهَذَا مَا حَدَّثَتْ بِهِ عَائِشَةُ، وَهِيَ شَاهِدَةٌ
ذَلِكَ الْمَشْهَدِ.

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه التي قبض فيها، فسارّها بشئ فبكت، ثم دعاها فسارّها فضحكت، ...^(١).

وقد روى مسلم هذا أيضاً بسنده عن مسروق عن عائشة قالت: كنّ أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهنّ واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رَحِبَ بها فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه - أو عن شماله - ثم سارّها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خَصَصَ رسول الله ﷺ من بين نسائه بأسرار ثم أنتِ تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سرّه، قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت عزمتُ عليك بما لي عليك من الحقّ لما حدّثتني ما قال لك رسول الله ﷺ، فقالت: أما الآن فنعم، أمّا حين سارّني في المرّة الأولى فأخبرني أنّ جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرّة أو مرتين، وأنّه عارضه الآن مرتين، وإنّي لا أرى الأجل إلّا قد اقترب، فاتقى الله واصبري فإنّه نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت.

(١) صحيح البخاري ٢١: ٥ ط بولاق باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة رضي الله عنها.

وأعاد مسلم الخبر بسند آخر عن مسروق عن عائشة وفيه: (وإنك أول أهلي لحوقاً بي)^(١).

ولما كانت عائشة معصومة بنص آية التطهير^(٢) وصديقة بنص قول النبي ﷺ^(٣) فهي حين تقول أمراً غيبياً، فهي تفرغ عن لسان أبيها، ومما علّمها واختصها به، فكانت تتلقى ذلك وتكتبه في أوراق جمعتها فسميت بمصحف فاطمة، وهو ليس فيه من القرآن آية، إنما اشتمل على علم ما سيكون من أحداث، فهي تخبر عما فيه، ولا بدع في ذلك ولا غرابة.

ألم يكن ﷺ يخبر المسلمين عما سيصيبهم من فتنة؟ ألم يقل لهم: (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير خبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)^(٤).

ألم يقل لهم: (إني فرطكم على الحوض من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم،

(١) صحيح مسلم ١٤٢: ٧ — ١٤٣ ط.

(٢) راجع كتاب عليّ إمام البررة ١: ٣٧١.

(٣) ن م ٢ / ٢٧٨.

(٤) راموز الأحاديث: ١٤٤ ط إسلامبول.

فأقول إيتهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي^(١).

ألم يقل لهم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شراً بشيراً، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لتبعتموهم. قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟^(٢)

ألم يخرج الشيخان عن أسامة بن زيد قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من أطام المدينة فقال: (هل ترون ما أرى؟) قالوا لا، قال: (فإنّي أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر)^(٣).

ولقد كان من هو دون فاطمة عليها السلام شأناً يعلمه النبي ﷺ من المغيبات، فهذا حذيفة بن اليمان يقول: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني؟ فقلت: يا رسول الله إنّنا كنّا في جاهلية وشرّ فجاء الله بهذا الخير. فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، فقلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنّتي، ويهدون بغير هديي، تعرف

(١) نفس المصدر: ١٤٥.

(٢) صحيح البخاري — الاعتصام — باب ١٤، ومسلم في كتاب العلم: ٦، وأحمد في مسنده ٣: ٨٤، ٨٩،

٩٤ وغيرهم.

(٣) جمع الفوائد ٢: ٤٤٤.

منهم وتنكر، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ فقال: فأعزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

وهذا الذي حدّث به حذيفة فقد أدركه وابتلي بما ابتلي به عامة المسلمين حين انحرفوا عن نهج رسول الله ﷺ ولنقرأ حديثه الآخر قال: (كنا مع رسول الله ﷺ فقال: أحصوا لي كم يلفظ الإسلام؟ قال: فقلنا يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة والسبعمائة؟ قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا، قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً^(١).

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة أيضاً قال: (أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا وقد سألته، إلا أنّي لم أسأله ما يُخرج أهل المدينة من المدينة؟)^(٢).

(١) صحيح مسلم ١: ٩١ ط صحيح كتاب الإيمان باب جواز الاستئثار للخائف .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كما في جامع الأصول لابن الأثير ١٢: ٦٣ .

وحذيفة هذا هو صاحب سرّ النبي ﷺ في معرفة المنافقين ، فكان يقول (ما من صاحب فتنة ... ألا ولو شئت أن أسمّيه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة ، كل ذلك مما علّمني رسول الله ﷺ ، ولو أحدثكم بما أعلم لافترقتم عليّ ثلاث فِرَق : فرقة تقاتلني ، وفرقة لا تناصرني ، وفرقة تكذبني) .

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وعنه في كنز العمال برقم (٣١٣٢٧) .

ولم يكن حذيفة وحده الذي أخبره النبي ﷺ بغيب الكائنات من بعده ، فقد روى عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال : (صلى رسول الله ﷺ يوماً الفجر، وصعد على المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلّى، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة، قال : فأعلّمنا أحفظنا^(١)).

إذن فلا غرابة فيما أنذرت به سيدة النساء فاطمة عليها السلام أمة أبيها، ممّا سيصيبها من البلاء، ويحدّق بأقطارها نتيجة الإعراض عمّا نهجه لهم خاتم الأنبياء ﷺ .

فمن العدل والإنصاف ، وبعيداً عن التعنت والاعتساف، ومن دون اشتطاط في الحكم أو تفريط أو افراط فلتقرأ الخطب بوعى وإمعان،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كما في جامع الأصول ١٢ : ٦٣ .

لمعرفة ما فيها من فصاحة بيان، وقوة برهان، فالخطوط البيانية العريضة التي رسمتها الصديقة عليها السلام في ثلاثة محاور مهمة:

أولها: ما تعلق بالتشريع سراً وحكمةً وعلةً وبياناً، إمثالاً وعصياناً، في العبادات والمعاملات والأخلاق.

ثانيها: ما تعلق بالمجتمع المسلم من مهاجرين وأنصار، وماذا لهم في الإسلام من حقوق وماذا عليهم من واجبات، فهم إذ نالوا حقوقهم ونعموا بها بفضل الإسلام الذي جاء به أبوها، فما بالهم قصّروا في الواجبات عليهم أزاءها، فقد تركوها لذلك عدلتهم وما عذرتهم، وعنقتهم بما وسع المقام من قوارص التعنيف.

ثالثها: ما تعلق بالجدل السياسي مع أبي بكر ومطالبته بالنحلة ثم بالميراث ثم بسّهم ذوي القربى، وفي كل ذلك تدلي بحجتها، وتقارعه سوط عتاب بلهجتها، فقصر عن مجاراتها، فاستظهر عليها بقوة المخاطلة والمخادعة وزيف الحديث وفوق ذلك بقوة السلطة.

ومن ثنايا خطبها نعرف زيف ما أشيع وأذيع بعد ذلك التاريخ من زعم الاختيار، وخدعة الشورى، وكذب الفلته، وقد كشفت حقيقة المعادلة المنظورة يومئذ بين المهاجرين والأنصار في تنازعهم الحكم والمساومة (منا الأمراء ومنكم الوزراء) وإنّما كانت خداعاً في خداع لاقتناص السلطة ونتيجة تأمر سابق وأمر قد دبر بليل كما يقول المثل.

وإذا تجرّد الإنسان من رواسبه وفكر جيداً في تاريخ تلك الحقبة، كما رواه المؤرخون وعاش أجواء تلك الخطب التي تلتها الصديقة الزهراء في ذلك المجتمع يومئذٍ يجدها حقبة مليئة بالمفارقات وتاريخها ملئ بالمغالطات، وأصدق الأنباء ما قالته سيدة النساء، فقد قالت ما كشف الزيف من خلال ما لحقها من الحيف، فخطبها بحق تعتبر وثائق متكاملة تحكي واقعاً مريراً وتنذر الأمة شراً مستطيراً، وهذا ما حدث، ولم يكن يومئذٍ من يملك قدرتها وقوتها على ما بها من ضعف الجسم والمزاج واعتلال الحال، ولكنها مع ما بها من آثار الحزن والمرض، تنبعث من موقف قوّة، تقيم الحجة، وتسوق البرهان، وتكيل العتب، وتنحي باللائمة، وتأتي بالدليل تلو الدليل، وتخطب الخالف خطاب ازدراء فتقول لأبي بكر وهو الخليفة (يا بن أبي قحافة أترث أباك ولا أترث أبي) وتقول له: (لقد جئت شيئاً فرياً فدونها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، الموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون، من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) وهذا ما حدا بابن أبي الحديد المعتزلي أن يقول: (لم يكن ذلك اليوم - أعني يوم حضور فاطمة عليها السلام، وقولها لأبي بكر ما قالت - يوم تقيه وخوف، وكيف يكون يوم تقيه وهي تقول له - وهو

الخليفة - يابن أبي قحافة، أترث أباك ولا أرت أبي، وتقول له: لقد جئت شيئاً فرياً^(١).

(أقول) وبموقفها يومئذ نسفت الكثير من المفاهيم الخاطئة التي أشاعها الإعلام السلطوي يومئذ ومن بعد ذلك.

وتبين منذ ذلك الموقف زيف الدعاوي التي قيلت أن النبي ﷺ مات ولم يوص إلى أحد، وبدت تثمر خطبها ﷺ ثمارها، من خلال تعالي أصوات الاستنكار، بدءاً من بني هاشم كما ستأتي الشواهد على ذلك، ولا غرابة لو انتصر الهاشميون للزهراء ﷺ في موقفها من خلافة أبي بكر، فلم يبايعوه إلا بعد مبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذلك بعد موت الصديقة بستة أشهر كما في رواية البخاري عن الزهري عن عروة عن عائشة وبعد أن أعرض الناس عن الإمام عليه السلام بعد موت الصديقة ﷺ فكان الحصار الإجتماعي عليه وعلى بني هاشم هو الذي اضطره إلى المبايعة، مضافاً إلى تأزم الموقف بسبب الردة.

كما لا غرابة لو تكاثرت أصوات النكير بعد ذلك حتى صار يوم السقيفة مضرب الأمثال لكل أساس فُرقة وأقتناص سلطة، وقيل في الأحداث التالية، إن ذلك من يوم السقيفة، ونظرة عابرة على تاريخ تلك الحقبة التي عاشتها الصديقة ﷺ بآلامها، نجد من بني هاشم رجالاً

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ٢٥٨.

ونساءً تسابقاً في أستنكار بيعة أبي بكر علانية بين جماهير المسلمين وفي
مجامع حشدهم.

فهذا العباس بن عبد المطلب قال حين بويع لأبي بكر

ما كنت أحسب أن الأمر
أليس أول من صُلّيَ لقبلكم
وأقرب الناس عهداً بالنبّيِّ ومَن
من فيه ما في جميع الناس كلّهم
ماذا الذي ردّكم عنه فنعرفه
عن هاشم ثم منها عن أبي
وأعلم الناس بالآثار والسنن
جبريل عون له في الغُسل
وليس في الناس ما فيه من
ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن^(١)
وهذا ابنه الفضل بن العباس قال: (يا معشر قريش وخصوصاً يا بني
تيم إنّكم إنّما أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن أهلها دونكم.. وانا لنعلم أنّ
عند صاحبنا عهداً وهو ينتهي إليه)^(٢).

وفي ترجمة الإمام في الاستيعاب نسبت الأبيات السابقة إليه، كما نسبت
إلى عتبة بن أبي لهب في تاريخ يعقوبي في خبر السقيفة.

وهذا العباس بن عتبة اللهبي أعلن عن المأساة بقوله:

من مبلغُ عنا النبيّ محمّداً أنّ الوريّ عادوا إلى العدوان

(١) فراند السمطين للحموي ٢: ٨٢ ح ٤٠١.

(٢) الأخبار الموقيات ٥٨٠ ح ٣٨٠، وتاريخ يعقوبي ٢: ١٢٤، وبلفظه: (يا معشر قريش أنّه ما حقت لكم
الخلافة بالتمويه ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم).

إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا — لَمْ يَعْدِلُوا إِلَّا عَنِ الْإِيمَانِ
غَضَبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَكَانَهُ — وَاسْتَأْثَرُوا بِالْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ
بَطَشُوا بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَإِحْرَزُوا — مِيرَاثَهَا طَعَنَّا عَلَى الْقُرْآنِ^(١)
وَمَا كَانَتْ نِسَاءُ الْهَاشِمِيَّاتِ بِأَقْلَ رِفْدًا وَنَصْرَةً لِلزُّهْرَاءِ عليها السلام مِنْ رِجَالِهِنَّ،
فَهَذِهِ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ خَرَجَتْ وَهِيَ تَلْمَعُ بِثُوبِهَا — يَعْنِي تَشِيرُ بِهِ
وَتَقُولُ: — عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ — لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرْ
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْ الْأَرْضُ وَابِلَهَا — وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَأَشْهَدَهُمْ فَقَدْ
قَدْ كَانَ جَبْرِيلُ بِالْآيَاتِ يُؤَنِّسُنَا — فغَابَ عَنَّا فَكَلَّ الْخَيْرَ مُحْتَجِبٌ
وَكُنْتَ نُورًا وَبَدْرًا يُسْتَضَاءُ بِهِ — عَلَيْكَ تَنْزَلُ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ
فَقَدْ رَزَنَّا بِمَا لَمْ يَرِزْ ذُو شَجْنٍ — مِنَ الْبَرِيَّةِ لَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبٌ^(٢)
وَقَدْ تَمَثَّلَتِ الصَّدِيقَةُ بِبَعْضِ هَذَا الشَّعْرِ عِنْدَمَا يُسْتَمَنُّ مِنْ نَصْرَةِ الْأَنْصَارِ
وَقَدْ خَذَلَهَا الْمَهَاجِرُونَ فَانْعَطَفَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا ﷺ قَائِلَةً:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ — لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرْ
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْ الْأَرْضُ وَابِلَهَا — وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَأَشْهَدَهُمْ وَلَا
وَرَوَى حَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ مَعَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بَيْتًا ثَالِثًا:

(١) احقاق الحق ١: ٨ — ٩ ط كتابفروشي إسلامية.

(٢) راجع كتابنا (المحسن السبط مولود أم سقط): ٢٤٦ — ٢٤٧ نجد تحقيقاً حول الأبيات.

فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك
وتوالت نفثات الاستنكار لبيعة السقيفة من بني هاشم رجالاً ونساءً
من يومها الأول كما قدمنا، وبقي الاستنكار لدى أولادهم وأحفادهم
يظهرون غضبهم على من غصب الخلافة منهم، وحرّمهم من حقوقهم
التي فرضها الله لهم.

فقد روى ابن أبي الحديد - في شرح النهج - عن أبي بكر محمد بن عبد
العزيز الجوهري - صاحب كتاب السقيفة - بسنده عن داود بن المبارك
قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ونحن
راجعون من الحجّ في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله،
فسألته عن أبي بكر وعمر فقال: سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن
عن هذه المسألة فقال: كانت أمي صديقة بنت نبيّ مرسل، فماتت وهي
غضبي على إنسان، فنحن غضابٌ لغضبها، وإذا رضيت رضينا^(١).

وجاء في مطلع البدور^(٢) في ترجمة عليّ بن حمزة بن وهاس: (ومن شعره
البيتان السائران في آل محمد مسير الأمثال:

يا أبا حفص الهويني وما كنت مليّاً لولا الحمام
أتموت البتول غضبي ونرضى ما كذا يصنع البنون الكرام

(١) شرح النهج للمعتزلي ٦: ٤٩ تح محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) مطلع البدور ٣: ٢٩٥.

وجاء في الهامش: (وقد روي معناهما لكامل أهل البيت - ويعني به محمد النفس الزكية ابن عبدالله المحض ابن الحسن المثنى - والإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام - وهو القاسم الرسي - وهو قولهما لمن سألهما قول أهل البيت في شأن فاطمة الزهراء والمشائخ، فقالا: كانت لنا أم صديقة ابنة صديق، ماتت غضبانة ونحن غاضبون لغضبها).

ولابن عباس كلام مع معاوية حين سأله عن وجه ادعاء بني هاشم أمر الخلافة دون غيرهم فقال ابن عباس: (ندعي هذا الأمر بحق من لولا حقه لم تقعد مقعدك هذا ونقول كان ترك الناس أن يرضوا بنا ويجتمعوا علينا حقاً ضيعوه وخطأً حرّموه... فأما الذي منعنا من طلب هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فعهدٌ منه إلينا، قبلنا فيه قوله، ودنا بتأويله، ولو أمرنا أن نأخذه على الوجه الذي نهانا عنه لأخذناه أو أعذرنا فيه، ولا يعاب أحد على ترك حقه، إنّما العيب من يطلب ما ليس له، وكل صواب نافع، وليس كل خطأ ضار. انتهت القضية إلى داود وسليمان فلم يفهمها داود وفهمها سليمان ولم يضر داود...).

إذن فلولا خطبة الصديقة في مسجد أبيها على ملاء من المسلمين لما بقي ما يثبت حقاً لأهل البيت عليهم السلام أو يميّط عنهم باطلاً، لأنّ التعقيم الإعلامي السلطوي كان قد شق طريقه إلى النفوس تدعّمه الرشاوى، والنفوس مجبولة على حبّ من أحسن إليها، وباعة الضمائر يسيل لعابهم للأصفر الرّتان، وقليل ما هم أمثال تلك العجوز الأنصارية من بني

عدي بن النجار التي رفضت ما بعث به إليها أبو بكر من مال وقالت:
أتراشونني عن ديني^(١).

وقد أيقظت السيدة الزهراء عليها السلام بخطبتها بعض الضمائر، فتحرّكت تلك الضمائر على استخذاء واستحياء فهتفت الأنصار باسم علي عليه السلام وكانت يقظة متأخرة، ونصرة فاترة، لذلك رفضتهم الصديقة عليها السلام مؤبّخة إياهم بعنف حين قال قائلهم: (لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن يُبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره) فصفعتهم على وجوههم الشوهاء صفعة الإزدراء قائلة: (إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ولا أمر بعد تقصيركم)^(٢).

وفي رواية الطبري الإمامي قال لها رافع بن رفاع الزرقي وقد تبعها:
(يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن تكلم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد ما عدلنا به أحداً) فقالت بردنها: إليك عني فما جعل الله لأحد بعد غدِير خم من حجة ولا عذر).

بعد هذا الموقف الرهيب، الذي كشفت فيه زيف المبطلين في مزاعمهم وتركت القضية بتمام حجمها ودلالاتها، وما سوف يتبعها من تداعياتها أمام جميع المسلمين، منذ يوم أصحرت بها وستبقى إلى يوم يبعثون، يعيشها كل مسلم واع داخل ضميره فيفرّق بين الحق والباطل، ثم هو

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٥٨٠ ط مصر.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ١٤٩ ط النعمان.

ليحاسب نفسه أمام هذه القضية ، لمعرفة المحقّ من المبتل ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَيَبْتَلِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (آل عمران / ١٥٤) .

ولا شك أن قلب المؤمن غير قلب المنافق ، وإن جمعتها هوية الإسلام ولكن الله ليميز الخبيث من الطيب فلا بد لهما من امتحان ، فقد قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ • وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(١) .

(١) العنكبوت : ١ - ٣ .

المبحث الأول: مصادر النص في التراث الشيعي

من الطبيعي أن يكون للباحث في التراث الشيعي كبير الأمل بكثرة مصادر النص للخطب الفاطمية، أكثر مما حفلت به مصادر التراث السنّي، ولكن لدى التحقيق ومقارنة ما بين التراثين في فترة ما بين العهدين - عهد الصدور وعهد آخر المسطور - نجد التفاوت غير ذي بال، خصوصاً إذا لاحظنا الرواة في مصادر التراثين، حيث تتداخل الأسماء فيهما، ويروى كل تراث عن رجال التراث الآخر، ولعلّ الغرابة أن نجد التراث الشيعي يرجع في أصوله الأولى إلى مصدرين قديمين من مصادر التراث السنّي وهما بلاغات النساء لابن طيفور وكتاب السقيفة للجوهري كما سيأتي الحديث عنهما، مع أننا نجد فيه ذكر اهتمام أهل البيت عليهم السلام برواية الخطب الفاطمية، فكانوا يتداولونها حفظاً ويأمرّون أبناءهم بحفظها، فلماذا إذن الرجوع إلى مصادر التراث السنّي مع الغنى عنه برواية الخطب بالأسانيد الشيعية؟ سؤال يفرض نفسه، ولكن الجواب بكلّ بساطة إنّما ذلك من باب إلزام الخصم المعاند، المشكك في صحّة الصدور. فإذا ما اتفقت رواية الفريقين للنص، يحصل اليقين بصحة المروي، ولا مجال للطعن والتشكيك، كما لا معنى للتحوير والتزوير في المضامين، لصراحتهما التي تأبى التفسير بغير ما هو صريح العبارة بلا تعميم أو إشارة.

والآن إلى القارئ ذكر من روى الخطبة الكبيرة بفصولها الثلاثة أو بعضها، ثم نذكر من روى الخطبتين الآخرين بعد ذلك:

رواة الخطبة الكبيرة وهم بحسب تسلسلهم الزمني.

١ - الشيخ الجليل محمد بن جرير الطبري الإمامي من أعظم علماء الإمامية في القرن الخامس، فقد أخرج الخطبة بتمامها في كتابه دلائل الإمامة^(١) بستة أسانيد، تنتهي إلى ابن عباس وإلى زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام. وإلى عبد الله - المحض - ابن الحسن المثنى - ابن الحسن السبط عن آبائه.

وإلى زيد بن علي بن الحسين عن آبائه، وسيأتي ما يتعلق برجال هذه الأسانيد في الباب الرابع في محاور التوثيق.

٢ - الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ أخرج الفصل الأول من الخطبة - المتضمن بيان علل الشرائع وأصول الأحكام - في كتابه علل الشرائع بثلاثة أسانيد تنتهي إلى زينب بنت علي عليها السلام، وسيأتي النص عنه في النصوص المختارة.

٣ - أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤) روى الفصل الثاني من الخطبة قال: حدّثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدّثني أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال: حدّثنا الزيادي قال: حدّثنا شرقي بن

(١) دلائل الإمامة: ٣١ - ٣٩ ط الحيدرية في النجف الأشرف سنة ١٣٦٩ هـ.

قطامي عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنا صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها...

قال المرزباني: وحدّثنا أبو بكر أحمد بن محمد المكي، قال: حدّثنا أبو العيناء محمد بن القاسم البيامي قال: حدّثنا ابن عائشة قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقبلت فاطمة عليها السلام في لمة من حفدتها... - وذكر تمام الفصل الثاني من الخطبة - . ثم ساق المرزباني ما اتفقت عليه روايتا عروة عن عائشة وأبي العيناء عن ابن عائشة، إلى قولها عليها السلام: (وأنتم في رفاة فكهون آمنون وادعون) قال المرزباني: إلى هاهنا انتهى خبر أبي العيناء عن ابن عائشة. وزاد عروة عن عائشة (حتى إذا اختار الله لنبّه دار أنبيائه... وذكر باقي الفصل برواية عروة عن عائشة... وسيأتي بقية الكلام للمرزباني حول توثيق الخطبة في الباب الرابع في محاور التوثيق.

٤ - أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١) روى من الخطبة الفصل الثاني والثالث في كتابه نثر الدر^(١).

٥ - الشريف المرتضى (ت ٤٣٦) أخرج الفصل الثاني من الخطبة بروايته عن المرزباني السابق ذكره بأسانيده المذكورة آنفاً^(٢).

(١) نثر الدر في المحاضرات ٤ : ٥ ط دار الكتب العلمية بيروت بتحقيق خالد عبد الغني محفوظ.

(٢) راجع الشافي : ٢٣٠ ط حصرية سنة ١٣٠١ .

٦ - الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠)^(١) - أخرج - ما ذكره الشريف المرتضى - في كتابه تلخيص الشافي .

٧ - الشيخ الطبرسي (من أعلام القرن السادس) روى تمام الخطبة في كتابه الاحتجاج^(٢).

٨ - السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) روى الخطبة في كتابه الطرائف^(٣).

٩ - علي بن عيسى الإربلي (ت ٦٩٢) روى الخطبة بتمامها في كتابه كشف الغمة^(٤). وهو نقلها عن كتاب السقيفة للجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها في ربيع الآخر سنة ٣٢٢ هـ. وهناك مصادر أخرى كثيرة، نقل عنها الشيخ المجلسي في بحار الأنوار^(٥) وقد تناولها جمع بالشروح والتعليق^(٦).

وأما مصادر الخطبة الثانية في التراث الشيعي فلاحظ:

١ - معاني الأخبار للشيخ الصدوق (ت ٣٨١).

٢ - دلائل الإمامة للطبري الامامي من علماء القرن الخامس الهجري.

(١) أخرج في تلخيص الشافي ٣: ١٣٩ - ١٤٥ ط مكتبة العلمين.

(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج: ٦١ - ٦٦ ط المرتضوية سنة ١٣٥٠ هـ.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف .

(٤) كشف الغمة: ٤٥٣ ط منشورات الشريف الرضي بقم.

(٥) في بحار الأنوار ٢٩ / باب ١١ نزول الآيات في أمر فذك.

(٦) راجع كتاب الذريعة، إلى تصانيف الشيعة ج ١٣ / ٢٢٤ - ٢٢٥ باسم شرح خطبة اللمة.

٣- نشر الدر للوزير الدّبي.

٤ - كشف الغمة للإربلي.

٥ - الاحتجاج للطبرسي.

وأما مصادر الخطبة الثالثة ففي امالي الشيخ الطوسي ج ١ / ٣٨٤ ط
النعمان.

المبحث الثاني: في مصادر التراث السني

(أولاً) الخطبة الكبيرة: وهي ذات ثلاثة فصول:

(فإنّها من محاسن الخطب وبدايعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من أرج الرسالة، وقد أوردتها المؤلف والمخالف) هكذا تحدث عنها الإربلي (ت ٦٩٢) وقد أوردها في كتابه كشف الغمة نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها في ربيع الآخر سنة ٣٢٢ روى عن رجاله من عدة طرق.

ولا امتراء في توثيق الجوهري وإنّه عالم محدث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون، ورووا عنه مصنفاته كما قاله ابن أبي الحديد وهو قد روى الخطبة عن عمر بن شبة، وهذا أيضاً وثقه الدارقطني وابن أبي حاتم والخطيب وغيرهم كما في تهذيب التهذيب ٧ / ٤٦٠، وذكرنا في كتاب المحسن السبط نقل ما قالوه فيه أيضاً وذكرنا أنّ وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة (٢٦٢)، فيعدّ هو أول من وصلت إلينا الخطبة عن طريقه من التراث السني، ومن بعده يأتي ابن طيفور (ت ٣٨٠) فقد رواها في بلاغات النساء، بإسناده كما سيأتي ذكره في النصوص^(١) - وثالث القوم - بعد عمر بن شبة وابن طيفور - هو ابن قتيبة (ت ٢٧٦) فقد أشار إلى

(١) بلاغات النساء: ١٤.

الخطبة في كتابه (غريب الحديث) (٢٦٠) فقال: لَمَّة الرجل من النساء مثله في السنّ. ومنه قيل في الحديث الموضوع على فاطمة رحمها الله، إنها خرجت في لَمَّة من نسائها تتوطأ ذيوها، حتى دخلت على أبي بكر فكلّمته بذلك الكلام. وقد كنت كتبتّه وأنا أرى أنّ له أصلاً، ثم سألت عنه رجال الحديث فقال لي بعض نقلة الأخبار: أنا أسنّ من هذا الحديث وأعرف من عمله!

أقول: ليت ابن قتيبة سمّى لنا مَنْ ذا الَّذي سأله من رجال الحديث؟ وما اسم ذلك البعض من نقلة الأخبار الَّذي قال له هو أسنّ من الحديث؟ ثم لماذا لم يسمّ له مَنْ عمله ما دام يزعم معرفته؟ وأخيراً ما دام قرّر عند ابن قتيبة أنّه موضوع معتمداً على مقالة مجهول عن مجهول، فلماذا استشهد به ما دام موضوعاً؟

والغريب أن يقول ابن قتيبة ذلك، ومعاصره ابن طيفور ذكر الخطبة في كتاب (بلاغات النساء) وهو كتاب مطبوع بمصر قبل قرن تقريباً، ثم أنّ ابن قتيبة ذكر بعدما تقدّم أنّ فاطمة عليها السلام قالت بعد موت أبيها عليه السلام:

قد كان بعدك أنباء وهنشة لو كنت شاهداً لم تكثر

إنّا فقدناك فقد الأرض واختل قومك فأشهدهم
وهذا الكلام قالت بعد كلامها الذي زعم أنه موضوع، فعمّن رواه؟
ولماذا ذكره؟

والرابع من رواة الخطبة في تصانيفهم هو أبو بكر أحمد بن عبد العزيز
الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣^(١) المشار إليه آنفاً فقد روى الخطبة في كتابه
السقيفة، وعنه نقلها الإربلي كما تقدم.

ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج نقله عن الجوهري^(٢).

والخامس أبو الحسن عليّ بن الحسين المسعودي الشافعي المتوفى (٣٤٦)
رواها في كتابه أخبار الزمان كما أشار إلى ذلك في كتابه مروج الذهب
فقال: (في آخر أخبار أبي بكر وقد أعرضنا عن ذكر كثير من الأخبار في
هذا الكتاب طلباً للاختصار والإيجاز فيها... وعدّد أموراً كثيرة إلى أن
قال... وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت إلى قبر أبيها عليها السلام
من قول صفية بنت عبد المطلب:

قد كان بعدك أنباء وهنبشة لو كنت شاهداً لم تكثر الخطب^(٣)

(١) لقد مرّ ما يتعلّق بالبيتين ونسبتهما إلى الصّدّيقة إنشاءً أو إنشاداً. وقد ذكرهما أهل اللغة في (هنب) فراجع
النهاية لابن الأثير ٥: ٧٧، والفائق للزنجشري ٤: ١١٦، ولسان العرب لابن منظور ٢: ١٩٩ ط أفت
بولاقي.

(٢) أخبار الرازي للصولي: ٦٤.

(٣) شرح النهج للمعزّي ١٦: ٢١٠ تحمّد أبو الفضل إبراهيم.

والسادس أبو بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني المتوفى سنة ٤١٠ هـ أخرج من الخطبة الكبيرة الفصل الثاني وهو ما جرى لها مع أبي بكر دون الفصل الأول في محاسن التشريع وعلل الأحكام، ودون الفصل الثالث في كلامها مع الأنصار.

ورواها عنه أخطب خوارزم الحنفي ت ٥٦٨^(١) وهو:

السابع من رواة الخطبة ، وقد روى منها الفصل الثاني فقط بإسناده .

والثامن من رواة الخطبة ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد المتوفى سنة ٦٠٦ هـ رواها في كتابه منال الطالب في شرح طوال الغرائب وستأتي صورة ما عنده وقد ضمت الفصلين الأخيرين دون الفصل الأول الذي هو في حكمة التشريع وقال: افتتحت الكلام بالحمد لله والثناء عليه، والصلاة على رسوله في كلام طويل من الثناء والتحميد^(٢).

والتاسع سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ روى عن الشعبي مرسلًا شيئاً من الخطبة وستأتي روايته الكاشفة عن صورته الكاسفة.

والعاشر عبد الحميد بن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٥ هـ روى الخطبة مرتين أولاهما نقلاً عن كتاب فذك والسقيفة للجوهري وستأتي روايته وثانيتهما

(١) مروج الذهب ٢: ٣١٠ — ٣١١ تح محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٧.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٧٧.

(٣) منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير.

برواية الشريف المرتضى في الشافي بإسناده، وستأتي روايتهما معاً عند ابن أبي الحديد للفتاوت فيما بينها في بعض الألفاظ.

والحادي عشر ابن الدمشقي الباعوني المتوفى سنة ٨٧٦ روى من الخطبة الفصل الثاني في كتابه جواهر المطالب^(١).

وأخيراً لا آخرأ وهو الثاني عشر عمر رضا كحالة في كتابه أعلام النساء ذكر ترجمة السيدة فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام، وذكر الفصلين الثاني والثالث من الخطبة الكبيرة وتمام الخطبة الثانية^(٢).

ولم تخل الترجمة من روايب المهمة والغممة، كما أنه لم يكن هو الوحيد من المتأخرين الذين ذكروا من الخطبة الفصلين الثاني والثالث معاً، فثمة جماعة من الكتاب الباحثين المحدثين ذكروا ذلك:

١ - فمنهم الكاتب المصري الشهير عباس محمود العقاد^(٣). وذكر من الخطبة فصلها الثاني ثم الثالث وحسبها روايتين لخطبة واحدة وفاته أتمها فصلان من خطبة واحدة نقلاً عن بلاغات النساء، وله تعقيب عليها سيأتي في الباب الرابع في محاور التوثيق في الأسلوب.

٢ - ومنهم توفيق أبو علم^(٤).

(١) جواهر المطالب ١: ١٥٥ تح المحمودي.

(٢) أعلام النساء ٤: ١٠٨ — ١٣٢ ط الثانية المطبعة الهاشمية بدمشق.

(٣) في المجموعة الكاملة كتابه فاطمة بنت محمد عليها السلام، وفي ج ٣: ٤٦ ط دار الكتاب اللبناني.

(٤) في كتابه فاطمة وأهل البيت: ١٥٦ ط السعادة بمصر.

٣ - ومنهم أحمد حسين يعقوب^(١).

٤ - ومنهم عبد المنعم حسن^(٢).

٥ - ومنهم طارق بن زين العابدين^(٣).

٦ - ومنهم محمد بيومي المصري^(٤).

ومنهم ومنهم... إلى غير هؤلاء.

(ثانياً) الخطبة الثانية مع نساء المهاجرين والأنصار:

فأقدم من رواها أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠) في المختار الثالث ممّا اختاره من كلام الصديقة عليها السلام^(٥)، قال: وحدثني هارون بن مسلم بن سعدان عن الحسن بن علوان عن عطية العوفي قال: لما مرضت فاطمة عليها السلام...

ورواها أبو بكر محمد بن عبدالعزيز الجوهري (ت ٣٢٣) في كتابيه السقيفة وفدك، وهو رواها عن محمد بن زكريا (وهو الغلابي المتوفى سنة

(١) في كتابه الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية: ٣١٧ و٣٢٣، دار الفجر لندن .

(٢) في كتابه (بنور فاطمة اهتديت): ٨٦ ط دار المعروف بيروت سنة ١٤١٩ هـ.

(٣) في كتابه (دعوة إلى سبيل المؤمنين): ٨٢ ط مؤسسة الطبع والنشر الأستانة الرضوية المقدسة سنة ١٤١٨ هـ.

(٤) في كتابه (السيدة فاطمة الزهراء): ١٤٢ ط الثانية سنة ١٤١٨ هـ.

(٥) بلاغات النساء: ٣٢.

٢٩٨) عن محمد بن عبدالرحمن المهلبى عن عبد الله بن حماد بن سليمان
عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام.
وقد رواها ابن أبي الحديد^(١).

وقد مرّ في مصادر هذه الخطبة في التراث الشيعي روايتها عن بعض
رجال العامة، فلاحظ معاني الأخبار للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) ودلائل
الإمامة للطبري ونثر الدرر للوزير الآبي والاحتجاج للطبرسي وكشف
الغمة للإربلي (ت ٦٩٢) وغيرهم.

(ثالثاً) الخطبة الثالثة:

وهي كلامها مع عائشة بنت طلحة، وهذا لم أقف عليه في مصدر من
التراث السنّي بل هي مروية في التراث الشيعي كما مرّ^(٢).

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٦: ٢٣٣ تحمّد أبو الفضل إبراهيم نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري المذكور.

(٢) لاحظ أمالي الشيخ الطوسي ١: ٣٨٤ في الحديث ٥٥ ط النعمان.

المبحث الثالث: النصوص المختارة

لقد سبق منّا في المبحثين السابقين ذكر مصادر الخطب الفاطمية في التراث الإسلامي - الشيعي والسني - وتبين أنّ القطبين يتجاذبان الخطب رواية وتسجيلاً، وكادا أن يكونا متقاربين في العرض والعدد، وفي كل منهما ما هو مسلسل الإسناد، منذ صاحب الكتاب وحتى الرواة الأوائل، ومن رواها مرسلّة فإنّها ذلك، لثبوتها لديه، لأنّ شهرتها تغنيه عن ذكر السند.

وأنا الآن أمامي صور مجموعة النصوص من مصادرها المطبوعة في التراثين ونظراً لكثرتها، ووحدة ما فيها إجمالاً - وان تفاوت النص فيها أحياناً - سأختار من التراث الشيعي نصّاً واحداً، وهو في أقدم ما وصل إلينا من المصادر في التراث الشيعي وصاحبه من رجال القرن الخامس الهجري، وهو محمد بن جرير الطبري الإمامي، ويمتاز بذكره أسانيد لرواية الخطب، وهي تسعة أسانيد ساقها بتفصيل، زيادة في التوثيق، وستأتي أسماء رجالها في الباب الرابع في محاور التوثيق، وقفة مع الاسناد، ولم أجد في جملة المصادر في التراثين من ضاهاه في هذه الناحية، فقد يذكر المؤلف سنداً واحداً أو سنيين ولا يتعداهما أمّا الطبري الإمامي فقد جاز القنطرة - إن صحّ التعبير - وأتى بما لم نجده عند غيره. ثم أذكر ما عند

الشيخ الصدوق من شرح الخطبة الثانية. واتبعه بما في أمالي الشيخ الطوسي من كلامها ^{عليها} مع عائشة بنت طلحة.

أمّا عن التراث السنّي فأعرض أمام القارئ خمسة نصوص مصوّرة عن مصادرها المطبوعة، دفعاً للشك والشبهة، ولئلاً يقول متنطع هلاًّ آتيت بها إن كنت صادقاً، أو أنّك آتيت بها محرّرة ومزوّرة، وهذه نعمة شاعت في العصور المتأخّرة، وتلك بلية المفلسين إذا أبلسوا عند قيام الحجة، فليس لديهم إلّا الإنكار والإستكبار، ولو أنّهم آمنوا واتبّعوا الحقّ لكان خيراً لهم، ولكنّ حبال الشيطان تردي الإنسان.

والنصوص التي سأعرضها مصوّرة عن مصادرها هي:

١ - رواية الشعبي (ت ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧)، وقد ذكرها سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) مراسلاً في كتابه تذكرة الخواص وهي على اختصارها تنبئ عن وقاحة الشعبي لعدم روايته فصل الخطبة كما هو، وقباحة فعل السبط إذ اختار هذه الرواية المرسلة دون بقية الروايات المسندة التي هي أكمل منها.

٢ - صورة النص عن كتاب (بلاغات النساء) لابن طيفور (ت ٢٨٠).

٣ - صورة النص عن كتاب (السقيفة) للجوهري (ت ٣٢٣) برواية ابن أبي الحديد الشافعي في شرح نهج البلاغة وما عقّب به من كلام يكشف عن تعصبه المقيت على من خالف هواه.

٤ - صورة النص عن كتاب (مقتل الحسين) للخوارزمي الحنفي (ت ٥٦٨).

٥ - صورة النص عن كتاب (منال الطالب) لابن الأثير (ت ٦٠٦).

٦ - صورة النص عن كتاب (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة وسأذكرها وما كتبه في ترجمتها كما هو.

وإنما أكثر من ذكر الصور من التراث السنّي دون الشيعي ، لأنّ أكثر المشكّكين هم من السنّة، فكثرة صورها ومن مصادرها السنّية أبلغ في إقامة الحجة من باب (من فمك أدینك) ولو أنّ المشكّك أنصف نفسه، وتلا الخطب بإمعان، لآمن بصحتها لبلاغتها وفصاحتها، كما سيأتي مزيد بيان عن هذا الجانب في الباب الرابع في روعة الاسلوب وقوّة الحجة.

والآن إلى مختار النصوص من التراث

النصوص من التراث الشيعي

النص الأول: (دلائل الإمامة) لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري من أعظم علماء الإمامية في المائة الخامسة.

حديث فذك

حدّثني أبو الفضل محمد بن عبد الله، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عثمان بن سعيد الزيات، قال: حدّثنا محمد بن الحسين الغصباني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي السكوني، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب الربعي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منع فذك...

وأخبرني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا أبي عليه السلام، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال حدّثني محمد بن الفضل بن إبراهيم بن الفضل بن قيس الأشعري، قال: حدّثنا علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، قالت: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فذكاً...

قال أبو العباس: وحدّثنا محمد بن الفضل بن إبراهيم الأشعري، قال:

حدّثني أبي، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عمرو بن عثمان الجعفي، قال: حدّثني أبي، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جده عليّ بن الحسين، عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، وغير واحد أن فاطمة لما أجمع أبو بكر على منعها فذكاً...

وحدّثني القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر بن سهل ابن حمران الدقاق، قال: حدّثني أم الفضل خديجة بنت محمّد بن أحمد بن أبي الثلج، قالت: حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد الصفواني، قال: حدّثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي البصري، قال: حدّثنا محمّد بن زكريا، قال: حدّثنا جعفر بن عمارة الكندي، قال: حدّثني أبي، عن الحسن بن صالح بن حي - قال: وما رأيت عينا مثله - قال: حدّثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت عليّ عليها السلام، قالت: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منع فذك، وانصرف وكيّلها عنها، لاثت خمارها... وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدّثني محمّد بن محمّد بن يزيد مولى بني هاشم، قال: حدّثني عبد الله بن محمّد بن سليمان، بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن عبد الله بن الحسن بن الحسن، عن جماعة من أهله... وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدثني أبي، عن عثمان^(١)، قال: حدثنا نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن آبائه وذكر الحديث.

قال الصفواني: وحدثنا عبد الله بن الضحاك^(٢)، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه وعوانة^(٣).

قال الصفواني: وحدثنا ابن عائشة^(٤) ببعضه .

وحدثنا العباس بن بكار، قال: حدثنا حرب بن ميمون، عن زيد بن علي، عن آبائه (عليهم السلام)، قالوا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فذك، وانصراف عاملها منها، لاثت خمارها، ثم أقبلت في لمة^(٥) من حفدتها^(٦) ونساء قومها، تطأ ذيوها، ما تحرم مشية رسول الله ﷺ،

(١) في شرح النهج: عثمان بن عمران العجيني..

(٢) في شرح النهج: محمد بن الضحاك.

(٣) في شرح النهج: عوانة بن الحكم، وهو أبو الحكم الكوفي الضريع، وصفوه بأنه كان عالماً بالأخبار والآثار، ثقة، وكان عثمانياً، وكان يضع أخباراً لبني أمية وله كتاب (سير معاوية وبني أمية) روى عنه هشام بن الكلبي. انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٦: ١٣٤، لسان الميزان ٤: ٣٨٦.

(٤) وهو عبيد الله بن محمد بن حفص، ويعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة، وثقه أبو حاتم وغيره، وروى بعض حديث فذك محمد بن زكريا، عن ابن عائشة، عن أبيه، عن عمه. انظر شرح النهج ١٦: ٢١٦، سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٦٤.

(٥) أي في جماعة من نساءها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل اللمة: المثل في السن، والترب (النهاية ٤: ٢٧٣).

(٦) الحفدة: الأعوان والخدم (الصحاح - حقد - ٢: ٤٦٦).

حتى دخلت على أبي بكر، وقد حفل حوله المهاجرون والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثم آتت آتة أجھش لها القوم بالبكاء، ثم أمھلت حتى هدأت فورتم، وسكنت روعتهم، افتتحت الكلام، فقالت:

((أبتدئ بالحمد لمن هو أولى بالحمد والمجد والطول، الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء على ما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وإحسان منن والاهاء، جمّ عن الاحصاء عددها، ونأى عن المجارة أمدھا، وتفاوت عن الإدراك أبدھا، استدعى الشكور بإفضالها^(١)، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وأمر بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأبان في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام الإحاطة به، ابتدع الأشياء لا من شئ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة [امتثلها]^(٢)، وضعها^(٣) لغير فائدة زادته، بل إظهاراً لقدرته، وتعبداً لبريته، وإعزازاً لأهل دعوته، ثم جعل

(١) في بلاغات النساء: واستثن الشكر بفضائلها، وفي كشف الغمة: استتب الشكر بفضائلها.

(٢) من الاحتجاج.

(٣) في ع، م: سنأها.

الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة^(١) لعباده عن
نقمته، وحياشة^(٢) لهم إلى جنته.

وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن يجتبله^(٣)، واصطفاه
قبل أن يبتعثه، وسمّاه قبل أن يستنجبه^(٤)، إذ الخلائق في الغيب مكنونة،
وبسد الأوهام^(٥) مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله في غامض
الأمور، وإحاطة من وراء حادثة الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور.

ابتعثه الله إتماماً لعلمه، وعزيمة على إمضاء حكمه، فَرَأَى الأُممَ فرقا في
أديانها، عكّفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله
بمحمد ظلّمها، وفرّج عن القلوب بُهمها^(٦)، وجلا عن الأبصار غُممها.
وعن الأنفس عَمَها.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة ورحمة، واختيار ورغبة لمحمد عن تعب
هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار.
ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، أمينه على الوحي، وصفيه

(١) الذيادة: الطرد والدفع (لسان العرب — ذود — ٣: ١٦٧).

(٢) الحياشة: السوق والجمع (لسان العرب — حوش — ٦: ٢٩٠).

(٣) جبلة: أي خلقه (القاموس المحيط — جبل — ٣: ٣٥٦).

(٤) انتجب فلاناً واستنجبه: إذا استخلصه واصطفاه اختياراً على غيره (لسان العرب — نجب — ١: ٤٨٧).

(٥) بسر الأوهام، وفي بلاغات النساء والاحتجاج: وبستر الأهويل.

(٦) في ط: شبهها.

ورضيه، وخيرته من خلقه ونجيه، فعليه الصلاة والسلام^(١)، ورحمة الله وبركاته).

ثم التفتت إلى أهل المجلس^(٢)، فقالت لجميع المهاجرين والأنصار: (وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحمله دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم الله فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله، بينة بصائره، وآي منكشفة سرائره، وبرهان فينا متجلية ظواهره، مديم للبرية استماعه، وقائد إلى الرضوان أتباعه، ومؤد إلى النجاة أشياعه، فيه تبيان حجج الله المنورة، ومواعظه المكررة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذّرة، وأحكامه الكافية، وبيناته الجالية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، ورحمته المرجوة، وشرائعه المكتوبة).

ففرض الله عليكم الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزييداً في الرزق، والصيام إثباتاً للاخلاص، والحج تشييداً للدين، والحق تسكيناً للقلوب، وتمكيناً للدين، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا لِمَا للفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على الاستيجاب^(٣)، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والنهي عن المنكر

(١) في ع، م: خلقه وعليه السلام.

(٢) في ط، م: المسجد.

(٣) الاستيجاب: الاستحقاق (لسان العرب ١: ٧٩٣) وفي ط: الاستجابة، وفي الاحتجاج: استيجاب

تنزيها للدين، والبرّ بالوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام مناة للعدد، وزيادة في العمر، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذور (١) تعرّضا للمغفرة، ووفاء المكيال والميزان تغييرا للبخس (٢) والتطنيف، واجتناب قذف المحصنة حجابا عن اللعنة، والتناهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، ومجانبة السرقة إيجابا للعفة، والتنزه عن أكل مال اليتيم والاستئثار به إجارة من الظلم، والنهي عن الزنا تحصنا من المقت، والعدل في الأحكام إيناسا للرعية، وترك الجور في الحكم إثباتا للوعيد، والنهي عن الشرك إخلاصا له تعالى بالربوبية.

فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، ولا تتولوا مدبرين، وأطيعوه فيما أمركم ونهاكم، فإنما يخشى الله من عباده العلماء، فاحمدوا الله الذي بعظمته ونوره ابتغى من في السماوات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسيلته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حجة غيبه، وورثة أنبيائه).

ثم قالت: (أنا فاطمة وأبي محمّد، أقولها عودا على بدء، وما أقولها إذ أقول سرفا ولا شططا) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) إن تعزوه تجدوه أبي دون

(١) في ط: بالعهود.

(٢) في ع، م وبلاغات النساء: تغييرا للبخسة.

(٣) التوبة ١٢٨ .

نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، بَلِّغْ النذارة^(١) صادعا بالرسالة، ناكبا عن سنن المشركين، ضاربا لأتباعهم^(٢)، آخذا بأكظامهم^(٣)، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذ^(٤) الأصنام، وينكت الهام^(٥)، حتى انهزم الجمع، وولوا الدبر، وحتى تفرى^(٦) الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه^(٧)، ونطق زعيم الدين، وهذأت فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان^(٨)، وفهتتم بكلمة الاخلاص.

وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها نبيّه، تعبدون الأصنام، وتستقسمون بالأزلام، مذقة الشارب^(٩)، ونهزة^(١٠) الطامع، وقبسة

(١) في ع، م: فبلغ النداء، وفي الشافي والاحتجاج والطرائف: فبلغ الرسالة صادعا بالنذارة.

(٢) التبع: ما بين الكاهل إلى الظهر، ووسط الشيء (الصحاح — تبع — ١: ٣٠١).

(٣) يقال: أخذت بكظمه: أي بمخرج نفسه، والجمع أكظام (الصحاح — كظم — ٥: ٢٠٢٣).

(٤) جذذ الشيء: كسرتة وقطعته (الصحاح — جذذ — ٢: ٥٦١).

(٥) أي يرميها إلى الأرض. والهام: جمع الهامة وهي الرأس.

(٦) تفرى: أي انشق (الصحاح — فرا — ٦: ٢٤٥٤).

(٧) محضه: أي خالصه وصريحه (النهاية — محض — ٤: ٣٠٢).

(٨) شبهت الفصيح المنطبق بالفحل الهادر، ولسانه بشقشقته، ونسبتها إلى الشيطان لما يدخل فيه من الكذب

والباطل، وكونه لا يبالي بما قال. والشقاشق جمع شقشقة وهي لهة البعير (النهاية — شقق — ٢: ٤٨٩،

لسان العرب — شقق — ١٠: ١٨٥).

(٩) المذقة: الشربة من اللبن المذوق (المزوج بالماء) (النهاية — مذاق — ٤: ٣١١).

(١٠) النهزة: الفرصة (النهاية — نهز — ٥: ١٣٥).

العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الرنق^(١)، وتقتاتون القدة^(٢)، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم بنبيّه محمد ﷺ بعد اللتيا والتي^(٣) وبعد ما مني بهم^(٤) الرجال، وذوبان العرب^(٥)، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾^(٦)، وكلّما نجم^(٧) قرن الضلالة، أو فغرت^(٨) فاغرة المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يظأ صماخها^(٩) بأخصه، ويحمد لهبها بحده، مكدودا في ذات الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، وأنتم في بلهنية^(١٠) آمنون، وادعون فرحون، تتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال على الأعقاب، حتى أقام الله بمحمد ﷺ عمود الدين.

(١) الرنق: تراب في الماء من القذى ونحوه، وماء رنق: كدر (لسان العرب - رنق - ١٠: ١٢٦) وفي المصادر: تشربون الطرق: أي الماء الذي خاضته الإبل وبالت فيه وبعرت (النهاية - طرق - ٣: ١٢٣).

(٢) القدة: السير يقدر من جلد غير مدبوغ. (أقرب الموارد - قد - ٢: ٩٧٠).

(٣) يريد الشدة العظيمة والصغيرة. (كتاب الأمثال: ٢٥٦ / ٨٨٢).

(٤) بهم: جمع بهمة: الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى له من شدة بأسه (لسان العرب - بهم - ٥٨: ١٢).

(٥) يعني صعالبيكم ولصوصهم. والذوبان: جمع ذئب، والأصل فيه الهمز. (النهاية - ذوب - ٢: ١٧١).

(٦) المائدة: ٦٤.

(٧) نجم: طلع وظهر (لسان العرب - نجم - ١٢: ٥٦٨).

(٨) فغرت: أي فتحت (الصحيح - فغر - ٢: ٧٨٢).

(٩) الصاخ: ثقب الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها (لسان العرب - صمخ - ٣: ٣٤).

(١٠) البلهنية: السعة (الصحيح - بله - ٦: ٢٢٢٧).

ولما اختار الله (عز وجل) له دار أنبيائه ومأوى أصفياه، ظهرت حسيكة^(١) النفاق، واسمل جلباب^(٢) الدين، وأخلق ثوبه، ونحل عظمه، وأودت ريمته^(٣)، وظهر نابغ، ونبغ حامل، ونطق كاظم^(٤)، وهدر فنيق^(٥) الباطل يخطر^(٦) في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه صارخا بكم، فألفاكم غضابا، فخطمتم^(٧) غير إبلكم، وأوردتموها غير شربكم بداراً^(٨)، زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٩).

هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، فهيهات منكم، وأين بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، زواجه لائحة، وأوامره لائحة، ودلائله واضحة، وأعلامه بينة، وقد خالفتموه رغبة عنه،

(١) الحسيكة: الضغن والعداوة (الصحيح - حسك - ٤: ١٥٧٩).

(٢) أي بلي وأخلق، والجلباب: الأزار والرداء، وقيل: الملحفة..

(٣) والرمة بالكسر: العظام البالية (الصحيح - رمم - ٥: ١٩٣٧).

(٤) في بعض المصادر: ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الآفكين.

(٥) الهدير: ترديد الصوت في الخنجرة (الصحيح - هدر - ٢: ٨٥٣) الفنيق: الفحل المكرم من الإبل

(الصحيح - فنيق - ٤: ١٥٤٥).

(٦) يخطر: من الخطران وهو الاهتزاز في المشي والتبختر (الصحيح - خطر - ٢: ٦٤٨).

(٧) فخطمتم: من الخطام، وهو كوي على شكل خط من أنف البعير إلى أحد خديه، انظر (النهاية: ٢: ٥٠).

(٨) بداراً: أي سراعاً (الصحيح - بدر - ٢: ٥٨٦).

(٩) التوبة: ٤٩.

فبئس للظالمين بدلا، ثم لم تلبثوا^(١) إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، تسرون^(٢) حسوا بارتغاء^(٣)، أو نصبر منكم على مثل حز المدى، وزعمتم أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤) إياها^(٥) معشر المسلمين، أأبتر إرث أبي، يا بن أبي قحافة؟! أبى الله (عز وجل)^(٦) أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئا فريا، جراءة منكم على قطيعة الرحم، ونكت العهد، فعلى عمد ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه، إذ يقول الله (عز وجل): ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٧). وفيما قص من خبر يحيى وزكريا إذ يقول ﴿رَبِّ.. فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ

(١) في ط : لم تريثوا شعثها، وفي ع : لم ترتثوا أختها، وفي م : لم تريثوا أختها، وما في المتن من الشافي .

(٢) في ع، م : تشربون.

(٣) مثل يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره، وأصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغبة خاصة ولا

يريد غيرها، فيشرها مع اللبن، انظر مجمع الأمثال ٢: ٤١٧، لسان العرب — رغا — ١٤: ٣٣٠ .

(٤) آل عمران: ٨٥. وما قبلها تضمنين من سورة المائدة: ٥٠.

(٥) إياها: أي هيهات، وأياها بمعنى كف واسكت (الصحاح — أيه — ٦: ٢٢٢٦، لسان العرب — أيه —

١٣: ٤٧٤).

(٦) في الاحتجاج: أبي كتاب الله.

(٧) النمل: ١٦.

رَبِّ شَقِيئًا ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
 ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾^(١).

وقال (عز وجل): ﴿بُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ لِلْوَإِلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(٣). فزعمتم أن لاحظ لي، ولا أرت من أبي! أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟!

أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون^(٤)؟! أو لست وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم من النبي؟! فدونها دونكها^(٥) مرحولة مزومة^(٦) تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، ونعم الزعيم^(٧) محمد، والموعود القيامة، وعمّا قليل توفكون، ما تحسرون، و﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾^(٨) ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ

(١) مريم: ٤ — ٦.

(٢) النساء: ١١.

(٣) البقرة: ١٨٠.

(٤) في ط: يتوارثان.

(٥) في ط: ممن جاء به فدونها.

(٦) مرحولة: من الرحل وهو مركب للبعير والناقة، (لسان العرب — رحل — ١١: ٢٧٤). مزومة: من الزمام وهو الخيط الذي يشد في البرة أو في الخشاش ثم يشد في طرفي المقود (لسان العرب — زمم —

١٢: ٢٧٢).

(٧) في ط: الخصيم.

(٨) الأنعام: ٦٧.

وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ^(١). ثم التفتت إلى قبر أبيها (صلوات الله عليهما)،
وتمثلت بأبيات. صفية بنت عبد المطلب (رحمها الله تعالى):

قد كان بعدك أنباء وهنبشة^(٢)

لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها

واجتث أهلّك مذعّيت
أبدت رجال لنا فحوى^(٣)

لما نأيتَ وحالت بيننا الكُشب
تجهمتنا ليل واستخفّ بنا

دهر فقد أدركوا منا الذي طلبوا
قد كنت للخلق نورا يستضاء به

عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا

فغاب عنا فكل الخير محتجب
فقال أبو بكر لها: صدقت يا بنت رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين
رؤوفا رحيمًا، وعلى الكافرين عذابا أليما، وكان - والله - إذا نسبناه

(١) هود: ٣٩، الزمر: ٤٠ و ٤١.

(٢) الهنبشة: الأمور الشداد، والاختلاط في القول (النهاية — هنبث — ٥ : ٢٧٨).

(٣) في شرح النهج: نجوى.

وجدناه أباك دون النساء، وأخا ابن عمك دون الرجال أثره على كل حميم، وساعده على الأمر العظيم، وأنتم عترة نبيّ الله الطيبون، وخيرته المنتجبون، على طريق الجنة أدلتنا، وأبواب الخير لسالكتنا.

فأما ما سألت، فلك ما جعله أبوك، وأنا مصدّق قولك، لا أظلم حقك، وأما ما ذكرت من الميراث فإن رسول الله قال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) .

فقلت فاطمة: (يا سبحان الله! ما كان رسول الله لكتاب الله مخالفا، ولا عن حكمه صادفا، فلقد كان يلتقط أثره، ويقتفي سيره، أفتجمعون إلى الظلامة الشنعاء والغلبة الدهيئة^(١)، اعتلالا بالكذب على رسول الله، وإضافة الحيف^(٢) إليه؟!)

ولا عجب إن كان ذلك منكم، وفي حياته ما بغيت له الغوائل، وترقبتم به الدوائر، هذا كتاب الله حكم عدل، وقائل فصل، عن بعض أنبيائه إذ قال: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٣).

وفصل في بريته الميراث مما فرض من حظ الذكور والإناث، فلم سولت لكم أنفسكم أمرا؟! فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون^(٤).

(١) الدهيئة: تعظيم الداهية: الأمر المنكر العظيم (لسان العرب — دها — ١٤ : ٢٧٥) .

(٢) في ع: الخرف، وفي م: الخوف .

(٣) مريم : ٦ .

(٤) تضمن من سورة يوسف : ١٨ .

قد زعمت أن النبوة لا تورث، وإنما يورث ما دونها، فما لي أُمْنَعُ إرث أبي؟ أأنزل الله في كتابه: إلّا فاطمة بنت محمد؟ فدلني عليه أقنع به).

فقال أبو بكر لها: يا بنت رسول الله، أنت عين الحجة، ومنطق الحكمة، لا أدلي بجوابك، ولا أدفعك عن صوابك، ولكن المسلمون بيني وبينك، هم قلّدوني ما تقلدت، وأتوني ما أخذت وتركت. قال: فقالت فاطمة عليها السلام لمن بحضرته: (أتجتمعون إلى المقبل بالباطل والفعل الخاسر؟! لبئس ما اعتاض المسلمون، وما يسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين، أما والله لتجدن محلها ثقيلاً، وعبأها وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، فحينئذ لات حين مناص، وبدا لكم من الله ما كنتم تحذرون).

قال: ولم يكن عمر حاضراً، فكتب لها أبو بكر كتاباً إلى عامله برد فذك، فأخرجته في يدها، فاستقبلها عمر، فأخذها منها وتفل فيه ومزّقه، وقال: لقد خرف ابن أبي قحافة، وظلم.

فقال له: (مالك؟ لا أمهلك الله تعالى، وقتلك، ومزّق بطنك). وأتت من فورها ذلك الأنصار، فقالت: (معشر النقيية، وأعضاء الملة، وحضنة الاسلام، ما هذه الغميرة في حقي، والسنة^(١) عن ظلامتي، أما كان

(١) السنة: الغفلة (أساس البلاغة — وسن —: ٤٩٩).

رسول الله أمر بحفظ المرء في ولده؟ فسرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة^(١).

أتقولون مات محمد فخطب جليل، استوسع وهيه^(٢)، واستنهر فقه^(٣)، وفقد راتقه، فأظلمت الأرض لغيته، واكتأب خيرة الله لمصيبته، وأكدت الآمال^(٤)، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأذيلت^(٥) الحرمة بموت محمد، فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله في أفنيتمكم ممساكم ومصبحكم هتافاً. ولقبل ما خلت به أنبياء الله ورسله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٦).

أبني قيلة^(٧)، أهضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع! تلبسكم الدعوة، ويشملكم الجبن، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن^(٨) وأنتم

(١) عجلان ذا إهالة: مثل معروف، يراد به ما أسرع ما كان هذا الأمر! وفيه ثلاث كلمات: سرعان، عجلان،

وشكان، انظر، جهرة الأمثال ١: ٥١٩، مجمع الأمثال ١: ٣٣٦.

(٢) الوهي: الشق أو الخرق في الشيء (لسان العرب — وهي — ١٥: ٤١٧).

(٣) يقال: طعنة طعنة أنهر ففتحها: أي وسعه (لسان العرب — نهر — ٥: ٢٣٧).

(٤) أكدى الرجل: أخفق ولم يظفر بحاجته (أساس البلاغة — كدى — ٣٨٩).

(٥) أذيلت: أهينت (أساس البلاغة — ذيل — ١٤٨).

(٦) آل عمران ١٤٤.

(٧) الأوس والخزرج، قبيلتا الأنصار، وقيلة: اسم أهمهم قيلة بنت كاهل (النهاية — قبل — ٤: ١٣٤).

(٨) الجنن هنا الدار أيضاً، ويقال لكل ما ستر: جن وأجن. ولعلها الجنن بالضم، جمع الجنة، وهو كل ما

واراك من السلاح واستترت به، انظر لسان العرب — جنن — ١٣: ٩٢ و ٩٤. وفي ط: الخيرة.

النخبة التي امتحن، ونحلته التي انتحل، وخيرته التي انتخب لنا أهل البيت، فنابذتم فينا العرب، وناهضتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح وتبرحون، ونأمركم فتأثمرون، حتى دارت بنا وبكم رحى الاسلام، ودر حلب البلاد، وخضعت بغوة الشرك، وهدأت روعة الهرج، وخبت نار الحرب، واستوسق^(١) نظام الدين، فأنى جرتم بعد البيان، ونكصتم بعد الإقدام، عن قوم ﴿نَكُتُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(٢).

ألا أرى والله أن [قد] أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فعجتم^(٣) عن الدين ومجبتهم^(٤) الذي استوعيتهم، ودسعتهم^(٥) ما استرعيتهم، ألا وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغنيٌ حميدٌ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِهِ أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾^(٦).

(١) استوسق الأمر: انتظم (المعجم الوسيط — وسق — ١٠٣٢: ٢).

(٢) التوبة: ١٢.

(٣) عاج عن الأمر: انصرف (المعجم الوسيط — عوج — ٦٣٤: ٢).

(٤) مجبتهم: رमितهم (لسان العرب — مجج — ٣٦١: ٢).

(٥) الدسع: القى (لسان العرب — دسع — ٨٤: ٨).

(٦) إبراهيم: ٨ و ٩.

ألا وقد قلت الذي قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وبثة الصدر، ومعدرة الحجة، فدونكم فاحتقبوها^(١) دبرة الظهر^(٢)، ناقبة الخف، باقية العار، موسومة بشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، إنها عليهم مؤصدة، في عمد ممددة .

فبعين الله ما تفعلون، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»^(٣)، وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون، «وَسَيَعْلَمُ الْكَفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ»، «وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»، «وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ»، «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» * «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(٤) وكان الأمر قد قصر. ثم ولت، فأتبعها رافع بن رفاع الزرقى، فقال لها: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن تكلم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجري هذا العقد، ما عدلنا به أحدا.

ف قالت له بردنها: (إليك عني، فما جعل الله لأحد بعد غدِير خم من حجة ولا عذر) !

(١) احتقب الشيء: أردفه أو ادخره. (المعجم الوسيط — حقب — ١ : ١٨٧).

(٢) الدبرة: الفرحة والجرح الذي يكون في ظهر الدابة والبعر (لسان العرب — دبر — ٤ : ٢٧٣).

(٣) الشعراء: ٢٢٧. وما قبلها تضمن من سورة الهمة: ٦ — ٩.

(٤) الرعد: ٤٢، التوبة: ١٠٥، الاسراء: ١٣، الزلزلة: ٧ و ٨.

قال: فلم يرباك ولا باكية كان أكثر من ذلك اليوم، وارتجت المدينة،
وهاج الناس، وارتفعت الأصوات !

فلما بلغ ذلك أبا بكر قال لعمر: تربت يداك، ما كان عليك لو تركتني،
فربما رفأت الخرق ورتقت الفتق؟! ألم يكن ذلك بنا أحق؟!

فقال عمر: قد كان في ذلك تضعيف سلطانك، وتوهين كافتك، وما
أشفقت إلا عليك. قال: ويلك، فكيف بابنة محمد وقد علم الناس ما
تدعو إليه، وما نجن^(١) لها من الغدر عليه. فقال: هل هي إلا غمرة^(٢)
انجلت، وساعة انقضت، وكأن ما قد كان لم يكن، وأنشده:

ما قد مضى مما مضى كما مضى وما مضى مما مضى قد

أقم الصلاة وآت الزكاة، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، ووفر الفئ،
وصل القرابة، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى
لِلَّذَّكَرِينَ﴾^(٣). ويقول: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٤)
وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا

(١) نجن: نستر، انظر أساس البلاغة — جن: ٦٦ .

(٢) الغمرة: الشدة (المعجم الوسيط — غمر — ٢: ٦٦١).

(٣) هود: ١١٤ .

(٤) الرعد: ٣٩ .

لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(١)
ذنب واحد في حسنات كثيرة، قلدي ما يكون من ذلك.

قال: فضرب بيده على كتف عمر، ثم قال: رُبَّ كربة فرجتها، يا عمر.

ثم نادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ما هذه الرعة^(٢)، ومع كل قالة^(٣) أمنية؟! أين كانت هذه الأماني في عهد نبيكم؟! فمن سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، كلا بل هو ثعالة شهيدة ذنبه^(٤) لعنه الله، وقد لعنه رسوله، مرب^(٥) لكل فتنة، يقول: كروها جذعة^(٦)، ابتغاء الفتنة من بعد ما هرمت، كأم طحال^(٧) أحب أهلها الغوى^(٨)، ألا لو شئت أن أقول لقلت، ولو

(١) آل عمران: ١٣٥.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢١٥: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال بعلي بن أبي طالب، إنه الملك يا بني، إن الأنصار هتفوا بذكر علي فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم. قال ابن أبي الحديد: فسألته عن غريبه، فقال: أما الرعة — بالتخفيف — أي الاستماع والاصغاء.

(٣) والقالة: القول.

(٤) قال النقيب أبو يحيى: ثعالة: اسم الثعلب، علم غير مصروف، وشهيدة ذنبه، أي لا شاهد له على ما يدعي إلا بعضه وجزء منه.

(٥) قال: مرب: ملازم.

(٦) قال: كروها جذعة: أعيدوها. إلى الحال الأولى، يعني الفتنة والهرج.

(٧) قال: وأم طحال: امرأة بغية في الجاهلية، ويضرب بها المثل فيقال: أزنى من أم طحال.

(٨) في شرح النهج: أحب أهلها إليها البغي.

تكلمت لبحث، وإني ساكت ما تركت، يستعينون بالصبية^(١)، ويستنهضون النساء، وقد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، فوالله إن أحق الناس بلزوم عهد رسول الله لأنتم، لقد جاءكم الرسول فأوئتم ونصرتم، وأنتم اليوم أحق من لزم عهده، ومع ذلك فاغدوا على أعطيائكم، فإني لست كاشفاً قناعاً، ولا باسطاً ذراعاً ولا لساناً إلا على من استحق ذلك، والسلام.

قال: فأطلعت أم سلمة رأسها من بابها وقالت: أثلث فاطمة بنت رسول الله يقال هذا، وهي الحوراء بين الإنس، والإنس^(٢) للنفس، رُبِّيت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في المغارس الطاهرات، ونشأت خير منشأ، وربيت خير مربى؟! أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟! وقد قال الله له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣)؟ أفأنذرهما وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الاقران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويدثرها بشماله، رويداً فرسول الله بمرأى لأعينكم، وعلى الله تردون، فوهاي لكم وسوف تعلمون.

(١) في ع، م: بالصعبة، ولعلها تصحيف الضعفة كما في شرح النهج.

(٢) في ع، م: النفس.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

قال: فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها، ورجعت فاطمة عليها السلام إلى منزلها فشكت.

قال أبو جعفر^(١): نظرت في جميع الروايات، فلم أجد فيها أتم شرح، وأبلغ في الالتزام، وأؤكد في الحجة من هذه الرواية، ونظرت إلى رواية عبد الرحمن بن كثير فوجدته قد زاد في هذا الموضع:

أنسيتم قول رسول الله ﷺ وبدأ بالولاية: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وقوله (إني تارك فيكم الثقلين ...)؟! ما أسرع ما أحدثتم! وأعجل ما نكثتم!

وهو في بقية الحديث على السياقة.

(١) (قال أبو جعفر) ليس في ع، م.

النص الثاني: عيادة نساء المدينة لها وخطابها لهن

حدّثني أبو الفضل محمّد بن عبد الله قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني، قال حدّثني محمّد بن الفضل بن إبراهيم بن الفضل بن قيس الأشعري، قال: حدّثنا عليّ بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين قال: لما رجعت فاطمة إلى منزلها وشكت - وتوفيت في تلك الشكاية - دخلن عليها النساء المهاجرات والأنصاريات عائدات، فقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ فقالت:

أصبحتُ والله عايفةً لديّانكنّ، قاليةً لرجالكنّ، شنأتهم بعد أن عرفتهم، ولفظتهم بعد أن سبرتهم، ورميتهم بعد أن عجمتهم، فقبحتاً لفلول الحدّ، وخطل الرأي، وعثور الجدّ، وخوف الفتن، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم، إذ سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم والله لقد قلّدتهم ربقتهم، وشنّت عليهم غارتها، فجدهاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين ويحهم أني زحزحوها عن رواصي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الروح الأمين، بالوحي المبين، الطبن بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، ما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه شدة وطأته، ونكال وقعته، ونكير سيفه، وتبحّره في كتاب الله، وتنمره في ذات الله، وأيم الله لو تكافؤوا عن زمام نبذه إليه رسول الله لا عتلقه، ثم سار بهم سيراً سجحاً، لا يُكلّمُ خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً، رويّا

صافياً فضفاضاً تطفح ضفتاه، ثم لأصدرهم بطاناً بغمرة الشارب،
 وشبعة الساغب، ولانفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ولكنهم
 بغوا فسياخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا فاسمعن، ومن عاش أراه
 الدهر العجب، وإن تعجبن فانظرن إلى أيّ نحو اتجهوا، وعلى أيّ سند
 استندوا، وبأيّ عروة تمسكوا، ولمن اختاروا، ولمن تركوا، لبئس المولى
 ولبئس العشير، استبدلوا والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً
 لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا
 يشعرون، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا
 لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)، ألا لعمر الله لقد لقحت، فانظروها تنتج واحتلبوا
 لطلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك خسر المطلون، وعرف
 التالون، ما أسس الأولون، فليطيّبوا بعد ذلك نفساً، وليطأمنوا للفتنة
 جاشاً، وليبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين،
 يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا خسرى لكم وكيف بكم وقد
 عميت عليكم ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَّا أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(٢).

وحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر الباقري، قال:
 حدثني أم الفضل خديجة بنت أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج،
 قالت: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفواني، قال: حدثنا أبو أحمد

(١) يونس: ٣٥.

(٢) هود: ٢٨.

عبدالعزیز بن یحیی الجلودی، قال: حدّثني محمد بن زكريا، قال: حدّثني محمد بن عبدالرحمن المهلبی، قال: حدّثنا عبدالله بن محمد بن سليمان المدايني، قال: حدّثني أبي، عن عبدالله بن الحسن بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين قالت: لما اشتدت علّة فاطمة اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار وقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ فقالت: أصبحت عائفةً لديناكنّ، قاليةً لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجمتهم وسئمتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحدّ، وخور القناة، وخطل الرأي، لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم، أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لقحت فنظرة ريشاً تتنجّ، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، فهناك يخسر المبطّلون، ويعرف التالون، ما أسّس الأولون، فطيبوا عن أنفسكم نفساً، واطمأنّوا للفتنة جأشاً، وابتشروا بسيف قاصل، وهرج شامل، واستبدال من الظالمين، يدع فيثكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا خسرى لكم، وآنى لكم، وقد عُميّت عليكم، ﴿أَنْلِزْ مُكْمُوها وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(١)، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على أبي سيّد المرسلين.

شرح الشيط الصدوق للخطبة

قال: [باب - معنى قول فاطمة عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار في علتها]

١ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ حَمِيدٍ اللَّخْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَلِيمَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّتْ عِلَّةُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلوات الله عليها) اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ أَصْبَحْتَ، مَنْ عِلَّتْكَ؟ فَقَالَتْ:

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ عَائِفَةً لَدُنْيَاكُمْ، قَالِيَةً لِرِجَالِكُمْ، لَفِظْتُهُمْ قَبْلَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ، فَقَبِحًا لِفُلُولِ الْحَدِّ وَخَوْرِ الْقَنَافَةِ، وَخُطَلِ الرَّأْيِ، وَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ، لَا جَرَمَ لَقَدْ قَلَدْتُهُمْ رَبَقَتَهَا، وَشَنَنْتُ عَلَيْهِمْ عَارَهَا، فَجَدَعًا وَعَقْرًا وَسَحَقًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَيَحْجُمُ أَتَى زَحْزَحُوهَا عَنْ رِوَاسِي الرِّسَالَةِ وَقَوَاعِدِ النُّبُوَّةِ وَمَهَبَطِ الْوَحْيِ الْأَمِينِ وَالطَّبِينِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ، أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، وَمَا نَقَمُوا مِنْ أَبِي حَسَنِ، نَقَمُوا وَاللَّهِ مِنْهُ نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ، وَنِكَالَ وَقَعَتِهِ، وَتَنْمِرِهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ لَوْ تَكَافَوْا عَنْ زِمَامِ نَبْذِهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا عِتْلَقَهُ، وَلَسَارِ بِهِمْ سِيرًا سَجْحًا لَا يَكْلُمُ خَشَاشَهُ وَلَا يَتَعَتَّ رَاكِبُهُ، وَلَا وَرْدَهُمْ مِنْهَا نَمِيرًا فَضْفَاضًا تَطْفَحُ ضَفَّتَاهُ، وَلَا أَصْدَرَهُمْ بَطَانًا، قَدْ تَحَيَّرَ لَهُمُ الرِّيُّ غَيْرَ مُتَحَلٍّ مِنْهُ بَطَائِلَ إِلَّا بِغَمْرِ الْمَاءِ وَرَدَّةِ سُورَةِ السَّاعِبِ وَلَفْتَحَتْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِ

السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أيّ سناد إستندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ إستبدلوا الذنابي والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ألا إتهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١)، أما لعمر إلهكن لقد لقحت فنظرة ريثما تنتجوا، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبتلون، ويعرف التالون، غبّ ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم [أ] نفساً، واطمأنوا للفتنة جاشاً، وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً، فيا حسرتي لكم وآتني بكم وقد عميت عليكم ﴿أَنْزَلِ مُكُومَهَا وَآتَتْمْ لَهَا كَافِرُوهْنَ﴾^(٢).

وحَدَّثَنَا بهذا الحديث أبو الحسن عليّ بن محمد بن الحسن المعروف بابن مقبرة القزويني قال: أخبرنا أبو عبدالله جعفر بن محمد بن حسن بن جعفر بن حسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيُّ، قال: حَدَّثَنَا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي

(١) يونس: ٣٥.

(٢) هود: ٢٨.

طالب عليه السلام قال: لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعّنتني فقالت: أَمْنَفِذْ أَنْتَ وصيتي وعهدي؟ قال: قلت: بلى، أنفذها، فأوصت إليّ وقالت: إذا أنا متّ فادفني ليلاً ولا تؤذّن رجلين ذكرتهما، قال: فلمّا اشتدت علّتها اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار فقلن: كيف أصبحت يا بنت رسول الله من علّتك؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لديناكم وذكر الحديث نحوه.

النص الثالث [للخطبة الثالثة]

جاء في أمالي الطوسي مايلي: هذا حديث وجدته بخطّ بعض المشايخ رحمهم الله ذكر أنّه وجده في كتاب لأبي غانم المعلم الأعرج، وكان مسكنه بباب الشعير، وجد بخطّه على ظهر كتاب له حين مات، وهو:

انّ عائشة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السلام فرأتها باكية فقالت لها: بأبي أنتِ وأمي ما الذي يبكيكِ؟ فقالت لها صلوات الله عليها: أسألتني عن هنة حلّق بها الطائر، وحفي بها السائر، ورفع إلى السماء أمراً، ورزئت في الأرض خبراً، أن نُحيف تيم وأحيوك عدي جارياً أبا الحسن في السباق، حتى إذا تقربا بالحناق، أسراً له الشنآن وطوياه الإعلان، فلمّا خبا نور الدين، وقُبض النبيّ الأمين، نطقا بنورهما ونفثا بسورهما، وأدلاً بفدك، فيا لها لمن ملك، تلك إنّها عطية الربّ الأعلى للنبيّ الأوفى، ولقد نحلّنيها للصبيّة السواغب من نجله ونسلي، وإنّها ليعلم الله وشهادة

أمنية، فإن انتزعا منّي البلغة، ومنعاني اللمظة، واحتسبتها يوم الحشر زلفة، وليجدنّها آكلوها ساعة حميم في لظى جحيم.

(وبها تم الجزء السابع من الأمالي)^(١).

والآن فلنرجع البصر نحو التراث السنّي، لنختار منه خمسة نصوص تكفي في رد متردية القول، والمشكّكين في صحّة الخطب الفاطمية، ونبدأ برواية الشعبي وهو ناصبي وقح كما ستأتي ترجمته في الباب الرابع في محاور التوثيق مع ترجمة صاحب المصدر الذي روى روايته، وهو سبط ابن الجوزي الحنفي، وكلاهما بعيدان عن تهمة اختلاق الخطبة.

(١) أمالي الطوسي ١: ٢٠٧ ط النعمان.

النصوص من التراث السني

الصورة الأولى: رواية الشعبي

يوسف بن قزاو على سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤) قال في كتابه تذكرة خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة :

... وقال الشعبي: لما منعت ميراثها لاثت خمارها على رأسها - أي عصبت - يقال: لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثاً أي عصبها، وقيل اللوث الاسترخاء، فعلى هذا يكون معنى لاثت أي أرخت - وحمدت الله تعالى وأثنت عليه، ووصفت رسول الله ﷺ بأوصاف فكان ممّا قالت: (كان كلما فغرت فاعرة من المشركين فاهاً، أو نجم قرن من الشياطين، وطئ صماخه بأخصه، وأخذ لهيبه بسيفه وكسر قرنه بعزمته، حتى اذا اختار الله له دار أنبيائه، ومقر أصفياه، أطلعت الدنيا رأسها اليكم، فوجدتكم لها مستجيبين، واخرروها ملاحظين، هذا والعهد قريب، والمدي غير بعيد، والجرح لما يندمل، فأنتى تؤفكون - تكونون كذا - وكتاب الله بين أظهركم.

يابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي، ودونكها مرحولة مذمومة، فنعم الحاكم الحق، والموعد القيامة، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون).

ثم أو مأت إلى قبر النبي ﷺ وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبشة لو كنت شاهدها لم تكبر النوب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واغتيل أهلك لما اغتالك الترب
ولقد رزينا بما لم يرزه أحد من البرية لا عجم ولا عرب
ثم انها اعتزلت القوم، ولم تزل تندب رسول الله وتبكيه حتى لحقت به^(١).

(١) خواص الأمة بذكر خصائص الأئمة: ١٧٩ ط حجرية سنة ١٢٨٥ هـ..

الصورة الثانية:

كتاب

﴿ بلاغات النساء ﴾

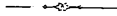
(وطرائف كلامهن وملح نوادرهن واخبار ذوات الراى منهن)

(واشماهن في الجاهلية وصدر الاسلام)

تأليف

(الامام أبى الفضل احمد بن أبى طاهر المولود ببغداد سنة ٢٠٤)

(والمتوفى سنة ٢٨٠ هجرية)



صححه وترجمه

﴿ احمد الالني ﴾



« النساء رباحين عطرة بيبير الجبر في العراق وشذى السعادة للانسان وهذا السفر صفوة مختارة من اعطر ازهار هذه الرباحين احفله مؤلفه بلاغات يحفل بها انصار اللغة والادب ومحاضرات يهش لها محبو السمر والطرب وقد طرزته بتفسير وملحقات تحيل نطوف فوائده دانية لتتارلها واخرجه للناس مجلوا في طبع جميل على ورق مقبل ليكون في منظره وعجبه جيب النفس والمس « الالني

(طبع على نفقة شارحه وحقوق طبعه محفوظة له)

١٩٠٨ - ١٣٢٦ م

مُطْبَعَةُ مَدْرَسَةِ الدِّعَةِ عَمَّالِ الْأَوَّلِ

(بالطريقة الشرقية بشارع خيرت بالقاهرة)

«كلام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعليها السلام»

قال ابو الفضل ذكرت لابي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة عليها السلام عند منع ابي بكر اياها فذلك (١) وقلت له ان هؤلاء (٢) يزعمون انه مصنوع وانه من كلام ابي العيناء و الخبر منسوق البلاغة على الكلام (٣) فقال لي رأيت مشايخ آل ابي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه ابناءهم وقد حدثني ابي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل ان يولد جد ابي العيناء وقد حدث به الحسن ابن علوان عن عطية العوفي انه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن ابيه ثم قال ابو الحسين وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يرون من كلام عائشة عند موت ابيها ما هو اعجب من كلام فاطمة يتحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ثم ذكر الحديث قال لما اجتمع ابو بكر رحمه الله على منع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها - فذلك وبلغ ذلك فاطمة لاثت خاراها (٤) على رأسها واقبلت في لمة من حفدتها (٥) تطأ ذيوها ما تحرم (٦) من مشبة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد (٧) من المهاجرين والانصار فنيطت (٨) دونها ملأه ثم انت انا اجبش القوم لها بالكاء واربع المجلس فأملت حتى سكن نسيج (٩) القوم وهدأت فورتهم فافتحت الكلام بمحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد القوم في بكاءهم فلما اسكوا عادت في كلامها فقالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه

(١) اي ارثها من فذلك وهي قرية كان ثلثي نسلها فلما توفي صلوات الله عليه ارادت فاطمة ان تأخذ نصيبها في الارث منها ففتح ابو بكر الخليفة دون ذلك محتجاً بقول النبي «نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركناه صدقة» (٢) يشير الى قوم في عصره كانوا يفضون من قدر آل البيت (٣) يعني ان الطعن هو في نسبة هذا الكلام للبيع الى فاطمة اما نفس الواقعة وهي من الارث فهي صحيحة ومثبتة في كتب التاريخ (٤) اللوث عصب المامة والحمار ما يستقر به الانسان وفي نسخة واشتملت بجلالها (٥) اللثة الصاحب أو الاصحاب في السفر والمؤنس للواحد والجمع والحفدة ابناء الابن (٦) اي ما تركه ويرى ما تحرم مشتبها مشبة رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] جاعة [٨] علق [٩] من نسج الباكي غص بالكاء في حلقه ويروى فأملت مهيئة حتى اذا سكن نسيج القوم الخ

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تعرفوه تجدوه ابي دون آباءكم (١)
واخا بن عمي دون رجالكم فبلغ النذارة (٢) صادعا بالرسالة ماثلا على مدرجة (٣)
المشركين ضاربا لتبجهم اخذا بكظمهم يهشم الاصنام وينكت الهام (٤) حتى هزم الجمع
وولوا الدبر وتفرى الليل عن صبحه (٥) واسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست
شفاشق (٦) الشياطين وكنتم على شفا (٧) حفرة من النار مذقة الشارب ونهرة الطامع
وقبسة العجلان (٨) وموطىء الاقدام تشرىون الطرق (٩) وتقتاتون الورق اذلة خاشعين
(١٠) تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم فانفذك الله برسوله صلى الله عليه وسلم بعد
الليا والتي وبعد ما مني بهم الرجال (١١) وذو بان العرب (ومردة اهل الكتاب) (١٢)
كلا حشا (١٣) نارا للعرب اطفالها ونجم قرن (١٤) للضلال وفنرت فاغرة من المشركين
قذف باخيه في لهواتها (١٥) فلا ينكفي حتى يبطأ صاخها باخصه ويخمد لها (١٦)
بجده مكدودا (١٧) في ذات الله قريبا من رسول الله سيدا في أولياء الله واتم في بلهنية (١٧)
وادعون آمنون حتى اذا اختار الله نبيه دار انبيائه ظهرت خلة الفاق وسمل (١٩) جلباب
الدين ونطق كاظم الغاوين ونبع حامل الآقلين وهدر فنيق (٢٠) المبطلين فخطر في
عرصاتهم (٢١) وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه (٢٢) صارخا بكم فوجدكم (٢٣) لدعائه

(١) وروى فان تزوره « أى تنسبوه » تجدوه ابي دون نسأكم (٢) الانذار من انذره حذره
وخوفه في ابلاغه وصادعا أى مجاهرا (٣) الدرج المسلك (٤) التبج وسط الشيء ومقطعه وما بين
الكاهل الى الظهر والكظم مخرج النفس او الفم وينكت يروى في نسخة ويخمد والمعدة القطع المتأصل
وزروى هذه الجلة في نسخة هكذا « ضاربا لتبجهم يدعو الى سبيل رب » بالحكمة والموعظة الحسنة اخذا
باكظام المشركين يهشم الاصنام ويفلق الهام « وقولها على الرواية الاولى ينكت الهام لعله ينكس الهام
من نكسه قلبه على رأسه (٥) أى اسفر (٦) الشفاشق ج شفشقة شىء كالرمة يخرج البعير من فة اذا
هاج ويروى وتمتكلة الاخلاص (٧) حرف (٨) المذقة الجرعة والتهرة الفرصة والقبسة ما قبضه بيده -
تريد لهم كانوا ضماقا مما نين يشغفهم الناس (٩) الطرق للماء الذى خاضته الابل وبات فيه وروى
تقتاتون القد (١٠) خاشعين (١١) وروى وبعد ان منى منهم الرجال الخ . وهم الرجال شجاعتهم جمع
هبة وذو بان العرب لصومهم ومردتهم (١٢) هكذا في بعض النسخ (١٣) اوقدوا (١٤) نجم أى
ظهر (١٥) ففر فاه ففقه واوسه والبهرات جمع الهيا وهى اقصى الحاق وينكفي يرجع (١٦) وروى
يطيء عادية لها بسنه والصباح داخل الاذان والاحص اصبع القدم (١٧) « مكدودا من كدجد ونسب
(١٨) كرهية وهى غضامة العيشة ونسبها (١٩) أى خلق ورث (٢٠) الفنيق الجمل البازل القوى
(٢١) المرصات ساحات الدور (٢٢) من رقدته يقال هو غارز رأسه في سنة (٢٣) ويروى « فدعاهم

مستحيين وللفرة فيه ملاحظين (١) فاستنهضكم فوجدكم خفافا واجشكم (٢) قالفاكم غضابا فوسمتم (٣) غير اليكم واوردتموها غير شر بكم (٤) هذا والهد قريب والكلم (٥) رحيب والجرح لما يتدمل (٦) بدار (وفي نسخة انما) زعنم خوف الفتنة الا في الفتنة سقطوا (٧) وان جهنم لمحيطة بالكافرين فيها منكم وانى بكم وانى تؤفكون (٨) وهذا كتاب الله بين أظهركم وزواجره بينه وشواذه لائحة واوامره واضحة ارغبة عنه تدبرون أم بغيره تمكون بشن الظالمين بدلا ومن ينتفع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ثم لم تريضوا (٩) الارث ان تسكن نفرتها تشربون حسوا وتسررون في ارتقاء ونصبر منكم على مثل حزن المدي وأنهم الآن تزعمون ان لا ارث لنا الحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون وبها معشر المهاجرين أبتر ارث ابي (١٠) افي الكتاب ان ترث اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكما مخطومة مرحولة تفالك يوم حشركم فتم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القايمه وعند الساعة يجسر المبطون ولكل نأ مسنقر وسوف تعلمون ثم انحرفت (١١) الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي تقول

قد كان بعدك أبناء وهنبة لو كنت شاهدا لم تكثرا لخطب (١٢)

انا قد ناك قد الارض وابها واختل قومك فاشهدهم ولا تنب (١٣)

قال فما رأينا يوما كان اكثر باكيا ولا باكية من ذلك اليوم (حدثني) جعفر بن محمد

قالفاكم لدعون مستحيين (١) اي مغترين فيه (٢) وروى فاحتكم (٣) من الوسم هو العلامة (٤) الشرب بالكسر مكان الشرب بالضم يزيد انهم اخذوا مائس لهم وغصبوا حقوق غيرهم (٥) الجرح ورحب واسع (٦) يشتم (٧) تشير الى ما كان منهم عند وفاة النبي فاتهم انصرفوا عن غسله الى نصيب خلفه عليهم ايلي امورهم بعد النبي ولم يشتمل بتكفيه الا آل البيت وآخرين معهم (٨) انى كيف والافك اشنع الكذب (٩) تربوا تبطوا وروى « لم تريضوا اختا الارث الخ » وروى لم يبروا الارث - اى لم يبطوا من منع الارث عنا الا وغانم لكم اسر الخلافة دوننا فبدأتم بهذه ومثمت بذلك (١٠) وروى اياها السلسلة المهاجرة ابتزارث ابي ابا قة في الكتاب يابن ابي غنمة - تريد ابا بكر الخليفة - ان ترث اباك ولا ارث بى « ول رواية ابتر ارث بيه (١١) وروى ثم انكفأت اى رجعت (١٢) الهنبة الامور الشديدة والاختلاط في القول والمخطب الخطوب أى الامور العظيمة (١٣) الوابل المطر الغزير - وهذا ان البيتان فيها الاقواء قال الامام الشنيطي الكبير لم اجدها الا هكذا

رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة قال حدثني أبي قال أخبرنا موسى بن عيسى قال أخبرنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا جعفر الاحمر عن زيد بن عليّ رحمه الله عليه عن عمته زينب بنت الحسين عليهما السلام قالت لما بلغ فاطمة عليها السلام اجماع أبي بكر على منها فذلك لانت خاها وخرجت في حشدة نساها ولة من قومها (١) بحر اذراعها (٢) ما نخرم (٣) من مشية رسول الله صلى الله عليه شيناً حتى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار فانت انه اجبش لها القوم بالبكاء فلما سكنت فورتهم (٤) قالت أبدأ بحمد الله ثم اسبلت بينها وبينهم سجفاً (٥) ثم قالت الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما اعم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء اسداها (٦) واحسان من والاهام (٧) عن الاحصاء عددها ونأى عن المجازاة أمدها (٨) وتفاوت (٩) عن الأدراك املها واستثنى الشكر بفضائلها (١٠) واستحمد الى الخلائق بأجزالها وثنى بالتدب الى امثالها (١٢) واشهد ان لا اله الا الله كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها (١٢) وأنى في الفكرة مقولها (١٣) المستغنى من الابصار رؤيته ومن الاوهام الاحاطة به ابتدع الاشياء لامن شئ قبله واحتذاها بلا مثال (١٤) لغير فائدة زادته الاظهاراً لقدرة وتعبداً لبريته واعزازاً لدعوته ثم جعل الثواب على طاعته والعقاب على معصيته زيادة (١٥) لمبادءه عن قمته وجاشاً (١٦) لهم الى جته واشهد ان ابي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن يحبّه (١٧) واصطفاه قبل أن ابتمه وسماه قبل ان استنجه (١٨) اذ الخلائق بالقيوب مكنونة وبستر الاهاويل (١٩) مصونة وبنهاية العدم مقرونة علماً من الله عز وجل بمآل الامور (٢٠) واحاطة بمحادث الدهور ومعرفة

(١) سبق تفسير هذه الالفاظ للنوبة (٢) لله اذبالها ويرى « ادراعها » ج درع ودرع المرأة قيصا (٣) ماترك (٤) أي روعهم من البكاء (٥) أي أرخت سترها (٦) سبوغ النعم اناسها والاسداء الاحسان (٧) كثرة (٨) غايتها (٩) تباعد ما بينهما (١٠) يروى بافضالها واستغنى استغنى (١١) والتدب من تدب الى الامر دعاه وحش (١٢) موصول كلمة لا اله الا الله توجيهه وخشيته (١٣) في أي بلغ غايته (١٤) أي قدرها بلا شبهة (١٥) أي دضا لهم (١٦) أي اقبالا (١٧) بخلفه (١٨) ابتش أي ارسله بالنبوة واستنجه اختاره (١٩) الاهاويل ج احوال واحداها هول وهي الهامة من الامر لا يدري وكأنها صلى الله عليها تكفى بذلك عن حيرة الناس قبل ظهور نور النبوة (٢٠) بصيرها

بمواضع المقدور ابتعثه الله تعالى عز وجل انما لاسره وعزيمة على امضاء (١) حكمه
 فرأى الام صلى الله عليه فرقا في اديانها عكفا (٢) على نيرانها عابدة لاوثانها منكورة
 الله مع عرفاتها فانار الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه ظلمها وفرج عن القلوب بهما (٣)
 وجلى عن الابصار غمها (٤) ثم قبض الله نبيه صلى الله عليه قبض رافة واختار رغبة
 باي صلى الله عليه عن هذه الدار موضوع عنه المعب والاوزار مخفف (٥) بالملائكة
 الابرار ومجاورة الملك الجبار ورضوان (٦) الرب الغفار صلى الله عليه على محمد نبي الرحمة
 وامينه على وجهه وصفيه من الخلائق ورضيه صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته ثم انتم
 عباد الله (تريد أهل المجلس) نصب امر الله (٧) ونهيه وحلة دينه ووجيه وامناء الله
 على انفسكم ولغاؤه الى الام زعمتم حقا لكم الله فيكم عهد (٨) قدمه اليكم ونحن بنية
 أستمطنا عليكم ومعنا كتاب الله بينة بصائر (٩) وآي فينا (١٠) منكشفة سرائره وبرهان
 منجية ظهوره مديم البرية اسماعه قائد الى الرضوان اتباعه مؤد الى النجاة استماعه فيه
 يان جميع الله المنورة وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة وتبيناته الجالية (١١) ووجهه الكافية
 وفضائله المندوبة (١٢) وورخصه (١٣) الموهوبة وشرائعه المكتوبة ففرض الله الايمان
 تطهيرا لكم من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر والصيام ثبوتا للاخلاص والزكاة تزييدا
 في الرزق والحج تسلية للدين والعدل تنسكا للقلوب وطاعتنا نظاما وامامتنا أمنا من الفرقة
 وجنا عزرا للاسلام والصبر منجاة والقصاص حقنا للدماء (١٤) والوفاء بالنذر ترضاء للمفردة
 وتوفية المكاييل والموازين تعبيرا للنخسة (١٥) والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس
 وقذف المحصنات اجتنابا للجنة وترك السرقة ايجابا للجنة (١٦) وحرم الله عز وجل الشرك
 اخلاصا له بالربوبية فائقوا الله حق ثقائه ولا تؤمنن الا وانتم مسلمون واطيعوه فيها أمركم
 به ونهاكم عنه فانه انما يخشى الله من عباده العلماء ثم قالت ايها الناس انا فاطمة وابي محمد

(١) افاد (٢) من عكف عليه اقبل عليه مواظبا (٣) شهيا (٤) ظلمها (٥) المعب التل مخفف
 عاظ (٦) رضاء (٧) أي مستقبلين له (٨) أي زعمتم ان لكم حقا في الخلافة أو في منشا الاوث
 فأن عهد الله لكم بذلك (٩) حججه (١٠) تشير الى ما تزل في القرآن ضاية بال البيت بيت النبي
 (١١) أي ناصحه للبيئة (١٢) المستحبة (١٣) رخصة وهو ما أباحه الشارع يسيرا فانس (١٤)
 تشير الى قوله تعالى ولكم في القصاص حياة يا أولي الاباب (١٥) تنبيها من هب الدرهم أو الناع
 نظر مالونتها والنخسة مبلغ أصل الضم (١٦) لزوما لها

صلى الله عليه اقولها عوداً على بدء. لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم ساق الكلام على ما رواه زيد بن علي عليه السلام في رواية ابيه ثم قالت في متصل كلامها افضل محمد (١) تركتم كتاب الله ونبتوه وراء ظهوركم اذ يقول الله تبارك وتعالى وورث سليمان داود وقال الله عز وجل فبأقص من خبر يحيى بن زكريا رب هب لي من لدنك ولياً (٢) يرثني ويرث من آل يعقوب وقال عز ذكره واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقال ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين وزعمتم ان لاحق ولا رث لي من ابي ولا رحم (٣) بيننا انفسكم الله بآية اخرج نبيه صلى الله عليه منها أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون أو لست أنا وابي من أهل ملة واحدة لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي صلى الله عليه التحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكماً لعلكم يقولون أغلب على ارثي جوراً وظلماً وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وذكر انها لما فرغت من كلام ابي بكر والمهاجرين عدلت الى مجلس الانصار فقالت معشر البقية (٤) واعضاد الملة (٥) وحصون الاسلام ماهذه النمرة (٦) في حق والسنّة (٧) عن غلاتي اما قال رسول الله صلى الله عليه المرء يحفظ في ولده سرعان (٨) ما اجدبتم فا كدبتم وعجلان ذا اهانة (٩) تقولون مات رسول الله صلى الله عليه فخطب جليل استوسع وهي (١٠) واستهرقته (١١) وبعد وقته واطلمت الارض لنيته واكتأبت خيرة الله (١٢) لمصيته وخشعت الجبال واكدت الامال (١٣) وأضيع الحريم وأذبلت الحرمة (١٤) عند ماته صلى الله عليه (١٥) وتلك (١٦) نازل علينا بها كتاب الله في افئتك (١٧) في مماسك ومصبحك يهتف بها في اسماعكم وقبله حلت بانبياء الله عز وجل ورسله وما محمد الا رسول

(١) اي من اجل ما تركه ارتأنا (٢) اي (٣) الرحم القرابة (٤) المشرع الجماعة والبقية الفتنة (٥) اضارها (٦) من غمره في حقه دفعه عنه (٧) السنة أول النوم وروى بعدها ما كان لرسول الله ان يحفظ في ولده سرعان ما اجدبتم وروى لسرع ما أهدتكم الخ (٨) أي ما اسرعكم الى كذا الخ واكدبتم منكم (٩) أي ما اجهلكم في اهانتكم اي اي بما فعلتم معي (١٠) الوهي الحرق الواسع (١١) استهر استوسع (١٢) اكتأبت افئنت وخيرة الله أي الافاضل عنده (١٣) أي قل خيرها (١٤) الهابة (١٥) لعلها تشير الى ما فعلوه عند وفاته من الانصراف الى أسر الخلافة وتركهم آل البيت يسلمون النبي ويكفونوه (١٦) أي وقته (١٧) مجتمعاتكم أو دوركم

قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين أيها بني قيلة ألهضم تراث أبيه (١) وانتم بمراى منه ومسمع تلبسكم الدعوة وتحملكم (٢) الحيرة وفيكم العدد والمدة ولكم الدار وعندكم الجن (٣) وانتم الآن نجيبة الله التي انتخب لدينه وانصار رسوله وأهل الاسلام والحيرة التي اختار لنا أهل البيت فباديتهم العرب (٤) وناهضتم (٥) الامم وكالحتم بهم (٦) لانبرج ناصركم وتأمرهم (٧) حتى دارت لكم بنا رحا الاسلام ودرّ حلب الانام وخضعت نعة (٨) الشرك وبأخت (٩) نيران الحرب وهدأت دعوة المهرج واستوسق (١٠) نظام الدين فأني (١١) حرّم بعد البيان ونكصتم (١٢) بعد الاقدام واسروهم بعد الاعلان لقوم نكثوا (١٣) ايمانهم تخشونهم فأن الله أحق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين الاقدارى ان قد اخلدتم الى الخلف (١٤) وركتم الى الدعة فحجتم (١٥) عن الدين وبججتم الذي وعيتم ودسستم (١٦) الذي سوغتم (١٧) فان تكفروا اتم ومن في الارض جميعا فان الله لغنى حميد الا وقد قلت الذي قلته على معرفة مني بالخذلان الذي خاسر (١٨) صدوركم واستشعرته قلوبكم ولكن قتله فيضة (١٩) النفس وفئة (٢٠) الفيض وثية (٢١) الصدر ومعدرة (٢٢) الحجة فدونكموها (٢٣) فاحتقبوها (٢٤) مدبرة الظهر ناكبة (٢٥) الحق باقية العار موسومة بشار الابد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبين الله ما تفعلون وسيملم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا انا عاملون وانتظروا انا منتظرون قال ابو الفضل وقد ذكر قوم ان ابا الميناء ادعى هذا الكلام وقد رواه قوم وصححوه وكتبناه على ما فيه وحدثنى عبد الله

(١) أيها كلمة اغراء وبني قيلة تريد الاوس والخزرج انتصار النبي ألهضم ويعوى ألهضم من مضيه فصبه أو ظله والترات الميراث والماء في ابيه هاء السكت سر الكلام عليها (٢) تأكلكم (٣) الوقايات (٤) جاهرتم بعد اوتهم انتصارا فني حين كذبوه وأدوه (٥) قاومتم (٦) ج همة وهو الشجاع اليقظ (٧) لاهلهم وتأمرهم (٨) النمرة الكبر والحيلة (٩) سكنت (١٠) اجتمع (١١) كيف (١٢) احججتم (١٣) تقضوا (١٤) اظهروا (١٥) ملتم (١٦) منتم (١٧) اعطيتهم (١٨) خالط (١٩) من فاض الماء كثر حتى سأل (٢٠) نفخة (٢١) من البث وهو شكوى الحزن (٢٢) انصاف [٢٣] الضمير يرجع للاشياء التي هي من حق فاطمة وزوجها علي ومنعوا عنها كالألارث والحلافة [٢٤] ادخروها [٢٥] مدبرة من الادبر ضد الاقبال وناكبه من نكبه نماء وابصه

ابن احمد الصدي عن حسين بن علوان عن عطية العوفي انه سمع ابا بكر رحمه الله يومئذ يقول لفاطمة عليها السلام يا ابنة رسول الله لقد كان صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحما وعلى الكافرين عذابا ليليا واذا عزوانه (١) كان اباك دون النساء واخا ابن عمك (٢) دون الرجال آثره على كل حميم (٣) وساعده على الامر العظيم (٤) لا يجهك الا العظيم السادة ولا يعضك الا الرديء الولادة وانتم عتره الله (٥) الطيبون وخيرة الله المتخون على الآخرة أدلتنا وباب الجنة لسالكنا واما منكم ماسألت فلا ذلك لي (٦) واما فذك (٧) وما جعل لك ابوك فان منعتك فانا ظالم وأما الميراث فقد تعلمين انه صلى الله عليه قال لا نورث ما أبقيناه صدقة (٨) قالت ان الله يقول عن نبي من انبيائه يرثي ويرث من آل يعقوب وقال وورث سليمان داود فذان نبيان وقد علمت ان النبوة لا تورث وانما يورث مادونها فالي امنع ارث ابي أنزل الله في الكتاب الا فاطمة بنت محمد فتدلي علي فاقنع به فقال يا بنت رسول الله انت عين الحجة ومنطق الرسالة لا يدلي بجوابك (٩) ولا ادفعك عن صوابك ولكن هذا ابو الحسن يفي وبينك (١٠) هو الذي اخبرني بما تقدمت (١١) وأنبأني بما أخذت وتركك قالت فان يكن ذلك كذلك فصبرا لمر الحق والحمد لله الخلق « قال ابو الفضل » وما وجدت هذا الحديث على التمام الا عند ابي حنfan وحدثني هارون بن مسلم بن سعدان عن الحسن بن علوان عن عطية العوفي قال لما مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التي توفيت بها دخل النساء عليها فقلن كيف أصبحت من علك يا بنت رسول الله قالت أصبحت والله عائفة (١٢) لذناكم قالية (١٣) لرجالكم لفظتهم بعد ان عجمتهم (١٤) وشنتهم بعد ان سبرتهم (١٥) قبحا لفلول الخلد (١٦) وخورالقتا (١٧) وخطل الرأي (١٨) وبسما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله

[١] نسباه الى احمد [٢] أي علي أمير المؤمنين [٣] أي فضله على كل قريب [٤] المجاهد في نصره الدين [٥] أي أوليائه [٦] لعله يشير الى ترضيها بالخلافة فان ذلك ليس بيده بل الامر شورى بين المسلمين [٧] سبق تفسيرهما والمراد الميراث [٨] ويروى نحن مآثر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة [٩] أي لا ينجح عليه [١٠] يريد عليا زوجها رضى الله عنها [١١] طلبت (١٢) كارهة (١٣) مبغضة (١٤) نبذتهم بعد ان جربتهم (١٥) ابغضتهم بعد ان اختبرتهم (١٦) ثلثه (١٧) ضعه أو كسره (١٨) فساد

عليهم وفي العذاب هم خالدون لاجرم (١) لقد قلدتهم ربقها (٢) وشتت (٣) عليهم عارها فجدها وعقرا (٤) وبمدا للقوم الظالمين وبجهم أنى زحزحوها عن رواسى الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين الطين (٥) بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المين وما الذى تقموا (٦) من ابى الحسن تقموا والله منه نكير (٧) سيفه وشدة وطأته ونكال (٨) وقمته وتمره في ذات الله (٩) ويا لله لوتكافؤا (١٠) على زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه لسار بهم سيرا سحجاً (١١) لا يكلم خشاشه (١٢) ولا يتبع (١٣) راكمه ولا وردهم منهلارويا فضفاضاً (١٤) تطفخ ضفتاه ولا صدرهم بطانا (١٥) قد تحمى بهم الري غير محفل منهم بطائل بعمله الباهر وردعه سورة الساعب (١٦) ولفتحت عليهم بركات من السماء وسأخذهم الله بما كانوا يكسبون الا هلن (١٧) فأسمعن وماعتن أراكن الدهر عجبا الى أى لجا لجأوا واستدواو بأى عروة تمسكوا (١٨) ولبس المولى (١٩) ولبس العشير استبدلوا والله الذنابى بالقوادم (٢٠) والمعجز بالكاهل فرغا لمطلس قوم (٢١) يحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وبجهم افن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدي الا ان يهدي (٢٢) فما لكم كيف تحكمون ؎ أما لعمر المكن (٢٣) لقد تحت فظرة رثيا تنتج ثم احتلبوا (٢٤) طلاع

١٠ « اصله لا بد أولا محالة ثم كثر استعماله حتى تحول الى معنى القسم (٢) أي مسؤوليتها والضمير راجع للخلقة (٣) صبت (٤) المجدع قطع الانف والمقر ضرب قوائم البعير بالسيف ونحوه والجملة دعاء على من ارادت (٥) تزيد كيف زحزحوها عن آل بيت النبي أو بالآخرى عن على الطين بأمور الدنيا والدين أي الخبير بها (٦) كرهوا (٧) شديد (٨) من التنكيل (٩) أي غضبه لله (١٠) استؤوا (١١) سهلا وروى لو تكافؤا على زمام نبذه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعتقه ولسار بهم سيرا سحجا (١٢) لا يبرح جانبه والحشاش عود يحمل في انف البعير يشده الزمام (١٣) أي من غير ان يصيبه أدى ومنه الحديث الشريف (يؤخذ للضميف حقه غير متمتع (١٤) يفيض منه الماء (١٥) شعبان (١٦) حدة الجائع (١٧) تعالن مركبة من هاء التثنية ومن لم أي ضم نفسك اليها والنون فيها هنا نون النسوة (١٨) هموة الكوز والولومقضة مستارة هنا (١٩) صاحب الجار (٢٠) الذنابى الذنب والقوادم ريش في مقدم الجناح والمراد انهم استبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو خير المعجز مؤخر الشيء والكاهل مقدم الظهر (٢١) أي ذلالا توهم مجاز عن ذل أنفسهم (٢٢) المراد انه لا يهدي الانسان غيره الا اذا كان مهديا والا فكيف يعطي الشيء فاقده (٢٣) أي اما وحق بقائه (٢٤) لفتحت جلبك النظرة التأخير في الامر وربت أي مقدار ومنتج تلد

القمب (١) دماغيطا (٢) وذعافا ممقرا (٣) هنالك يخسر المبطون ويعرف التالون غب
 (٤) ما أسس الاولون ثم اطيوا (٥) عن انفسكم نفسا وطامنوا للفتنة جأشا (٦) وابشروا
 بسيف صارم ويقرح شامل (٧) واسنداد من الظالمين يدع فيكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حشرة
 لكم واني بكم وقد عميت عليكم انزما كهوها وانتم لها كارهون ثم امسكت عليها السلام

الصورة الثالثة:

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بمحقق
محمد بن الفضل ابن هاشم

المجلد السادس عشر

١٩٦٢

دار الصحابة العامة للدراسات
مبنى الباني الجديد - دمشق

ثالثاً: بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِيْنَا فَذَكَ مِنْ كُلِّ مَا أَغْلَتْهُ السَّلَهِ ، فَصَحَّتْ هَلْبَا نَفُوسُ قَوْمِ ،
وَصَحَّتْ مَهَبَا نَفُوسُ آخَرِينَ ، وَنَزِمَ أَحْسَمُ اللَّهُ . وَمَا أَصْعُ بِفَذَلِكِ وَغَيْرِ فَذَلِكِ ،
وَالنَّفْسُ مَطْلَانًا فِي غَدِ جَدَثٍ تَنْفَلِعُ فِي ضَمِيرِ آثَارِهَا وَتَنْسِيبُ أَخْبَارِهَا ، وَحَارَةً
تُزِيدُ فِي فُجْعَتِهَا ، وَأُولَسَتْ بِدَاخِرِهَا ، لِأَضْمَعْلَمِ أَخْبَرُ وَالْتَدَرُ ، وَسَدَّ فَوْجَهَا
الْتَرَابُ الْفَرَاكِمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُومَهَا بِالتَّغْرَى لِنَاقِي آيَةِ يَوْمِ الْخُلُوفِ
الْأَكْبَرِ ، وَتَنْبَتُ عَلَى جَوَائِبِ الْزُرَاقِ .

الْشَّبَحُ :

الْجَدَثُ : القبر ، وَأَضْمَعْلَمِ الْحَجَرُ : جملها ضاغطة ، والمهمزة للتعمية ، ويرى :
« وَأَضْمَعْلَمِ » .

وقوله : « مَطْلَانًا فِي غَدِ جَدَثٍ » ، المطان : جمع مِطْنَةٍ ، وهو موضع الشيء وما فيه
الَّذِي يَكُونُ فِيهِ ، قال :

فَلَنْ يَكُ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَلًّا فَإِنْ مِطْنَةُ الْجَلِيلِ الشَّبَابُ^(١)

يقول : لا مال لي ، ولا أَقْنِيتُ قَبَا مَهْيَ مَالًا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ فِي أَيْدِيْنَا فَذَكَ فَصَحَّتْ
عَلَيْهَا نَفُوسُ قَوْمِ ، أَى بَخَلَتْ وَسَخَتْ عَنْهَا نَفُوسُ آخَرِينَ ، أَى سَاحَتْ وَأَغْضَتْ .
وليس يعنى هاهنا بالسَّخَا . إِلَّا هَذَا ، لَا السَّخَا الْحَقِيقِي ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلُهُ لَمْ يَسْجُوا
بِذَلِكَ إِلَّا غَضَبًا وَقَسْرًا ؛ وقد قال هذه الألفاظ في موضع آخر فيما نَقْدَمُ ، وهو يعنى الْخِلَافَةَ
بعد وثاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

(١) لقائبة التدياني ، ديوانه ١٤

ثم قال : « ونم الحسَنُ الله » ، الحسَنُ : الحاكم ، وهذا الكلام كلامٌ شاذٌّ معظَمٌ ،
ثم ذكر مالَ الإنسان وأنه لا يبنى أن يكثرَ بالتَّجَنُّبَاتِ والأموالِ ، فإنه يصير عن قريب
إلى دار البئى ومنازل تنوى .

ثم ذكر أن الخُزْرةَ ضَيْفَةً ، وأنه لو سَمَّها الحافر لأجلها الخبِرَ لشدعى والمذَرُ
التهافت ، إلى أن تعطفَ آيَتٌ وترجمه . وهذا كلامٌ محمولٌ على ظاهره ، لأنه خطابٌ للعامة .
وإلا فأى قرأى بين سعة الخُزْرةِ وضيقها على الميت ! اللهم إلا أن يقول قائل : إنَّ للميتِ
يَحْسَنُ في قبره ، فإذا قيل ذلك فالجواب له حَسَاباً بعد عدم الحسن هو الذى يوسع الخُزْرةَ ،
وإن كان الحافر قد جهلها ضَيْفَةً ؛ فإذن هذا الكلام جيدٌ لخطابِ القَرَبِ خاصة ، ومن
يَعْمَلُ الأمورَ على ظواهرها .

ثم قال : « وإنما هى نفسى أروضها بالتقوى » ، يقول : تَقَلُّى وأقتصرارى من المصم
والمَلْبَسِ على الجَنِّبِ والخَشِينِ رياضةً لنفسى ، لأنَّ ذلك إنما أعمله خوفاً من الله أن
أنفَسَ فى الدنيا ، فالرياضة بذلك هى رياضةٌ فى الحقيقة بالتقوى ، لا بنفس التقلل
والتشكُّف ، لتأتى نفسى آمناً يومَ الفَرَجِ الأكبر ، وتثبت فى مداخضِ الزَّانِ .

[ذكر ماورد من السَّيَرِ والأخبارِ فى أمرِ فَدَك]

وأعلمُ أنا تشكُّبَ فى شرحِ هذه النِّكَاةِ بثلاثة فصول :
الفصل الأول فيما ورد فى الحديثِ والسَّيَرِ من أمرِ فَدَك ، والفصل الثانى فى هل النبىُّ
صلى الله عليه وآله يورث أم لا ؟ ، والثالث فى أن فَدَك؟ هل صحَّ كونها نَحْلَةً مِن
رسول الله صلى الله عليه وآله لقائمة أم لا ؟

(١٠ - نهج - ١٦)

الفصل الأول : فبأورد من الأخبار والسيرة المتقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم ،
لأمن كتب الشيعة ورجالهم ، لأننا مشرطون على أنفسنا ألا نخفل بذلك ، وجميع ما نورد
في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيقة ، وقدك ،
وما وقع من الاختلاف والاضطراب عتب وفاة النبي صلى الله عليه وآله ؛ وأبو بكر
الجوهري هذا عالم لحديث كثير الأدب ، ثقة ورع ، أثنى عليه الخزانة وروذا
عنه مصنفاته .

قال أبو بكر : حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا حيان بن بشر ، قال :
حدثنا يحيى بن آدم ، قال : أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري قال :
بقيت بقية من أهل خير نخصنوا ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحسن مدام
ويُسَيرهم ، ففعل ، فسمع ذلك أهلُ فُذَك^(١) فزَلُوا^(٢) على مثل ذلك ، وكانت قنينة صلى الله
عليه وآله خاصة ، لأنه لم يُوجِف عليها بخيل ولا ركاب .

قال أبو بكر : وروى محمد بن إسحاق أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرغ
من خيبر فذف الله الرعب في قلوب أهل فُذَك ، فبعتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
فصالحوه على النصف من فُذَك ، فقدمت عليه رسلهم بخير أو بالطريق ، أو بعد ما أقام
باندنية ، فقبل ذلك منهم ، وكانت فُذَكُ رسول الله صلى الله عليه وآله خالصة له ، لأنه
لم يوجِف عليها بخيل ولا ركاب .

قال : وقد روى أنه صالحهم عليها كتبها ، الله أعلم أي الأمرين كان .
قال : وكان مالك بن أنس يحدث عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه صالحهم
على النصف فلم يزل الأمر كذلك حتى أخرجهم عمر بن الخطاب وأجلاهم بعد أن عوضهم
عن النصف الذي كان لهم عوض من إبل وغيرها .

(١) فُذَك : قرية بالحجاز ، بينها وبين المدينة يوم .

(٢) في ١ و ٢ وكبوا .

وقال غير مالك بن أنس : لما أجلاهم عمرُ بعث إليهم من يقوم الأموال ، بعث أبا الهيثم بن التيمّان ، وفراوة بن عمرو ، وحباب بن صخر ، وزيد بن ثابت ، فقوّموا أرضَ قَدَکَ ونخلها ، فخذها عمر ، ودفع إليهم قُبَّةَ النصف الذي لم ، وكان مبلغ ذلك خمسين ألفَ درهم ، أعظمَ إِيَّاه من مالِ أناد من العراق ، وأجلاهم إلى الشام .

قال أبو بكر : حدّثنى محمد بن زكريا قال : حدّثنى جعفر بن محمد بن عُمارة السكّدي قال : حدّثنى أبي ، عن الحسين بن صالح بن حنّ ، قال : حدّثنى رجلان من بني هاشم ، عن زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال : وقال جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين عن أبيه . قال أبو بكر : وحدّثنى عثمان بن عمران المصبيّ ، عن نائل بن نجيج بن عمير بن تميم ، عن جابر الجعفيّ ، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام ، قال أبو بكر : وحدّثنى أحمد بن محمد بن يزيد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن حسن بن الحسن . قالوا جميعا : لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماعُ أبي بكر على منمها قَدَکَ ، لانتِ خمارها ، وأقبلت في لَمّةٍ من حُدَّتِيها ونساء قومها ، نطأ في ذبولها ، ما تحرم شيئا يشية رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار ، ف ضرب بينها وبينهم رُبُعةً بيضاء . وقال بعضهم : قُبْطِيّة ، وقالوا : قُبْطِيّة بالكسر والضمّ . ثمّ أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء ، ثمّ أمهلت طويلا حتى سكنوا من قوّرتهم ، ثمّ قالت : ابتدى بحدّ من هو أولى بالحد والعزل والجد ، الحمد لله على ما أنتم ، وله الشكر بما ألهم . وذكر خطبة طويّة جيّدة قالت في آخرها : « فاتقوا الله حقّ تقّته ، وأطيعوه فيما أمركم به ، فإنما يحشى الله من عباده العلماء ، وأحدوا الله الذي لم يظنّه ونوره يبتني من في السموات والأرض إليه الوسيعة ، ونحن وسيلته في خلقه ، ونحن خاصّته ، وبحال قدسه ، ونحن حجّته في غيبه ، ونحن ورفّه

أنبيائه ، ثم قالت : أنا فاطمة أئمة محمد ، أقول عَزَّوَجَلَّ على بدء ، وما أقول ذاك سرًّا ولا شططًا ، فاسمعوا بأصابع واعيّة ، وقلوب راعية ، ثم قالت : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) فإن تَعَزَّوْهُ تَجِدُوهُ أَيْ دُونَ آبَائِكُمْ ، وَأَخَا ابْنِ عَمَى دُونَ رَجَالِكُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَتْ كَلَامًا طَوِيلًا سَنَدَكَرَهُ فَبَا بَعْدَ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي ، وَقَوْلُ فِي آخِرِهِ : ثُمَّ أَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا يَأْتِي لِي ! ﴿ فَتَحْكُمُ الْإِبْهَالِيَّةُ بَيْنَكُمْ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) لَيْسَ بِهَا مَعَانِيرُ الْمَدِينِ ، ابْنُ زَيْدٍ لَيْسَ لِي ، أَبِي اللَّهِ أَنْ تَرِثَ بِأَبْنِ أَبِي فُحَافَةَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ، لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا قَرِيبًا ! فَذَوَسَكُمَا غَطُومَةً مَرَّ حَوْلَهُ تَفْكَ بِرُومٍ حَشْرَكَ ، فَضَمَّ إِلَيْكُمْ اللَّهَ ، وَالزَّعِيمَ مُحَمَّدَ ، وَالْوَعْدَ الْقِيَامَةَ ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَحْشُرُ الْبُطْلُونَ ، وَلَكِنْ نَبَأُ مَسْتَقَرٍّ وَسَوْفَ تَدْلُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ! ثُمَّ انْفَتَحَ إِلَى قَبْرِ أَبِيهَا فَتَنَسَّلَتْ بِقَوْلِ هِنْدَ بِنْتِ أُمَامَةَ :

قَدْ كَانَ بِسَـمَاءٍ ذَلِكَ أَنْبَاءُ وَهَيْئَةٌ
أَبَدْتُ رَجَالَ لَسَانِي وَصُدَّوْهُمْ
تَجَمَّعْتُمَا رَجَالَ وَأَسْخَفْتُ بِنَا
لَمَّا قَضَيْتُ وَحَالَتِ دَوْلُكَ الْكُتُبُ
إِذْ غَبَيْتُ عَنَّا فَجَعَلَ الْيَوْمَ نُفْتَصَّبُ

قال : ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ . ثم عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت : يا مسرور البقية ، وأعضاء الله ، وحضنة الإسلام ، ماهذه الفترة عن تغري ، والوثنية عن موعتي ، والقدرة في حقي ، والسنة عن خلاستي ! أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « المرء يحفظ في ولده » ! سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ما أنتم ، أَلَيْسَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُمَّتٌ دِينَهُ ! هَا بَيْنَ مَوْتِهِ تَعْدِي خُطْبُ جَلِيلٍ أَسْتَوْسِعَ وَهْنَهُ ،

(٢) سورة النافعة ٥٠

(١) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

(٣) البقيّة : ندرت الخ .

وأَسْمَحَ فِتْنَتَهُ ، وَقُدَّ رَأْفَتُهُ ، وَأَضْمَتِ الْأَرْضُ لَهُ ، وَخَسَمَتِ الْجِبَالُ ، وَاسْتَكْدَتِ الْأَمَالُ .
أَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرَمِ ، وَهَيْسَكَ الْحَرَمَ ، وَأَذَلَّتِ الدَّوَةَ ، وَتَلَّتْ نَائِلَةَ أَعَانِ بِهَا كِتَابُ
اللَّهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَأَيُّكُمْ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْخَبَسَ عَلَى أَغْطَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنِّي بِعَصَا
اللَّهِ خَشِيْتُ ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) أَيُّ بَنِي قَبِيلَةٍ ! اعْتَصِمُوا ثَوَاتِ ابْنِي ، وَأَنْتُمْ تَرَأَوْنِي
وَمَسْمُوعٌ ، تَبْلُغُكُمْ الدَّعْوَةُ ، وَيُسَلِّمُكَ الدَّعْوَةُ ، وَأَبْكِمُ الْغَدَاةَ وَالْعَدَدَ ، وَلَكُمْ الدَّارُ وَالْآخِرَةُ ،
وَأَنْتُمْ عِبَادَةُ اللَّهِ الَّتِي تَتَخَبَّحُ ، وَخَيْرَتُهُ الَّتِي اخْتَارَ ! يَا بَنِي الْعَرَبِ ، وَبَادِعَتِ الْأُمُورَ ، وَكَأَنَّكُمْ
الْبِهِمُ حَتَّى دَارَتْ بِكُمْ رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَّ حَلْبُهُ ، وَخَبَّتْ نِيرَانُ الْحَرْبِ ، وَسَكَّتْ قُوَّةُ
الْأَشْرَكِ ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةَ الْهَرَجِ ، وَاسْتَوَقَّ نِظَامُ الدِّينِ ، أَنْخَرْتُمْ بَعْدَ الْإِنْدَامِ ، وَتَسَكَّطْتُمْ
بَعْدَ الشَّدَةِ ، وَجِئْتُمْ بَعْدَ الْمَشْجَاعَةِ ، عَنْ قَوْمٍ سَكَنُوا أَبْنَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَمَطَّنُوا فِي
دِينِكُمْ فَقَاتَلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ بِأَنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ . أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنَّ قَدْ أَخْلَدْتُمْ
إِلَى الْخَلْفِ ، وَرَكَنْتُمْ إِلَى الدَّعَاةِ ، فَجَحَدْتُمْ الَّذِي وَعَيْتُمْ ، وَسُنَّتِ الَّذِي سَوَّيْتُمْ وَإِنْ
تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جِئِمَا فَإِنَّ اللَّهَ لَفَنَى حَسِيدَ ، أَلَا وَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ مَا قُلْتُ عَلَى
مَعْرِفَةٍ مَتَى بِالْخُدْلَةِ الَّتِي خَاسَرْتُمْكُمْ ، وَخَوَّرَ الْفِتْنَةَ ، وَضَعَفَ الْبَقِيَّةَ ، فَدُونَكُمْ هَا فَاحْتَرَوْهَا
مَدِيرَةُ الظُّهْرِ ، نَاقِيَةُ الْخَلْفِ ، بَاقِيَةُ الْعَارِ ، مَوْسُومَةُ الشَّعَارِ ، مَوْصُولَةُ بِنَارِ اللَّهِ الرَّقُودَةِ ، الَّتِي
تَطْلُعُ عَلَى الْأَنْثَدَةِ ، فَيَعِينُ اللَّهُ مَا تَعْسَكُونَ ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مَنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصُّخَّالِ قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ
عُمَرَ ، عَنْ عَوَانَةَ بْنِ أَحْسَنٍ قَالَ : لَدَا كَأَنَّ فَاعِلَةً عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا بَكْرٍ بِمَا كَانَتْ بِهِ جَدِّ
أَبُو بَكْرٍ اللَّهُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا خَيْرَةَ النَّسَاءِ ، وَأَبْنَةَ خَيْرِ الْأَبَاءِ ، وَاللَّهِ
مَا عُدْتُ وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمَا عَمِلْتُ إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَإِنِّي الرَّائِدُ

(١) سورة آل عمران ١٤٤

لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وقد قلتُ فَبَافَت ، وَأَغْلَظْتَ ذَهَبْتَ ، فَتَفَرَّ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ . إِنَّمَا بَد ،
 قَدْ دَفَعْتُ آلَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَدَابَّتَهُ وَحِذَاءَهُ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَمَّا مَا سَمِعْتُ ذَلِكَ فَأَيُّ
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « إِنَّمَا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُورِثُ ذَهَبًا
 وَلَا فِضَّةً وَلَا أَرْضًا وَلَا عَقَارًا وَلَا دَارًا ، وَلَكِنَّهُ نَوْرُ الْإِيمَانِ وَالْحِكْمَةُ وَالْعِلْمُ وَالسَّيِّئَةُ »
 قَدْ عَلِمْتُ بِمَا أَمَرَنِي ، وَنَصَحْتُ لَهُ ، وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

قال أبو بكر : روى هشام بن محمد ، عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : يَا أَبَتِ أُمِّ
 أَيْمَنُ تَشْهَدُ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْطَانِي فَذَكَ ، فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ رَسُولِ
 اللَّهِ ، وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَيْمَنُ ، وَلَوْ دُرْتُ
 أَنَّ السَّمَاءَ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ يَوْمَ مَاتَ أَبُوكَ ، وَاللَّهِ لَأَنْ تَفْتَرِ عَائِشَةُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
 تَفْتَرِي ، أَتَرَانِي أَعْطَى الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ حَقَّهُ وَأُظْلِمَكَ حَقَّكَ ، وَأَنْتِ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنْ هَذَا السَّالِ لَمْ يَكُنِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّمَا كَانَ مَالًا
 مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ يَعْمَلُ النَّبِيُّ بِهِ الرِّجَالَ ، وَيَنْفَقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَلَسَاتُوقِي رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْتَهُ كَمَا كَانَ يَا بِنْتَ . قَالَتْ : وَاللَّهِ لَا كَلِّتُكَ أَبَدًا ! قَالَ : وَاللَّهِ لَا هَجَرْتُكَ
 أَبَدًا ! قَالَتْ : وَاللَّهِ لَا دَعُونَ اللَّهَ عَلَيْكَ ! قَالَ : وَاللَّهِ لَا دَعُونَ اللَّهَ لَكَ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ
 أَوْصَتْ أَلَا يَصَلِّيَ عَلَيْهَا ، فَدَفَنْتُ نَوْلًا ، وَصَلَّى عَلَيْهَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ بَيْنَ
 وَفَاتِهَا وَوَفَاةِ أَبِيهَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ لَيْلَةً .

قال أبو بكر : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْأَوَّلِ قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ خُبْرَهَا شَقَّ عَلَيْهِ مَقَاتِلُهَا فَصَعِدَ الْمَنْبَرُ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ،
 مَا هَذِهِ الرَّعَّةُ إِلَى كُلِّ قَالَةٍ ! إِنْ كُنْتُ هَذِهِ الْأَمَانَةُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ألا من سمع ليليل ، ومن شهد فليستكم ، إنها هرة شهيد ذنبه ، مُرِبٌ لكل فتنة ، هو الذي يقول : كبروها جذعة بعد ما هربت ، يستمينون بالضفة ، ويستنصرون بالنساء ، كُتْمٌ طحال أحب أهلها إليها البني . ألا إني لأشاء أن أقول لقلت ، ولو قلت لبحت ، إني ساكت ما تركت . ثم التفت إلى الأنصار فقال : قد بلغني بامشرا الأنصار مدلة سفهاكم ، وأحق من ترم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم . فقد جاءكم فأوتيتهم وتصرتم ، ألا إني لست باسطيداً ولانانا على من لم يستحق ذلك منا ثم نزل ؛ فانصرفت فاعلمة عليها السلام إلى منزلها .

قلت : قرأت هذا الكلام على القريب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له : بمن يرض ؟ فقال : بل يصرح . قلت : لو صرح لم أسألك . فضحك وقال : بلى بن أبي طالب عليه السلام ، قلت : هذا الكلام كله لى يقوله ! قال : نعم ، إنه الملك يا بني ، قلت : فامقالة الأنصار ؛ قال : هتفوا بذكر عليّ لخاف من اضطراب الأمر عليهم ، فتهام . فأنته عن غريبه ، فقال : أما الرعة بالتخفيف ، أى الاستيع والإصفاء ؛ والقالة : القول ، وشالة : اسم السلب علم غير مصروف ، مثل ذؤالة للذئب ، وشهيد ذنبه ، أى لاشاهد له على ما يدعى إلا بعضه وحزه منه ، وأصله مثل قالوا : إرت السلب أراد أن يُرى الأسد بالذئب فقال : إنه قد أكل الشاة التي كنت قد أعددتها لنفسك ، وكنت حاضرًا قال : فمن يشهد لك بذلك ؟ فرفع ذنبه وعليه دم ، وكان الأسد قد افتقد الشاة ، فقبل شهادته ، وفلس الذئب ، وترتب : ملازم ، أرب بالمكان . وكبروها جذعة أعيدوها إلى الحبال الأولى ، يعنى الفتنة والمرج . وأم طحال : امرأة بنى في الجاهلية ، ويضرب بها المثل فيقال : أرتى من أم طحال .

قال أبو بكر : وحدثني محمد بن زكريّا قال : حدثني ابن عائشة قال : حدثني أبي ، عن عمه قال : لما كنت فاطمة أبا بكر بكى ثم قال : يا بنت رسول الله ، والله ما ورث أبوك ديناراً ولا درهما ، وإنه قال : إن الأنبياء لا يورثون ، فقالت : إن فذكّ وعيها لى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فمن يشهد بذلك ؟ فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشهد ، وجاءت أمّ أئبن فشهدت أيضاً ، فجاء عمر بن الخطّاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسمها ، قال أبو بكر : صدقت يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق عليّ ، وصدقت أمّ أئبن ، وصدق عمر ، وصدق عبد الرحمن بن عوف ، وذلك أنّ مائك لأبيك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من فذكّ قوسكم ، ويقسم الباقي ، ويعمل منه فى سبيل الله ، فما تصنعين بها ؟ قالت : أصنع بها كما يصنع بها أبى ؛ قال : فلك على الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك ، قالت : الله لتفعلن ! قال : الله لأفعلن ، قالت : اللهم اشهد ؛ وكان أبو بكر يأخذ عتتها فيدفع إليهم منها ما يكتفونهم ، ويقسم الباقي ، وكان عمر كذلك ، ثم كان عثمان كذلك ، ثم كان عليّ كذلك ، ففنا ولى الأمر معاوية بن أبى سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها ، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ عليه السلام ؛ فلم يزالوا يتداولونها حتى خلّصت كلّها لمروان بن الحكم أيام خلافته ، فوهبها لعبد العزيز أئنه ، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز ، ففنا ولى عمر بن العزيز الخلافة ، كانت أوّل خلافة ردها دعاً حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام - وقيل : بل دعا عليّ بن الحسيف عليه السلام - فردّها عليه ، وكانت بيد أولاد فاطمة عليها السلام مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز ففنا ولى يزيد بن عاتكة قبضها منهم ، فصارت فى أيدي بنى مرّوان كما كانت يتداولونها ، حتى أنفقت الخلافة عنهم ، ففنا ولى أبو العباس السّناح ردها على عبد الله

ابن الحسن بن الحسن ، ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث ، ثم ردها المهديّ أبنته علي ولد فاطمة عليها السلام ، ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه ، فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون ، فردّها على القاطنين .

قال أبو بكر : حدثني محمد بن زكريا قال : حدثني مهديّ بن سابق قال : جلس المأمون للظالم ، فأرسل رُفعة وقت في يده نظر فيها وبكى وقال للذي على رأسه : ناد أين وكيل فاطمة ؟ فقام شيخ عليه ذُرّاعة وعمامة وخُفّ تَيزيّ فنقدم لجعل بناظره في فَنّاك والمأمون يمتح عليه وهو محتجّ على المأمون ، ثم أمر أن يسجل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ عليه ، فأغذّه ، فقام دُعيل إلى المأمون فأشده الأبيات التي أوتها :

أصْبَحَ وَجْهُ الزَّمانِ قد صَحَّكَ بردَ مأمونٍ هاشمٍ فَنّاكَ

فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام التَّوَكُّل ، فأقطبها عبد الله بن عمر البازير ، وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرّسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده ، فكان بنو فاطمة يأخذون نحرها ، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم ، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل ، فصرم^(١) عبد الله بن عمر البازير ذلك التمر ، وجّه رجلا يقال له بشران بن أبي أمية التقي إلى المدينة فصرمه ، ثم عاد إلى البصرة ففُليج .

قال أبو بكر : أخبرنا أبو يزيد عمر بن شبّة قال : حدثنا سويد بن سعيد والحسن بن عثمان قالا : حدثنا الوليد بن محمد ، عن الزَّهْرِيّ ، عن عروة ، عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر نسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة وتَدَك ، وما بقي من خُص خبير ، قال

(١) صرم النخل : جذه وقطعه .

أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُورث . ما تركناه صدقة » ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، وإنى والله لا أُغَيِّرُ شَيْئاً من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعمان فيها يتعامل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجدت من ذلك على أبي بكر وهجرته فلم تَكْمَلْهُ حتى توفيت ، وعاشت بعد أبيها ستة أشهر ، فلما توفيت دفنوها على عليه السلام ليلاً ، ولم يؤذن بها أبى بكر .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدثنا محمد ابن أحد ، عن مَعمر ، عن الزَّهْرِي ، عن عروة ، عن عائشة أَنَّ فاطمة واللباس أنيا أبى بكر يلتسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذ يطلبان أرضه بقَدك وسهمه بخير ، فقال لهما أبو بكر : إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تُورث ، ما تركناه صدقة » ، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه من هذا المال ، وإنى والله لا أُغَيِّرُ أمراً رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يصنمه إلا صنعتُه ، قال : فهجرتُه فاطمة فلم تَكْمَلْهُ حتى ماتت .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا عمر بن عاصم . وموسى بن إسماعيل قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، أن فاطمة قالت لأبي بكر : من يرثك إذا مت ؟ قال : ولدي وأهلي ؛ قالت : فما كنتُ ترث رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا ؟ قال يابنة رسول الله ، ما ورثت أبوك داراً ولا مالا ولا ذهباً ولا فضة ، قالت : بلى سهم الله الذي جعله لنا ، وصارفيننا الذي بيدك ، فقال لها : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « إنما هي طُغْمَةٌ أطمعناها الله ، فإذا مت كانت بين المسلمين » .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا محمد بن الفضل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : أرسلتُ فاطمة إلى أبي بكر :

أنت ورتت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله؟ قال : بل أهله؛ قالت : فما بال سبهم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قل : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ نَبِيَّهَ طَمَعَةً» ، ثم قبضه ، وجعل للذي يقوم بعده . فقلت أنا بعده ، إن أردت على المسلمين ، قالت : أنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم . قلت : في هذا الحديث محب ، لأنها قالت له : أنت ورتت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله؟ قال : بل أهله؛ وهذا تصريح بأنه صلى الله عليه وآله مَرُورٌ برئه أهله ، وهو خلاف قوله : «لَا نَوَرُ» . وأيضاً فإنه يدل على أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتَبْطِطَ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله أَنَّهُ أَعْلَمُ نَبِيَّاهُ طَمَعَةً أَن يُجْرَى رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته مجرى ذلك النبي صلى الله عليه وآله ، أو يكون قد فهم أنه عنى بذلك النبي* الشكر لفظاً نفسه ، كما فهم من قوله في خطبته : إِنْ عَبدَا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَمَا عَنَدَ رَبِّهِ ، فاختار ما عَنَدَ رَبِّهِ ، فقال أبو بكر : بل تفديك بأنفسنا .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : أخبرنا القمني قال : حدثنا عبد المزبز بن محمد ، عن محمد بن عمر ، عن أبي سلمة ، أَنَّ فَاطِمَةَ طَلَبَتْ فَذَكَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : إِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ النَّبِيَّ لَا يُورَثُ» ، مِنْ كَانَ النَّبِيُّ بِعَوْلِهِ فَأَنَا أَعْوَلُهُ ، وَمَنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ فَأَنَا أَشَقُّ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَبْرَثَكَ بَنَاتُكَ وَلَا يَرِثُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بَنَاتُهُ؟ فَقَالَ : هُوَ ذَاكَ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ سُرْجُوقٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْبَيْهَقِيُّ بْنُ حَسَّانٍ قَالَ : قُلْتُ لَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَهْجَنَ أُمِّرَ أَبِي بَكْرٍ : إِنْ أَبَا بَكْرٍ انْتَزَعَ فَذَكَ مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنْ أَبَا بَكْرٍ كَانَ رَجُلًا

رحباً ، وكان يكبره أن يذير شيئاً فمَنَّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنته فاطمة فقالت :
 إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فذلك ، فقال لها : هل لك على هذا بيتة ؟ فجابت
 بلى عليه السلام ، فشهد لها ، ثم جاءت أمّ أيمن قالت : ألسنا نشهدان أني من أهل الجنة ؟
 قالا : بلى - قال أبو زيد : يعني أمّ قالت لأبي بكر وعمر - قالت : فأننا نشهد أن رسول
 الله صلى الله عليه وآله أعطاهما فذلك ، فقال أبو بكر : فرجل آخر أو امرأة أخرى تستحق
 بها القضية . ثم قال أبو زيد : وإيهم الله لورجع الأمر إلى قضيت فيها بقضاء أبي بكر .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا محمد بن الصبيح قال : حدثنا يحيى بن
 المشوك أبو عقيل ، عن كثير النوال قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام : جملني
 الله فذلك ! أرايت أبا بكر وعمر ، هل ظلماك من حقك شيئاً - أو قال : ذهباً من حقك
 بشيء ؟ فقال : لا ، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعلمين نذيراً ، ما ظلمنا من حقنا
 مثقال حبة من خردل ؛ قلت : جعلت فداك أفأنت لهما ؟ قال : نعم ويحك ، تولها في الدنيا
 والآخرة ، وما أصابك في عنقي ، ثم قال : فذل الله بالمغيرة ويئان ، فإنهما يكذبا علينا
 أهل البيت .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا عبد الله بن نافع والقنبري ، عن مالك عن
 الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله أرذن لما توفي أن يبعثن
 عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسأله ميراثهن - أو قال مكنهن - فقلت : فقلت هن : أليس قد
 قال النبي صلى الله عليه وآله « لا تُوَرَّث ، ما تركنا صدقة » .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد ، قال : حدثنا عبد الله بن نافع والقنبري وبشر بن
 عمر ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه
 وآله قال : « لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهم . ما تركت بمدة نفقة نسائي ومشوة عيالي
 فهو صدقة » .

قلت : هذا حديث غريب ، لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإثراء إلا أبو بكر وحده .

وقال أبو بكر : حدثنا أبو زيد ، عن الحزامي ، عن ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « والذي نفسي بيده لا ينقسم وراثتي شيئاً ، ما تركت صدقة » قال : وكانت هذه الصدقة بيد علي عليه السلام ، غلب عليها العباس ، وكانت فيها خصوصتهما ، فأبى عمر أن يتسما بينهما حتى أعرض عنها العباس وغلب عليها عليه السلام ، ثم كانت بيد حسن وحسين ابني علي عليه السلام ، ثم كانت بيد علي بن الحسين عليه السلام والحسن بن الحسن ، كلاهما يتداولانها^(١) ، ثم بيد زيد بن علي عليه السلام .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدثنا يونس ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحسدان ، أن عمر بن الخطاب دعاه يوماً بعد ما ارتفع النهار ، قال : فدخلت عليه وهو جالس على سرير رمال ليس بينه وبين الرمال فراش ، على وسادة آدم ، فقال : يا مالك ، إنه قد قدم من قومك أهل أبيات حضروا المدينة ، وقد أمرت لهم برضخ^(٢) فاقسه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، مر بذلك غيري ، قال : اقم أيها الرء .

قال : فبينما نحن على ذلك إذ دخل يرفق ، فقال : هل لك في عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك ؟ قال : نعم : فأذن لهم ، قال : ثم ليث قليلاً ، ثم جاء فقال : هل لك في علي والعباس يستأذنان عليك ؟ قال : أئذن لهما ، فلما دخلا قال عباس : يا أمير المؤمنين ، اقض بيني وبين هذا - يعني شيباً - وهما يتعتبان في الصواني^(٣) التي أفاها الله على رسوله

(١) ب : « يتولانها » نصيب ، صوابه من أ (٢) الرضخ : التلألؤ .

(٣) الصواني : الأثاث الزاخرة . والمرفق : اللسان (ص ١) .

من أموال بني النضير ، قال : فأنسب علي والعباس عند عمر ، فقال عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين ، أفض بينهما وأرح أحدهما من الآخر ، فقال عمر : أنشدكم الله الذي تقوم بإذنه السموات والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » . يعني نف ؟ قالوا : قد قال ذلك ، فأقبل على العباس وعلى فقال : أنشدكم الله هل تعلمان ذلك ؟ قالوا : نعم ؟ قال عمر : فإني أحدثكم عن هذا الأمر ، إن الله تبارك وتعالى خصّ رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا التي بشى لم يعطه غيره ، قال تعالى : ﴿ مَا آتَاهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجِنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِيَلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ^(١) ﴾ ، وكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما اختارها دونكم ، ولا استأثر بها عليكم ، لقد أعطاكموها وثبتها فيكم حتى بقي منها هذا المال ، وكان ينفق منه على أهله سنتهم ، ثم يأخذ ما بقي فيجعله خيما يجعل مال الله عز وجل ، فعل ذلك في حياته ثم توفي ، فقال أبو بكر : أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قبضه الله ، وقد عمل فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنتا حينئذ ، والنتف إلى علي والعباس تزعمان أن أبا بكر فيها ظالم فاجر فاجر ، والله يعلم أنه فيها لصادق بارئ راشد ، تابع للحق ، ثم توفي الله أبا بكر ، قُلت : أنا أولى الناس بأبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضتها سذنين - أو قال ستين من إمارتي - أعمل فيها مثل ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ثم قال : وأنتا - وأقبل على العباس وعلي - تزعمان أني فيها ظالم فاجر ، والله يعلم أني فيها بارئ راشد ، تابع للحق ثم جئتماني وكنتما واحدة ، وأمركما جميع ، فجئتنى - يعني العباس - تسألني نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا - يعني عليا - يسألني نصيب امرأته من أبيها ، قُلت لكما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، فإنا بدلا أن

(١) - سورة المائدة :

أدفعها إليك قلت : أدفعها على أن عليكما عبد الله وميثاقه لتملآن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وبما عشتُ به فيها ، وإلا فلا تسكناي ! فقائبا : أدفعها إلينا بذلك ، فدفعها إليك بذلك ، أفتنسان مني قضاء غير ذلك ! والله الذي تقوم بإذنه السموات والأرض لا أفضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما عنها فدفعها إلي- فأنانا كفيكماها !

قال أبو بكر : وحدثننا أبو زيد قال : حدثنا إسحاق بن إدريس ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثني يونس ، عن الزهري قال : حدثني مالك بن أوس بن الحذات بن نحوه ؛ قال : فذكرت ذلك لروة فقال : صدق مالك بن أوس ، أنا سمعت عائشة تقول : أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى أبي بكر يأل لهن ميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أفاء الله عليه حتى كنت أردهن عن ذلك فقلت : ألا تتقين الله ، ألم تعلمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كاف يقول : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » ، يريد بذلك نفسه ؛ إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، فأنهى أزواج النبي صلى الله عليه وآله إلى ما أمرتهن به .

قلت : هذا مشكل ، لأن الحديث الأول يتضمن أن عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان فقال : نشدكم الله ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » ، بنى نفسه ! فقثوا : نعم ، ومن جعلهم عثمان ، فكيف يعلم بذلك فيكون مترسلا لأزواج النبي صلى الله عليه وآله : يسأله أن يعطينهم الميراث اللهم إلا أن يكون عثمان وسد وعبد الرحمن والزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيها رواه وحسن الظن ، وسموا ذلك عفا ، لأنه قد يطلق على الضم اسم العلم .

فإن قل قائل : فهلا حسن ظنّ عثمان برواية أبي بكر في مبدأ الأمر فلم يكن رسولاً ،
لزوجات النبي صلى الله عليه وآله في طلب الإرث ؟ .

قيل له : يجوز أن يكون في مبدأ الأمر شاكاً ، ثم يطلب على غلظه صدقه لأمارات اقتضت
تصديقه ، وكلّ الناس يقع لهم مثل ذلك .

وها هنا إشكال آخر ، وهو أن عمر ناشد عتيبة والعبّاس : هل تعلمان ذلك ؟ فقالا :
نعم ، فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العبّاس وقاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على
ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر ، وقد أوردناه نحن ! وهل يجوز أن يقال : كان العبّاس
يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي لا يستحقّه ؟ وهل يجوز أن يقال : إن عتيبة كان يعلم ذلك
ويستحقّ زوجته أن تطلب مالا تستحقّه ، خرجت من دارها إلى المسجد ، ونازعت
أبا بكر ، وكنته بما كنته إلا بقوله وإذنه ورأيه . وأيضاً فإنه إذا كان صلى الله عليه وآله
لا يؤثّر ، فقد أشكل دفع آله ودابته وحذائه إلى عليّ عليه السلام ، لأنه غير وارث في
الأصل ، وإن كان أعطاه ذلك لأنّ زوجته بُرّضة أن ترث ، فلو الخبر ، فهو أيضاً غير
جائز ، لأنّ الخبر قد متّع من أن يرث منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً .

فإن قال قائل : نحن معاشرة الأنبياء لا نُورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عماراً
ولا داراً .

قيل : هذا الكلام يُفهم من مضمونه أنّهم لا يؤثرون شيئاً أصلاً ، لأنّ عادة العرب
جارية بمنّثل ذلك ، وليس يقصدون نبيّ ميراث هذه الأجناس المدودة دون غيرها ، بل
يحملون ذلك كالتصرّح بنبي أن يؤثروا شيئاً ماعلى الإطلاق .

وأيضاً فإنه جاء في خبر الدابة والآلة والحذاء أنّه رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله :
« لا تُورث ، ما تركناه صدقة » ، ولم يقل « لا تُورث كذا ولا كذا » ، وذلك يقتضي عموم
أنشاء الإرث عن كلّ شيء . .

وأما الخبر الثاني وهو الذي رواه هشام بن محمد السكبي ، عن أبيه : ففيه إشكال أيضا ، لأنه قال : إنها طابت قَدَك ، وقالت : إن أبي أعطانيها . وإن أمّ أئمن تشهد لي بذلك ، فقال لها أبو بكر في الجواب : إن هذا النّال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان مالا من أموال المسلمين ، يحمل^(١) به الرجال ، وينفقه في سبيل الله : فلقاتل أن يقول له : يجوز للنبي صلى الله عليه وآله أن يملك أخته أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعة مخصوصة ، أو عقارا مخصوصا من مال المسلمين ، لِرَحْمَةِ أَوْسَى الله تعالى إليه ، أو لاجتهاد رأيه على قول من أجار له أن يحكم بالاجتهاد ، أولا يجوز للنبي صلى الله عليه وآله ذلك ؟ فإن قال : لا يجوز ، قل مالا يوافقه العقل ولا السلون عليه ، وإن قال : يجوز ذلك ، قيل : فإن المرأة ما اقتصر على الدعوى ، بل قالت : أمّ أئمن تشهد لي ، فكان ينبغي أن يقول لها في الجواب : شهادة أمّ أئمن وحدها غير مقبولة ؛ ولم يتضمن هذا الخبر ذلك ، بل قال لها لما أدعت وذكرت من يشهد لها : هذا مال من مال الله . لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ؛ وهذا ليس بجواب صحيح .

وأما الخبر الذي رواه محمد بن زكريّا عن عائشة ؟ ففيه من الإشكال مثل ما في هذا الخبر ، لأنه إذا شهد لها على عليه السلام وأمّ أئمن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وهب لها قَدَك ، لم يصحّ أجنباع صِدْقها وصِدْق عبد الرحمن وعمر ، ولا مانكأه أبو بكر من تأويل ذلك بمستقيم ، لأنّ كونها هبة من رسول الله صلى الله عليه وآله لها يتّبع من قوله : « كان يأخذ منها قوتكم ويقسم الباقي » ، ويجعل منه في سبيل الله « ، لأنّ هذا ينافي كونها هبة لها ، لأنّ معنى كونها لها انتقالها إلى يديها ، وأن تنصرف فيها خاصة دون كل أحد من الناس ، وما هذه صفته كيف ينسب ويحمل منه في سبيل الله !

(١) : د ويحمل .

فإن قال قائل : هو صلى الله عليه وآله أبيها ، وحُكِّمَ في مالها كحُكِّمِ في ماله
وفي بيت مال المسلمين ، فلمَّا كان بحكم الأبوَّة بفعل ذلك !

قيل : فإنَّما كان يتصرَّف ^(١) فيها تصرف الأب في مال ولده ، ولا يخرج ذلك عن
كونه مال ولده ، فإذا مات الأب لم يحز لأحد أن يتصرَّف في مال ذلك الولد ، لأنَّه ليس
بأب له فيتصرَّف في ماله تصرف الآباء في أموال أولادهم ، على أنَّ الفقهاء أوَّعظتهم
لا يميزون للأب أن يتصرَّف في مال الأبن .

وهاهنا إشكال آخر ، وهو قول عمر لعليِّ عليه السلام والعباس : وأتيا حينئذ نزعان
أنَّ أبا بكر فيها ظالم فاجر ، ثمَّ قال لَمَّا ذكر نفسه : وأتيا نزعان أتى فيها ظالم فاجر ، فإذا
كانا نزعان ذلك فكيف يزعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أنَّ رسول الله صلى الله عليه
وآله قال : « لا أورتَّه ! إن هذا لمن أعجب العجائب ، ولولا أنَّ هذا الحديث - أعني
حديث خصومة العباس وعليَّ عند عمر - مذكور في الصحيح المجمع عليها لما أطلت
المعجب من مضمونه ، إذ لو كان غير مذكور في الصحيح لكان بعض ما ذكرناه بطلان في
صحته ؛ وإنما الحديث في الصحيح لأربب في ذلك .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثنا ابن أبي شَيْبَةَ ، قال : حدثنا ابنُ عَليَّةٍ ،
عن أيوب ، عن عكرمة ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثَان قال : جاء العباس وعليَّ إلى
عمر ، فقال العباس : أفض بيني وبين هذا الكذَّاء وكذا ، أي بشتمه ، فقال الناس : انفصل
بينهما ، فقال : لا انفصل بينهما ، قد علم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
« لا نُورث ، ما تركناه صدقة » .

قلت : وهذا أيضًا مُشْكَل ، لأنَّهما حضرا بنمازغان لافي الميراث ، بل في ولاية صدقة
رسول الله صلى الله عليه وآله أنهما يتولَّاهما ولاية لا إرثًا ! وعلى هذا كانت الخصومة ،

(١) ب : وقد يتصرف .

فهل يكون جواب ذلك قد علما أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا نُورَث » ! قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد قال : حدثني يحيى بن كثير أبو غسان قال : حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري قال : جاء العباس وعليّ إلى عمر وما يختصمان ، فقال عمر لطاعة والزبير وعبد الرحمن وسعد : أنشدكم الله ، أسمعتم رسول الله صلى الله عليه يقول : « كل مال نبي فهو صدقة ، إلا ما أطعمه أهله ، إنا لا نُورَث » ! فقالوا : نعم ، قال : وكان رسول الله يتصدق به ، ويتقسم فضله ، ثم توفي فوليّه أبو بكر سدين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتينا نقولان : إنه كان بذلك خاطئا ، وكان بذلك ظلما ، وما كان بذلك إلّا راشدا ، ثم وليّه بعد أبي بكر قتات لسكا : إن شئنا قبلناه على عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده الذي عهد فيه ، قتلنا : نعم ، وجئنا في الآن تختصمان ؛ يقول هذا : أريد نصيبي من ابن أخي ، ويقول هذا : أريد نصيبي من أسراقنا ! والله لا أقضى بينكما إلّا بذلك .

قلت : وهذا أيضا مُشْكِل ، لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده ، ذكر ذلك أعظم الحديثين ، حتى إن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد . وقال شيخنا أبو علي : لا تقبل في الرواية إلّا رواية اثنين كالشهادة ، خذله للتكلمون والفقهاء كأهم ، واحتجوا عليه^(١) بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده : « نحن معاشر الأنبياء لا نُورَث » ، حتى إن بعض أصحاب أبي عليّ تكلف لذلك جوابا ، فقال : قد روى ابن أبي بكر يوم حاج فاطمة عليها السلام قال : أنشد الله أسرا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا شيئا ! فروى مالك بن أوس ابن الحدثان : أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحديث ينطق بأنه استشهد

(١) سالعة من ب

عمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعدا ، فقالوا : سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأين كانت هذه الروايات أنبأهم أبي بكر ! ما نقل أن أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأبي بكر روى من هذا شيئاً .

قال أبو بكر : وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا محمد بن يحيى ^(١) ، عن إبراهيم ابن أبي يحيى ، عن الأهرى ، عن عمرو ، عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وآله أرسلن عثمان إلى أبي بكر ، فذكر الحديث ، قال عمرو : وكانت فاطمة قد سألت ميراثها من أبي بكر مما تركه النبي صلى الله عليه وآله ، فقال لها : بأبي أنت وأمي ، وبأبي أبوك وأمي ونفسى ، إن كنت سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، أو أمرك بشئ . لم أتبع غير ما تقولين ، وأعطيتك ما تبغين ، وإلا فإني أتبع ما أمرت به !

قال أبو بكر . وحدثنا أبو زيد قال : حدثنا عمرو بن مرزوق ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري قال : قال لما أبو بكر لما طلبت فذك : بأبي أنت وأمي أنت عدوى الصادقة الأمانة ، إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليك في ذلك عهداً ، أو وعدك به وعداً ، صدقتك ، وسلت إليك ! فقالت : لم يهد إلى في ذلك بشئ . ولكن الله تعالى يقول : ﴿ يُؤْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ ^(٢) ، فقال : أشهد لقد سمعت ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّا مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ » .

قلت : وفي هذا من الإشكال ما هو ظاهر ، لأنها قد ادعت أنه عهد إليها رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك أعظم الهد ، وهو النحلة ، فكيف سكنت عن ذكر هذا لما سألهما أبو بكر ! وهذا أعجب من العجب .

(١) ب : عيسى . (٢) سورة النساء ١١ . (٣) كداني : ١ ، وفي ب : كان .

قال أبو بكر : وحدّثنا أبو زيد : قال : حدّثنا محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد العزيز ابن عمران بن عبد العزيز بن عبد الله الأصاري عن ابن شهاب ، عن مائث بن أوس بن السدّ ثمان ، قال : سمعتُ عمر وهو يقول للمبأس وعلى وعبد الرحمن بن عوف والريبر وطلحة : أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنا لا نُورث ، مما نرث الأنبياء ، ما تركنا صدقه » ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل في فيه أهل السنة من صدقائه ^(١) ، ثم يجعل ما بقى في بيت المال ! قالوا : اللهم نعم ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضها أبو بكر ، جثت يا عبّاسُ تطلب ميراثك من أين أخيك ، وجثت يا على تطلب ميراث زوجتك من أيها ! وزعمتا أن أبا بكر كان فيها خاتنا فاجرا . والله لقد كان امرأً مطيعاً ، تابعا للحق ، ثم توفى أبو بكر قبضتها ، فجثتا تطلبان ميراثكما ، أما أنت يا عباس فنتطلب ميراثك من أين أخيك ، وأنا على فيطلب ميراث زوجته من أيها ، وزعمتا أني فيها خاتن وفاجر ، والله أعلم أني فيها مطيع تابع للحق ؛ فأصلحنا أمرَكما ، وإلّا والله لم ترجع إليكما . فقاما وتركنا الخوصة وأضيت صدقة .

قال أبو زيد : قال أبو غسان : حدّثنا عبد الرزاق الصنعاني ، عن معمر بن شهاب ، عن مالك بن نويرة ، وقال في آخره : فلب على عباس عليها ، فسكّنت بيّله على ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم كانت بيد الحسين ، ثم على بن الحسين ، ثم الحسن بن الحسن ، ثم زيد بن الحسن .

❦ ❦ ❦

قالت : وهذا الحديث يدلّ صريحا على أنها جاما بطلان الميراث لا الولاية ، وهذا من المُشكِلات ، لأنّ أبا بكر حَسَمَ الأداة أولا ، وقرّر عند المبأس وعلى وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله لا يُورث ، وكان عمر من الساعدين له على ذلك ، فكيف يهود ^(١) كذا في الأصول . وفي الكلام غموس .

العباس وعلى بعد وفاة أبي بكر، بماولان أمرا قد كان فرغ منه، وبئس من حصوله، اللهم إلا أن يكونا غلنا أن عمر يتنقض قضاء أبي بكر في هذه المسألة، وهذا بعيد، لأن عليا والعباس كانا^(١) في هذه المسألة^(٢) يشبان عمر بمالاء أبي بكر على ذلك، إلا نراه يقول: نسبنا أبي بكر إلى الظلم والخيانة، فكيف بظنان أنه يتنقض قضاء أبي بكر ويورثهما!

❦ ❦ ❦

وأعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمة أبا بكر كان في أسرين: في الميراث والنسبة، وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إتياء أيضا، وهو سهم ذوى القرى.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: أخبرني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثني هارون بن عبيد، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثني صدقة أبو معاوية، عن محمد بن عبد الله، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، أن فاطمة عليها السلام أتت أبا بكر فقالت: لقد علت الذي ظلمنا عنه أهل البيت من الصدقات، وما أقام الله علينا من النمام في القرآن من سهم ذوى القرى أتم قرأت عليه قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَوْا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ مُخَصِّمُ الرُّسُولِ وَلَذَى الْقُرْبَى...﴾^(٣) الآية، فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمي ووالدك! السم والطاعة لكتاب الله، وطق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحق قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي نقرئين منه، ولم يبلغ عني منه أن هذا السهم من الخس يسلم إليكم كاملا؛ قالت: أفلك هو لأقرباك؟ قال: لا، بل أيق عليك منه، وأصرف الباقي في مصالح السليين، قالت: ليس هذا حكم الله تعالى؛ قال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله عبيد إليك

(١ - ١) ساقط من ب

(٢) سورة: الأنفال ١١

في هذا عهداً أو أوجب لكم حقاً^(١) صدقتك وسأنتك كله إليك وإلى أهلِكَ؛ قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يَهْدِ إلى شيء من ذلك بشيء، إلا أني سمعت يقول لما أُرثت هذه الآية: «أُشِرُوا آلَ عَمْرٍو فقد جاءكم النِّعَى»؛ قال أبو بكر: لم يبلغ على من هذه الآية أن أسلم إليكم هذا السهم كله كاملاً، ولكن لكم النِّعَى الذي يُغْنِيكم، وبفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فأسألهم عن ذلك، وأنظري هل يوافقني على ما طلبت أحد منهم! فانصرفت إلى عمر فقلت له: مثل ما نالت لأبي بكر، فقال لها: مثل ما قاله لها أبو بكر، فمجيئاً فاطمة عليها السلام من ذلك، وتظنت أنها كانا قد تَدَاكَّرَا ذلك واجتمعا عليه.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَمْرٍو، قال: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عن أَبِي إِبْرَاهِيمَ، عن أَبِي الْأَسْوَدِ، عن عَمْرٍو، قال: أَرَادَتْ فَاطِمَةُ أَبَا بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ وَسَهْمَ ذِي الْقُرْبَى، فَأَبَى عَلَيْهَا، وَجَعَلَهَا فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ، عن هَيْثَمَ، عن جَوَيْبِرَ، عن أَبِي الضَّحَّاكِ، عن الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ، عن أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ مَنَعَ فَاطِمَةَ وَبَنِي هَاشِمٍ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى، وَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي السَّلَاحِ وَالْكَرَاعِ.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد قال: حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ هِلَالٍ، عن مُحَمَّدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ ذَرِيعٍ، عن مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ، قال: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قُلْتُ: أَرَأَيْتَ عَلِيًّا حِينَ وَلَّى الْمِرَاقَ وَمَا وَلَّى مِنْ أَمْرِ النَّاسِ كَيْفَ صَنَعَ فِي سَهْمِ ذِي الْقُرْبَى؟ قال: سَلَكَ بِهِمْ طَارِقَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو: قُلْتُ: وَكَيْفَ؟ ولم، وَأَتَمُّ تَقْوِلُونَ مَا تَقْوِلُونَ! قال: أَمَا وَاللَّهِ مَا كَانَ أَهْلُهُ بِصُدُورٍ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ: قُلْتُ: فَمَا مَنَعَهُ؟ قال: كَانَ يَكْرَهُ

(١) كَذَا ق، أ، وَقَب: «أَوْجِبَ لَكُمْ عَلَى».

أَنْ يَدْعَى عَلَيْهِ غَالِثَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٌ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَحَدَّثَنِي اللَّؤْلُؤُ بْنُ جُمَيْرٍ ، قَالَ :
 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَيْسُونٍ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنَ حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ رَاجِعُونَ مِنَ الْحَجِّ فِي جَمَاعَةٍ ، فَاسْتَأْنَاهُ عَنْ مَسَائِلَ ، وَكُنْتُ أَحَدَ
 مَنْ سَأَلَهُ ، فَبَايَعُنِي أَبِي بَكْرٌ وَعَمْرٌ فَقَالَ : سَتَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ
 هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ : كَانَتْ أُنَى صَدِيقَةِ بِنْتِ نَبِيِّ مُرْسَلٍ ، فَاتَتْ وَهِيَ غَضْبَى عَلَى إِنْسَانٍ ،
 فَحَنَ غَضَابًا لِنَفْسِهَا ، وَإِذَا رَضِيَتْ رَضِينَا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَحَدَّثَنِي أَبُو جُمَيْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الصَّبَاحِ
 قَالَ : أَتَشَدُّنَا أَبُو الْحَسَنِ رَوَايَةَ الْفَضْلِ لِلْكَلْبِيِّ :

أَهْوَى عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَرْضَى بِشَيْءٍ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ^(١)
 وَلَا أَقُولُ وَإِنْ لَمْ يُطِيعَا قَدْ كَا بِنْتُ النَّبِيِّ وَلَا مِيرَاسُهَا : كَفَرَا^(٢)
 اللَّهُ بِمَسْلَمٍ مَاذَا يَحْضُرَانِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَرٍ إِذَا اعْتَذَرَا^(٣)

قَالَ ابْنُ الصَّبَاحِ : فَقَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ : أَتَقُولُ : إِنَّهُ قَدْ أَكْفَرَهَا فِي هَذَا الشَّرِّ !

قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : كَذَلِكَ هُوَ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ ، عَنْ هَارُونَ بْنِ عَمِيرٍ ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ مَسْلَمٍ ، عَنْ
 إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَوْلَى أُمِّ هَانِئَةَ ، قَالَ :
 دَخَلْتُ فَاطِمَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ مَا اسْتُخْلِفَ ، فَسَأَلْتُهُ مِيرَاسَهَا مِنْ أَبِيهَا ، فَجَنَمَهَا ،
 فَقَالَتْ لَهُ : لَنْ تُتَى الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بِرُؤُكَ ؟ قَالَ : وَلَدِي وَأَهْلِي ، قَالَتْ : فَلَمْ وَرِثْتَ أَنْتَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دُونَ وَلَدِهِ وَأَهْلِهِ ؟ قَالَ : فَمَا قُلْتُ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! قَالَتْ : بَلَى ، إِنَّكَ عَدَدْتَ إِلَيَّ قَدْ كُذِّبَ ، وَكَانَتْ صَافِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ فَأَخَذَتْهَا ، وَعَدَدْتَ إِلَيَّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتَهُ عَنَّا ، فَقَالَ : يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) ، (٢) ، (٣) : الماشنيات : « به نه » .

(١) الماشنيات ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) الماشنيات : « ماذا بايان به » .

صلى الله عليه وسلم ، لم أنسل ؛ حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يُعطي النبي صلى الله عليه وسلم النعمة ما كان حياً ، فإذا قبض الله إليه رُفعتُ ، فقالت : أنت ورسول الله أعلم ، ما أنا بمثلك بعد مجلسي . ثم أنفرتُ .

قال أبو بكر : وحدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى ، عن عبد الله بن حماد بن سلمان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام ، قالت : لنا اشتد بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله والوجع وثقلت في عنتها ، اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار ، فقلن لها : كيف أصبحت يا أئمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : والله أصبحت عاتقة^(١) له نياكم ، قالية لرجالكم ، لفتنهم بد أن يجنّتهم^(٢) ، وشفتهم^(٣) بد أن سبّرتهم^(٤) ، فحبها لقلول الحدّ وخوّر الفناء ، وخطل الرأى ! وبشما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ! لا جرم ! قد قدّمتهم ربقتها ، وشفت عليهم غارتها ، فجذّعا وعقرا ، وسخطا للقوم الظالمين ! ونجّتهم ، أين زحزحوها عن رّوأسى الرسالة ، وقواعد النبوة ، ومهبط الرّوح الأمين ، والطيبين بأمر الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الحسران المبين ! وما الذى قعّموا من أبى حسن ! قعّموا والله نكبر سيفه ، وشدة وطلّاه ، ونكّال وفتته ، وتشره في ذات الله ، وقاله لو تكافؤوا عن زمام نبذّه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله لأعتلقه ، ولار إليهم سيرا سحجا ، لا تكلم حاشته ، ولا يمتنع راكمه ، ولأوردكم سهلا تكمرا فضفاضا يطلع ضفتاه ، ولأصدرم بطانا قد تغير بهم الرأى ، غير متحلّ بطائل ، إلا بئس الناهل ، وردعه سورة السّافى ، ولتحت عليهم بركات من السّماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون . ألا هلمّ فاستمع وما عشت

(١) عاتقة له نياكم ، أى قالية لها كلامه .
(٢) يجنّتهم : يلوّتهم وخبرتهم .
(٣) شفتهم : أبغضتهم .
(٤) سبّرتهم : علت أمورهم .

أراك الدهر عجباً ، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث ، إلى أى لجأ استندوا ، وبأى عروة تمسكوا ! ليس الولي وليس الشير ، وليس للظلمين بدلاً ! استبدلوا والله الذنابي بالآوادم ، والصخر بالكاهل ! فرغوا لماتس نوم يحسبون أنهم يحسون ضناً ، (ألا إنهم م المتفدون ولكن لا يشعرون) ، ويجهلهم ! (أفن يهدي إلى الحق أحذ أن يتبع أمن يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون) ! أما لقد اتبعنا نظرة تبتع نظرة زناً نتبع^(١) ، ثم احتلوا ببلاد القعب دماً عبيطاً وذعافاً تحمقوا هنالك تحسر المبطلين ، ويعرف النالون غيب ما أنس الأولون ، ثم طيسوا عن أنفسهم نفساً ، وأطمئنتوا للفتنة جأشاً ، وأبشروا بسيف صام ، وهزج شامل ، وأستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيدا ، وجمعكم حصيدا ؛ فيا حسرة عليكم ، وأنى لكم وقد عثت عليكم أن لا تسكوها وأنتم لها كارهون ! والحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين .

قلت : هذا الكلام وإن لم يكن فيه ذكر نذكرك والبرك ، إلا أنه من تحت ذلك ، وفيه إيضاح لما كان عندها ، وبيان لشدة غيظها وغضبها ، فإنه سيأتي فيها بعد ذكر ما يتقاض به قاضي القضاة والرتضى في أنها هل كانت غصبي أم لا ! ونحن لا نقرر مذهبا بيمينه ، وإنما نذكر ما قيل ، وإذا جرى بحث نظري قلنا ما يتقوى في أنفسنا منه .

وأعلم أنا إنما نذكر في هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم ، وما أودعه أحد ابن عبد العزيز الجوهري في كتابه ، وهو من الثقات الأمانة عند أصحاب الحديث ، وأما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم في كتبهم من قولهم : إنها أهانها وأسماعها كلاماً غليظاً ، وإن أبا بكر رفق لها حيث لم يكن عمر حاضرا ، فكتب لها بذلك كتابا ، فلما خرجت به وجدها عمر ، فلد يده إليه ليأخذ مئالية ، فتمتعه ، فدفع بيده في صدرها

(١) كذا في ١ ، وز ب : وتحلب .

وَأَخَذَ الصَّحِيفَةَ خَرَقَهَا بِمَدْنٍ تَقَلَّ فِيهَا فَحَامَا ، وَإِنَّمَا دَعَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا رَبِّ اللَّهُ بِعَلَّتِكَ
كَابَرَتْ صَهْنَتِي ؛ نَفْسِي لَا يَرْوِيهِ أَحْصَابُ الْحَدِيثِ وَلَا يَنْقُلُونَهُ ، وَقَدَرُ الصَّاحِبَةِ يَحْمِلُ عَنْهُ ،
وَكَانَ عَمْرُؤُ اتَّقَى اللَّهَ ؛ وَأَعْرَفَ الْخَلْقَ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ نَقَضَتِ الشَّيْخَةُ بَعْضَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ
الَّتِي يَذْكُرُونَهَا شِعْرًا أَذَلَّهُ آيَاتُ الْمَهْدِيِّ بْنِ سَرْزُوبِ الشَّاعِرِ مِنْ فَصِيدَتِهِ الَّتِي
أَوَّلَاهَا (١) :

يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ تَرَاكِ بِالْعُ قَتْلِي رِضَاكِ (٢)
وَقَدْ ذِيلَ عَلَيْهَا بَعْضُ الشَّيْخَةِ وَأَتَمَّهَا ، وَالْآيَاتُ :

يَا أَبْنَةَ الطَّاهِرِ كَمْ تَنْدَعُ بِالْعُ قَتْلِي رِضَاكِ
غَضِبَ اللَّهُ تَلَطُّبِي لَيْلَةَ الْغُلْفِ مَرَاكِ
وَرَعَى النَّارَ غَدَاً قَطَّ رَعَى أَمْسَ حَالِكِ
مَرَّ لَمْ يَعْطِفْهُ شَكْوَا . وَلَا أَسْتَمِيَا بِكَ
وَأَقْتَدَى النَّاسَ بِهِ دَفَارْدَى وَلَدَاكِ
يَا ابْنَةَ الرَّاقِي إِلَى الدَّرَجَةِ فِي لَوْحِ السَّكَاكِ
لَهْفَ نَفْسِي وَعَلَى مَدِّ لَيْلِكَ فَلَتَبِكِ الْبُؤَاكِ
كَيْفَ ! تَقَطَّعَ بِدَمِّ إِلَيْكَ ابْنُ حَمَاكِ
فَرَحْرَا يَوْمَ أَهَانُواكِ بِمَسَاءِ أَبَاكِ
وَلَقَدْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ رِضَاكِ فِي رِضَاكِ
دَفَعَا النَّصْرَ عَلَى إِرَاكِ تِلْكَ لَنَا دَفْعَاكِ
وَنَصْرَتُكَ لَقَدَّرْتُ تَفَاهِي وَأَتَهَرَّاكِ

(٢) نِ الْأَصُولُ : « دِيرِك » وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ

(١) دُرُودَاهُ ٢ : ٣٦٢ ، ٣٦٨
مِنَ الدِّيَوَانِ .

وَدَعَيْتِ النَّحْلَةَ الْمَشْهُودَ فِيهَا بِالصَّكَّكِ
فَأَسْنَأَطًا نَمَّ مَا إِنْ كَذَّبَا إِنْ كَذَّبَا
فَزَوَى اللَّهُ عَنِ الرَّحْمَةِ زَنْدِيقًا ذَوَالِكِ
وَنَقَى عَنْ بَابِهِ الْوَاسِعَ شَيْطَانًا ضَالِكِ

فانظر إلى هذه البلية التي صبت من هؤلاء على سادات المسلمين ، وأعلام المهاجرين !
وليس ذلك بقادح في علو شأنهم ، وجلالة مكانهم ، كما أن منفض الأنبياء وحسدتهم ،
ومصطفى الكعب في إلحاق العيب والتهجين لشرائعهم لم تردّد لأنيائهم إلا رضى ، ولا
زادت شرائعهم إلا انتشارا في الأرض ، وقبولا في النفس ، وبهجة ونورا عند ذوى
الألباب والعقول .

وقال لى علوى من الحلة^(١) يعرف بلى بن مهنا ، ذكى ذو فضائل : ما تظن قصد
أبو بكر وعمر بمنع فاطمة فذلك ؟ قلت : ما قصدا ؟ قال : أرادا ألا يظهر لى
- وقد اغتصباه الخلافة - رقة ولينا وخذلانا ، ولا يرى عندهما خورا ، فأتبما التروح
بالقرح .

وقلت لشكلم من متكلى الإمامية يعرف بلى بن تقي من بلدة النيل^(٢) : وهل
كانت فذلك إلا بخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير ! فقال لى : ليس الأمر كذلك ،
بل كانت جليلة جدا ، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل ، وما قصد
أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتفرى على بحاصليها وعلتها على النزاعة في الخلافة ،
ولهذا أتبما ذلك بمنع فاطمة ولى وسائر بنى هاشم وبنى المطلب حقهم في الحس ، فإن

(١) الحلة : تطلق على عدة مواضع ؟ منها موضع بين الكوفة والبصرة ؟ وهى حلة بنى مزيد .

(٢) النيل هنا : بلدة في سواد الكوفة ؟ قرب حلة بنى مزيد .

الفقير الذى لا مال له تضعف همته وينصاعر عند نفسه ، ويكون مشغولا بالاحتراف
والاكتساب عن طلب الملك والرياسة ، فانظر إلى ما قد وقرّ في صدور هؤلاء ، وهو
دأب لا دواء له ، وما أكثر ما نزول الأخلاق والشيم ، فأما المعاند الراضخ فلا سبيل
إلى زوالها !

محمد مهدي الخراساني

مقتل الحسين للخوارزمي

أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم
المتوفى سنة ٥٦٨ هـ

الجزء الأول

طبع على نفقة

السيد محمد رضا السيد سلطانه و محمد الرهاوي المصري و مرزاه الخليل
رئيس تحرير (الدليل) صاحب مطبعة الزهراء

عني بملاحظته والتعليق عليه
العلامة المحقق الكبير

السيد محمد السماوي حفظه الله

مطبعة الزهراء نجف الخميني

سموا هذه القالة اسرعوا الى سيوفهم فجردوها وقالو صبروا الى دين محمد
 الساحر الكذاب فقال لهم والله يا بني سليم ما هو ساحر ولا كذاب ان
 إله محمد خير آله وان محمداً خير نبي آتته جالئاً فاطمني وعارياً فكساني
 وراجلا فغمني ثم شرح لهم قصة الغيب وما قاله وقال لهم يا مثنى بني سليم
 اسلموا تسلموا من النار فاسلم ذلك اليوم اربعة آلاف رجل وهم اصحاب
 الرايات الخضر حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . (وروي) في
 المراسيل ان الحسن والحسين كان عليهما ثوبان خلفان وقد قرب السيد
 فقالا لامها فاطمة ان بني فلان خيطت لهم ثياب فاخرة للسيد افلا تخيطين
 يا امه لنا ثياباً للسيد فقالت لها بخاط لكما انشاء الله فلما جاء العيد جاء جبرائيل
 بمقيمين من حلال الجنة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له
 رسول الله ما هذان يا اخي يا جبرائيل فاخبروه بقول الحسن والحسين
 لفاطمة وبقول فاطمة بخاط لكما انشاء الله قال جبرائيل فلما سمع الله قولها
 قال لا تكذبين فاطمة بقولها فقد شئت . وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم قال ادل شخص يدخل علي الجنة فاطمة مثلها في هذه الامة
 كمثل مريم بنت عمران في بني اسرائيل . (واخبرنا) سيد الحفاظ
 ابو منصور شهردار بن شرويه الديلمي فيما كتب الي من همدان جزاه الله
 خيراً اخبرنا محي السنة ابو الفتح عبدوس بن عبدالله الهمداني كتابة
 اخبرنا ابو منصور اخبرنا علي بن مكي اخبرنا القاسم اخبرنا ابراهيم اخبرنا
 اسماعيل ابن بنت السدي اخبرنا بشر بن الوليد الهاشمي اخبرنا عبدالنور
 المسمعي عن شعبة بن الحجاج عن عمرو بن مرة عن ابراهيم بن علي عن
 مسروق قال لما قدم علينا عبدالله بن مسعود الكوفة قلنا له حدثنا عن
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الجنة ثم قال سأحدثكم بحديث
 سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ازل اطلب الشهادة للحديث
 فلم ارضها سمعته يقول في غزوة تبوك ونحن نسير معه يقول ان الله امرني

ان ازوج فاطمة من علي ففعلت فقال لي جبرائيل ان الله قد بنى جنة عدن من لؤلؤ قصب رطب بين كل قصبة الى قصبة لؤلؤة من ياقوت مشدرة بالذهب فلبنة من در ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد ، ثم جعل فيها عيوناً تنبع في نواحيها وحيطت بالانهار وجعل الانهار قباًبا قد شعت بسلاسل الذهب وحفت بانواع الشجر وبين كل غصنين بيت وجعل في كل اريكة من درة يميناء غشاؤها السندس والاستبرق وفرشت ارضها بالزعفران وفتيق المسك والمبر وجعل في كل قبة حوراء ، والقبه لها مائة باب على كل باب جاريتان وشجرتان وفي كل قبة مفروش وكتاب مكتوب حول القباب اية الكرسي فقلت يا جبرائيل لمن بنى الله هذه الجنة فقال هذه جنة بناها الله لعلي وفاطمة ابنتك ، سوى جناتها تحفة لها التحفها الله بها يا محمد . (واخبرني) الامام شهاب الاسلام ابو التيجيب سعد بن عبدالله الحمدي في كتابه الكافي في مرثي همدان اخبرني الحافظ سليمان بن ابراهيم في كتابه في من اصيها سنة ثمان ومائتين وابهاة اخبرنا الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في اذن لي قال حدثت عن جعفر بن محمد بن مروان اخبرنا ابي اخبرنا سعيد بن محمد الجرمي اخبرنا عمرو بن ثابت عن ابيه عن حبة عن علي عليه السلام قال غسلت النبي في قميصه فكانت فاطمة تقول ارثي القميص فاذا شمتني غشي عليا فلما رأيت ذلك غيبتني (وهذا) الاسناد عن الحافظ ابي بكر هذا اخبرنا عبدالله بن اسحاق اخبرنا محمد بن عبيد اخبرنا محمد بن زياد اخبرنا شريك بن قنم عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت لما بلغ فاطمة ان ابا بكر اظهر منصفاً فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بمجلبابها واقبلت فيلة من حفرتها ونساء قومها تظأذبونها متحرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت دونها مائة ثم انت انة اجبش لها القوم بالبكاء ثم امهلت هنيهة حتى اذا سكنت فورثهم انتنحت كلامها

بحمد الله والنساء . عليه ثم قالت (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فان تمزوه تجدوه ابي دوت نساءكم ، واخا ابن عمي ، دون رجالكم ، فلغ الرسالة ، صادعا بالنسذارة ، مائلا عن مدرجة المشركين ، ضاربا لحدتهم ، يحذ الاصنام ، وينكت الهام ويدعو الى سبيل ربه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى تفرى الليل عن صبحه ، واسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقائق الشياطين ، وتمت كلمة الاخلاص ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، نهزة الطامع ، ومذقة الشارب ، وقبة العجبان ، وموطى الاقدام ، تبرون الطرق ، وتقتاتون القد ، اذلة خاسئين ، حتى استنقذكم الله ورسوله ، بسد الليتا والتي ، وبمد ان مي بهم الرجال ، وذويان العرب ، ومردة اهل الكتاب ، كمالا اوقدوا نارا للحرب ، وفنوت فائرة ، قذف اخاه في لهواتها فلا ينكفي ، حتى يطا صاخها باخمصه ، ويطفى عادية لها بسيفه ، واتم في رفاية آمنون ، وادعون حتى اذا اخار الله لنيه دار انبيائه ، اطلع الشيطان رأسه ، فدعاكم فالقاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم غضا با فوسمتم غير ابلكم ، ووردتم غير شربكم ، هذا والمقدرب والكلم رحيب ، والجرح لا يندمل ، اما زعمتم خوف الفتنة ، (الا في الفتنة سقلوا وان جهنم لخطية بالكافرين) ثم لم تلبثوا حيث ثرون حسوا في ارتقاء ونصبر منكم على مثل حز المدى ، واتم تزعون ان لا ارث لنا ، الحكم الجاهلية تبنون ، (ومن احسن من الله حكا لقوم يوقنون) يامشر المسلمين ان ابرز ارث ابي ابي الله ان ترث اباك ، ولا ارث ابي ، لقد جئت شيئا فريا ، فدونها مرحولة مظلومة ، فلذاك يوم حشرك ، فسم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعده القيامة ، (وعند الساعة يحشر المبطلون) ثم انكفات الى قبر ايها تقول : قد كان بعدك انباء وهنبة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب انا فقد ناك قد الارض والها واختل قومك فاشهدم نقدنكبوا

الصورة الخامسة :

مَنَالُ الطَّالِبِ

فِي شَرْحِ طَوَالِ الْغُرَائِبِ

لِمَجْدِ الدِّينِ أَبِي السَّعَادَاتِ الْبَارَكِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ

ابن الأَبي شَيْبَةَ

٥٤٤ - ٦٠٦ هـ

الجزء الثاني

في أحاديث الصحابة والتابعين

رضي الله عنهم

تتبع

الدكتور محمود محمد الطناحي

الناشر مكتبة النخاعي بالناصرة

دون رجالكم ، ولينعم المغزيُّ إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ . فبلغَ الثَّدَاةَ ،
صَادِعاً بِالرَّسَالَةِ ، نَاكِباً عَنْ سِتْنِ الْمُشْرِكِينَ ، ضَارِباً لِأَتْبَاجِهِمْ ، آخِذاً
بِأَكْطَابِهِمْ ، دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، يُفَضُّ
الْهَامَ ، وَيَجِدُّ الْأَصْنَامَ ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ ، وَوَلَّوْا الدُّثُرَ ، وَحَتَّى تَقْرَبَ
اللَّيْلُ عَنْ صَبْحِهِ ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَخْضِيهِ ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ ،
وَعَرِضَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ ، وَفُهِتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا
حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، مَذَقَّةَ الشَّارِبِ ، وَنَهْرَةَ الطَّامِعِ ، وَقَبْسَةَ الْعَجَلَانِ ،
وَمَوْطِيءَ الْأَقْدَامِ .

تُشْرِبُونَ الطَّرْقَ ^(١) ، وَتَقْنَأُونَ الْقَدَّ ، أَوَّلُهُ خَاشِعِينَ ،
يَتَخَفُطُكُمْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، فَأَنْتَ ذَكَرَ اللهُ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، بَعْدَ
النَّبَاِ وَالنَّبِيِّ ، وَتَعُدُّ مَا مَنَى بِهِمُ الرُّجَالُ ، وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ ، وَمَرَدَةِ أَهْلِ
الْكِتَابِ .

﴿ كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ﴾ ^(٢) أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ
لِلضَّلَالَةِ ، أَوْ فَعَرَّتْ فَاغَرَةً لِلْمُشْرِكِينَ ، قَذَفَ أَخَاهُ عَلِيًّا فِي
نَهْوَاتِهَا ^(٣) ، فَلَا يَنْكَفِيءُ حَتَّى يَطَأَ ضِمَائِهَا بِأَحْصَاهِ ، وَيُخَيِّدَ
لَهَا بِحَدِّهِ ، مَكْظُوطاً ^(٤) فِي طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، مُشْتَرِئاً ،

(١) بحاشية الأصل : « الرِّق » . وسأني في الشرح .

(٢) سورة المائدة ٦٤ ، وبحاشية الأصل : « حُشِرَا » رواية في « أوقدوا » . وسأني في
الشرح .

(٣) بحاشية الأصل : « هَوَاتِهَا » . وسأني في الشرح .

(٤) بحاشية الأصل : « مكدردا في ذات الله » . وسأني في الشرح أيضا .

ناصباً ، مُجذِّداً ، كادِحاً ، وأنتم في بُلْهَنِيَّةٍ وادْعُون ، وفي رَفَاهِيَّةٍ
فَكِيهُونَ ، تَأْكُلُونَ الْعَفْوَ ، وَتَشْرَبُونَ الصَّفْوَ ، تَتْرَكُونَ الْأَحْبَارَ ،
وَتَتَكَبَّرُونَ عِنْدَ النَّزَالِ .

فلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَحَلَّ أَصْفِيَائِهِ ، ظَهَرَتْ
حَسِيكَةُ النِّفَاقِ ، وَأَسْمَلُ^(١) جَلْبَابُ الدِّينِ ، وَأُخْلِقَ عَهْدُهُ ، وَانْقَضَى
عَقْدُهُ ، وَنَطَقَ كَاظِمٌ ، وَتَبَعَ خَامِلٌ ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ ؛ يَخْطِرُ فِي
عَرَصَاتِكُمْ ، وَأُطْلِعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ ، صَارِحاً بِكُمْ ، فَأَلْفَاكُمُ
لِدَعْوَتِهِ مُصِيبِينَ^(٢) ، وَلِلْفِرَّةِ مُلَاحِظِينَ ، وَاسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ
بِخِفَافٍ ، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمُ غَضَاباً ، فَخَطَمْتُمْ^(٣) غَيْرَ إِبِلِكُمْ ،
وَأُورِذْتُمُوهَا غَيْرَ شِرْبِكُمْ . يَدَارُأُ زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ . ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾^(٤) .

هَذَا ، وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْكَلْمُ رَجِيبٌ ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدِيلُ ،
وَالرُّسُولُ لَمَّا يُنْبِئُ .

هَيْهَاتَ مِنْكُمْ ، وَأَيْنَ بِكُمْ ، وَأَيُّي تُوَفِّكُونَ ؟ وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ
أَظْهُرِكُمْ ، زَوَاجِرُهُ قَاهِرَةٌ ، وَأَوَامِرُهُ لَاحِظَةٌ ، وَأُدُلَّتْهُ وَاضِحَةٌ ، وَأَعْلَامُهُ بَيِّنَةٌ ،
أَرْغَبَةٌ - وَتَحْكُمُ - عَنْهُ ؟ ﴿ يَفْسَ لِلْظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾^(٥) .

(١) بحاشية الأصل : « وأسل » .

(٢) بحاشية الأصل : « مستجيبين » .

(٣) بحاشية الأصل : « فرسم » .

(٤) سورة التوبة ٤٩

(٥) سورة الكهف ٥٠

ثم لم تزلوا بعد اجتراح ، إلا ريثما سكنت نفوسها ، وأسلس قيادها .

تسيرون حسناً في ازدياد ، ونحن نصبر منكم على يقبل ونحز (١)
المدى ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إزت لنا ، ولا حظ . ﴿ أفحكّم
الجاهليّة تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (٢) .

ويها (٣) معشر المسلمة ، أأبتن إزينة ؟ أمي كتاب (٤) الله أن
تزت أبالك ولا أرت أينة ؟ لقد جئت شيئا فريباً (٥) .

جيزة منكم على قطيعة الرجم ، وتكث العهد ، فعلى عهد ما
تركتم كتاب الله بين أظهركم وتبدلتموه .

فدونكها مرسولة مرسومة (٦) ، تكون معك في قترك ، وتلفاك
يوم حشرتك ، فنعيم الحكم الله ، ونعم الزعيم محمد ، والموعود القيامة ،
وعند الساعة ما يحسر المبطلون ، و ﴿ لكل نبياً مستقر وسوف
تعلمون ﴾ (٧) .

(١) بحاشية الأصل : هـ حر .

(٢) سورة المائدة ٥٠ و (تبغون) كما جاء في الأصل ، بالناء العوقية ، وهي قراءة ابن عامر . راجع الكشف عن وجوه القراءات ٤١١/١

(٣) بحاشية الأصل : وإياها .

(٤) بحاشية الأصل : هـ حكم .

(٥) انظر الآية ٢٧ من سورة مريم .

(٦) بحاشية الأصل : ع عظيمة .

(٧) سورة الأنعام ٦٧

ثم عدلت إلى مجلس الأنصار ، فقالت : يا مَعْشَرَ الْفِتَّةِ ^(١) ،
وأغصاذ الجَلَّةِ ، وحَضَمَةُ الْإِسْلَامِ ، ما هذه الْعَمِيرَةُ في حَقِّي ، والسَّنَّةُ
عن غُلَامَتِي ؟ أما قال رسول الله ﷺ : « الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ » ؟
لَمْ تَرَ عَنَّا مَا أَخَذْتُمْ ! وَعَجَلَانِ ذَا إِهَالَةٍ !

أتقولون : مات محمد ؟ لَعَمْرِي ، خَطَبُ جَلِيلٍ ، اسْتَوْسَعَ
وَهَيْه ، وَاسْتَنْهَرَ فَتَقَهُ ، وَفَقَدَ رَاتِقَهُ ، وَأَغْلَمَتِ الْأَرْضُ لَعْيِيهِ ،
وَاسْتَأْبَتْ بَحِيرَةُ اللَّهِ لِمُصِيبَتِهِ ، وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ ، وَاسْتَكْذَتِ الْأَمَالُ ،
وَأَضْيَعُ الْخَرِيمُ ، وَأَذْيَلَتِ الْخُرْمُ ، فَتِلْكَ نَازِلَةٌ عَلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ فِي
أَفْنِيَتِكُمْ ، مُنْصَاكُمُ وَمُصْطَحِكُكُمْ ، جِنَافًا جِنَافًا . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٢) .

إيها بني قَيْلَةَ ! أَهْتَضَمُ ثُرَاتِ أُمِّي وَأَنْتُمْ بَمَرَأِي مَنِي وَمُسْمَع ؟
تَشْمَلُكُمْ الدَّعْوَةُ ، وَيُنَالُكُمْ الْخَبَرُ ، وَفِيكُمْ الْعَدَدُ وَالْعُدَّةُ ، وَلَكُمْ
الدَّارُ ، وَعِنْدَكُمْ الْجَنَنُ ، وَأَنْتُمْ نُحْبَةُ اللَّهِ الَّتِي اتَّخَذَ لِدِينِهِ ، وَأَنْصَارُ
رَسُولِهِ ، وَخَيْرُهُ الَّتِي اتَّخَذَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَذَايْدُكُمْ فِينَا صَحِيمُ
الْعَرَبِ ، وَنَاهَضُكُمْ الْأَمَمُ ، وَكَافَحُكُمْ الْبَهْمُ ، لَا تَنْرَحُ وَلَا تَبْرَحُونَ ،
وَقَامُرُكُمْ فَتَأْتِيُرُونَ ، حَتَّى دَارَتْ لَكُمْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَّ حَلَبُ

(١) بحاشية الأصل : « الْفِتَّةُ » . وعلى هذه الرواية اقتصر المصنف في الشرح .
و « الْفِتَّةُ » الفرقة والجماعة من الناس ، في الأصل . وهو من فأت رأسه وفأوته : إذا
شفقته . النهاية ٤٧/٣

(٢) سورة آل عمران ١٤٤

الأيام ، وعَصَمَتْ ثَخُوءَ الشُّرَكَ ، وبَاغَتْ نِيرَانَ الْحَرْبِ ، وَهَدَّاتِ رَوْعَةَ الْهَرَجِ ، وَاسْتَوَسَقَ نِظَامُ الدِّينِ .

فَأَنَّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ ، عَنْ قَوَاعِ نَكَلُوا أَيْمَانِهِمْ ، ﴿ أَتَخْتَوِيهِمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

أَلَا قَدْ أَرَى - وَاللَّهِ - أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفَضِ ، وَرَكَبْتُمْ (٢) إِلَى الدَّلْعَةِ ، وَعَجَبْتُمْ عَنِ الدِّينِ ، وَمَجَحَّتُمْ الَّذِي عَرَفْتُمْ ، وَلَقَطَطْتُمْ (٣) الَّذِي سَوَّغْتُمْ ، فَهَلْ إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَكِيمٌ ﴿ (٤) .

أَلَا وَقَدْ قُلْتُ الَّذِي قُلْتُ ، عَلَى مَعْرِفَةٍ بِالْخِذْلَةِ الَّتِي خَامَرْتُكُمْ ، وَلَكُنْهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ ، وَمُؤَيَّةُ الْغَيْظِ ، وَنَفْثَةُ الصِّدْرِ ، وَمُغْبِرَةُ الْحُجَّةِ ، فَدَوَّكُمْ فَاحْتَفَبُوهَا مُدِيرَةَ الظُّهْرِ ، مَهِيضَةَ الْعَظَمِ ، حَوَارَاءَ الْقَنَاةِ ، نَاقِبَةَ الْخُفِّ ، بَاقِيَةَ الْعَارِ ، مَوْصُولَةَ بَشَائِرِ الْأَمَدِ ، مَتَّصِلَةَ بَنَارِ اللَّهِ ، فَبَيِّنَ اللَّهُ مَا تَفْعَلُونَ ، وَاعْمَلُوا إِنَّا عَامِلُونَ ، وَانْظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ، وَأَنَا ابْنُ تَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، ﴿ فَكَيْفَ يُؤْنِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴾ (٥) ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْغَلِبُونَ ﴾ (٦) .

(١) سورة التوبة ١٣

(٢) بحاشية الأصيل : « وَجَلَّيْتُ بِالْهَدَّةِ » .

(٣) بحاشية الأصيل : « وَدَسَعْتُ » .

(٤) سورة إبراهيم ٨

(٥) سورة هود ٥٥

(٦) آخر سورة الشعراء .

ثم انكفأ إلى قبر أبيها عليه السلام ، متمطلة بقول صفية بنت عبد المطلب ، وقيل : أمانة :

قد كان بتدك أنباءً وهبتة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنما فقدناك فقد الأرض وأبلها وغاب مذيعت عنا الوحي والكُتب^(١)
تهضمتنا رجال واستجف بنا إذ بنت عنا فنحن اليوم نُقصب
أبدت رجال لنا فحوي صدورهم لما فقدت وحالت دوتك الكُتب
قال : فما رأينا يوماً أكثر باكيةً وبكيةً من ذلك اليوم .

هذا الحديث أكثر ما يروى من طريق أهل البيت ، وإن كان قد روي من طريقٍ أخرى ، أطول من هذا وأكثر .

وأهل الحديث يقولون : إنه موضوع على فاطمة .
وقال ابن قتيبة : قد كنت كتيبه وأنا أرى أن له أصلاً ، وسألت
عنه رجال الحديث ، فقال لي بعض ثقله الأخبار : أنا أسن من هذا
الحديث ، وأعرف من عجله^(٢) .

(١) بحاشية الأصل : واختل قمرتك لما نجت وانقلبوا

وانظر هذا الشعر في مصادر تخرج الحديث .

(٢) غريب الحديث ٥٩٠/١ ، ولم يذكر ابن قتيبة من هذا الحديث إلا صدره ، ثم

قال ما حكاه عنه ابن الأثير .

والحديث بتمامه ذكره ابن أبي الحديد ، في موضعين من شرح نهج البلاغة ، ٣١١/١٦ ،

- ٢١٣ ، ٢٤٩ - ٢٥١ ، وانظر منه أيضاً ٤٣/٦ ، وانظر الفائق ٣٢١/٣ ، ١١٦/٤ ،

وبلاغات النساء ص ١٦

قلت : هذا الحديث وإن كان موضوعاً كما ذكروا ، فهو من أفصح الكلام وأحسنه مأخذاً ، واحتجاجاً ، ولعل واضحه لا يتقص درجۃ عن الخجّاج بن يوسف الثقفی ، وكُتب غريب الحديث مشحونة بشرح كلامه وخطبه^(١) ، فلا بأس أن يُجزى هذا الحديث مجراها ، في شرح غريبه ومعانيه ، ولعل أكثر ما يروى من أحاديث الغريب الطوال جارية هذا المجري ، في التصنع^(٢) . والله أعلم .

شرحه

الزهراء : تأنيب الأزهر ، وهو النير المشرق من الألوان ، وأراد به إشراف نور إيمانها ، وإضاءته على إيمان غيرها .
وقدك : اسم قرية من قري تحير ، كانت هي وغيرها من قراها خاصة لرسول الله ﷺ ، وقعت في سهمه من تحير ، فلذلك طلبت فاطمة سهمها من ميراثها .
ولانت المرأة جمارها : إذا لوتها على وجهها ورأسها ، ولان الرجل عمامته : إذا أدارها على رأسه .

= وانظر حديث فذك في صحيح البخاري (باب قول النبي ﷺ : لا نورث ما تركنا صدقة . من كتاب الفرائض) ١٨٥/٨ - ١٨٧ ، وصحيح مسلم (باب حكم الفري . من كتاب الجهاد والسير) ص ١٣٧٨ - ١٣٨٢ ، وفتوح البلدان ص ٣٣ - ٣٨ ، وأيضاً شرح نهج البلاغة ٤٦/٦ .
(١) يقول الزجاج عن الحجاج : وإنما احتجنا بكلامه ؛ لأنه كان بقية الفصاحة . تفسير أسماء الله الحسنى ص ٣٦ .
(٢) انظر ما أورده المرتضي من دفع تهمة التصنع هذه ، في شرح نهج البلاغة ٢٥٢/١٦ .

وَاللِّمَّةُ ، بضم اللام وتخفيف الميم : الجماعة من النساء ، ما بين الثلاثة إلى العشرة . قيل : أصلها فُعْلَةٌ ، من الملاءمة ، وهي الموافقة والاجتماع .

قال الجوهري : الهاء عوض من الحمزة الذاهية من وسطها .
وَالْحَفْدَةُ : الأتباع والخوَل ، جمع حافِد وحافِدة ، سُموا به من الحَفْد : الإسراع في الخدمة والعمل . يُقال : حَفَدْتُ وَأَحَفَدْتُ .
وَوَطَّؤُ الدَّيْل في المشي : من آثارِ الحياءِ والخُفَر ، وكان ذلك من عادة نساء العرب .

وقولها : « لا تَحْرُمُ مِثْنِيَّةَ رسولِ الله » أي لا تترك ولا تُخالِف ، وكانت مِثْنِيَّتُها تُشبه مِثْنِيَّتَه .
وَالْحَشْنُدُ ، بسكون الشين : الجمع ، واحشَنَدَ القَوْمُ : إذا تَجَمَّعُوا .

وَلَطَطْتُ : أي مُدَدْتُ وَسَيَّرْتُ ، يقال : لَطَطَ الحَقُّ بِالْبَاطِلِ : إذا سَتَرَهُ بِهِ .

وَيُرْوَى : « نِيَطَطُ » أي عُلِقَتْ ، يقال : نَاطَ بِهِ كَذَا يَنْوِطُهُ نَوِطًا : إذا عُلِقَ .
وَالْمُلَاءَةُ : الإزارُ .

وَالْأُنَيْنُ : صوتُ المتوجِّعِ الشاكِي .
وَأَجْهَشَ بالبكاء : إذا تَهَيَّأَ لَهُ ، يقال : جَهِشْتُ ، وَأَجْهَشْتُ ، وأصله أن يفرغ الإنسان ، ويلجأ إلى غيره ، وهو مع ذلك يريد البكاء ، كما يفرغ الصبي إلى أمه من شيء يخافه .

والتَّجِيبُ : الصَّوْتُ فِي الْبُكَاءِ .
 وَقَوْرَةُ الشَّيْءِ : أَوَّلُهُ ، وَحِدَّتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْرَانُ الْقَدْرِ ، وَعَلَيَّاهَا .
 وَالرَّوْعَةُ : الْمَرَّةُ مِنَ الرَّوْعِ : الْفَرَعُ .
 وَقَوْلُهَا : « عَوْدًا عَلَيَّ بِهَذِهِ » أَيُّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَآخِرًا بَعْدَ أَوَّلٍ .
 وَالسَّرْفُ : ضَيْدُ الْقَصْدِ ، وَالسَّرْفُ : الْإِعْفَالُ وَالْخَطَأُ .
 وَالشُّطْطُ : الْبُعْدُ عَنِ الْحَقِّ ، وَالْجَوْرُ ، وَالظُّلْمُ .
 وَالْعَنْتُ : الْإِثْمُ ، وَالْوَقُوعُ فِي أَمْرِ شَائِقٍ ، وَقَدْ غَيَّتْ هُوَ ، وَأَعْتَنَتْهُ غَيْرُهُ .

وَعَزَّوْتُ الشَّيْءَ أَعْزَيْهِ ، وَأَعَزَّوْهُ ، فَهُوَ مَعَزَيٌّ وَمَعَزْوٌ : إِذَا أُسْتَنْدَتْهُ إِلَى غَيْرِكَ . أَيُّ إِنْ نَسَبْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، فَأَنَا وَعَلِيٌّ ابْنُ عَمِّي أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ نِسَابِكُمْ وَرِجَالِكُمْ .
 وَالتَّنَادَرُ : الْإِنْذَارُ ، يَقَالُ : أُنْذِرُ يُنْذَرُ إِنْذَارًا ، وَنِزَارَةً : إِذَا أُعْلِمَ بِالْأَمْرِ . وَالْإِنْذَارُ أَيْضًا : التَّخْوِيفُ .
 وَالصَّدْعُ فِي الْأَصْلِ : الشَّقُّ . وَصَادِعًا بِالرِّسَالَةِ : أَيُّ مُبْلَغًا لَهَا ، عَلَيَّ أَكْمِلُ وَجْهَهُ ، وَأَتَمُّ قَضِيَّتَهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْشِرِ كَيْفَ ﴾ (١) .
 وَالتَّائَكُّبُ : الْعَادِلُ عَنِ الشَّيْءِ .
 وَالسُّنُنُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ .

(١) سورة الحجر ٩٤

وَالْأَنْبَاجُ : جَمْعُ نَبَجٍ ، وَهُوَ الْوَسْطُ ، وَمَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ مِنَ الظَّهْرِ .
وَالْأَكْظَامُ : جَمْعُ كَظْمٍ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ مَخْرُجُ النَّفْسِ مِنَ
الْحَلْقِ .

وَالْفَضُّ : الْكَسْرُ ، وَالْفَتْحُ .
وَالْهَامُ : الرُّؤُوسُ ، جَمْعُ هَامَةٍ .
وَالْجَذُّ : الْقَطْعُ وَالِاسْتِصَالُ ، وَالْكَسْرُ .
وَالْجَمْعُ : الْجَيْشُ .
وَتَوَلِيَةُ الدُّبْرِ : الْإِنْهَاءُ .
وَتَقَرَّرِيَ اللَّيْلُ عَنْ صَبْحِهِ : أَيِ انْكَشَفَ ، وَانْشَقَّ ، يُقَالُ : قَرَرْتُ
الشَّيْءَ : إِذَا شَقَّقْتَهُ لِلِإِصْلَاحِ ، وَأَفَرَّقْتَهُ : إِذَا شَقَّقْتَهُ لِلِإِفْسَادِ ^(١) .
وَالْمَخْضُ : الْخَالِصُ .
وَالِإِسْفَارُ : الْإِضَاءَةُ ، وَالظُّهُورُ ، وَمِنْهُ إِسْفَارُ الصُّبْحِ .
وَرَعِيَهُمُ الْقَوْمُ : رَأَيْسُهُمْ ، وَمُقَدَّمُهُمْ .
وَشَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ : مَا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الشَّقَشِقَةِ الَّتِي
يُخْرِجُهَا الْجَمَلُ مِنْ جَوْفِهِ ، وَهِيَ جِلْدَةٌ حَمْرَاءُ يَنْفُخُ فِيهَا ، وَتُظْهِرُ مِنْ
شِدْقِهِ ، فَشَبَّهَ بِهَا الْكَلَامَ ؛ لِخُرُوجِهِ مِنَ الْقَمِ .
وَفَاةٌ بِالْقَوْلِ يُقْوَهُ بِهِ ، وَتَقْوَهُ : إِذَا تَكَلَّمَ ، وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ مِنْ لَفِظِ
الْقَمِ ^(٢) .

(١) راجع لإصلاح المنطق ص ٢٤٤

(٢) معروف أن « القم » أصله « فَوْه » بفتحين ، ولهذا يجمع على أفواه ، مثل سبب
وأسباب ، ويشي على لفظ الواحد ، فيقال : فَمَان ، وهو من غريب الألفاظ التي لم يطابق مفردوها
جمعها . قاله في المصباح .

وكلمة الإخلاص : شهادة أن لا إله إلا الله .

وشمًا كل شيء : حرقه ، وجانيه .

والمذقة : الشرية اليسيرة ، من اللبن الممدوق ، وهو المخلوط

بالماء .

والتهزة : الفرصة ، وأخذ الشيء مبادرةً ، وأصل التهز :

الدفع .

والقبة : المرأة من اقتباس النار ، وبالضم : الاسم ، وهي

الشعلة .

أي إنكم كنتم على حَرْفٍ من الهلاك ، الموقع في النار ، وكنتم
مُهْمَلِينَ ، بمنزلة ما يأخذه ذائق اللبن ليخبروه ، وكنتم فرصةً للطامع
فيكم ، وبمنزلة اقتباس المستعجل لأخذ الشعلة من النار .

والطرق : الماء الكدير الذي خاضته الإبل ، وبألت فيه ،

وبعرت .

ويروى : « الرنق » ، وهو الماء الكدير ، والرنق ، بالتحريك :

المصدر ، وقد رنق الماء يرنق .

والاقتيات : أكل الفوت .

والقد بالفتح : الجلد غير المدبوغ ، كانوا يأكلونه في الجذب

والجماعة .

وقيل : هو جلد الشعلة والماعزة .

والقد ، بالكسر : ستر يقطع من جلد غير مدبوغ .

والخسوغ : الذل ، والخسوغ .

والتَّخَطُّفُ : الاستيلاء ، وأخذ الشيء بسرعة ، وقد تَخَطَّفَ الشيءَ يَخْطُفُهُ ، وَتَخَطَّفَهُ يَخْطُفُهُ ^(١) .

وَالْإِلْقَاذُ : الإلجاء ، والتخليص .

وبعد اللَّتْيَا والتي ^(٢) : أي بعد الشدائد ، والأمور العظيمة ، وهي كلمة تُقَالُ في الأمر الصَّعْبِ المُسْتَبْعَدِ .

وَالْتَّنْيَا : تصغير الشيء ، ولم يستعملوا معها الصَّلَّةَ والعائذ ، لِيُوهِمُوا أَنَّ الْأَمْرَ بَلَغَ مِنَ الشَّدَّةِ مَا تَقْصُرُ الْعِبَارَةُ عَنْ وَصْفِهِ .

وتقديره : بعد الشيء من شدتها كَبِتَ وَكَبِتَ .

وَمُنِيَ الرَّجُلُ بِكَذَا : أي لَبِيَ به . يُقَالُ : مَتَوَّهَ وَمُنِّيَهَ : إذا ابتليته ، وكأنه من المَنَا : القَدَرِ ، قال :

(١) الفعل من باب تمب ، وفي لغة من باب ضرب . ذكره في المصباح .

(٢) يأتي هذا في رجز للعجاج . انظره في ديوانه ص ٢٧٤ ، والكتاب ٣٤٧/٢ ،

٤٨٨/٣ ، والمقتضب ٢٨٩/٢ ، وأمالى ابن السجري ٢٤/١

و «التيا» تأتي في بعض ما رأيت من الكتب ، بضم اللام ، وهو خطأ ، به عليه الحريري في درة النواص ، قال : « ويقولون : « بعد التيا والتي » فيضمون اللام الثانية من « التيا » ، وهو لحن فاحش ، وغلط شائن ؛ إذ الصواب فيها : « اللتيا » بفتح اللام ، لأن العرب غصبت اللدي والتي عند تصغيرهما ، وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحه أو التلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفا في آخرها ، عوضا عن ضم أولها ، فقالوا في تصغير الذي والتي : اللَّذْيَا واللَّتْيَا ، وفي تصغير ذاك وذلك : ذِيَاك وذِيَالِكَ » درة النواص ص ١٢

• حتّى تُلاقي ما ينشئ لك الماني • (١)

أي ما يُقدّر لك المُقدّر (٢) .

واليهُم : جَمْعُ يَهْمَةٍ ، بالضم ، وهي مُشْكِلَاتُ الْأُمُور ،
فاستعازَئُها لِشِدَادِ الرِّجَالِ .

وإن كانت الهاءُ ساكنةً ، فهي جَمْعُ يَهيم ، وهو الذي لا يُخالِطُ
لونه لونٌ سِوَاهُ .

والذُّوبَانُ : جَمْعُ ذَنْبٍ (٣) . وتُرِيدُ به لُصُوصَ القَرَبِ ،
وأشْرَارَهُمْ .

(١) صدره :

لا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ

وبعده ، ويرتبط به :

فالخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان

وقد اختلف في نسبتهما ، فهما لسويد بن عامر المصطلقى ، في أسد الغابة ١٦٧/٥ ،
والإصابة ٩٤/٦ ، في ترجمة (مسلم بن الحارث الخزاعي) . مع اختلاف في الرواية .

ونسبان أيضاً لأبي قلابة الهذلي ، ضمن قصيدة تراها في شرح أشعار الهذليين
ص ٧١٠ - ٧١٣ ، ونخرجها في ص ١٤٥٧

والبيتان من غير نسبة في الفائق ٣/٣٩٠ ، والنهاية ٤/٣٦٨

والبيت الأول من غير نسبة في معجم مقاييس اللغة ٥/٢٧٦ ، والثاني من غير نسبة
أيضاً في جمهرة الأشتال ١/٥٤٣

(٢) في الأصل : القادر . وصححه من النهاية ، والمقاييس .

(٣) في الأصل : ذيب ، بالياء ، وهو يهيم ولا يهيمز .

وَالْمَرْئَةُ : جمع مَارِدٍ ، وهو الشَّيْطَانُ الدَّاهِي من الإنس والجن .

وأهل الكتاب : اليهود والنصارى .

وحش النار يحشها : إذا أوقدها .

وَجَمَّ الْقَرْنُ ، والتَّبْتُ : إذا طَلَعَا .

فاستعارت طُلُوعَ الْقَرْنِ لمن يَخْرُجُ من الناس ، يبتغي الفتنَةَ والشَّرَّ ؛ ولذلك جعلته للضَّلالة .

وَقَرَّ فَا هُ يَقَرُّه : إذا فَتَحَهُ ، وَقَرَّتِ السَّنُ : إذا طَلَعَتْ ، كأنه يَقَطِرُ ، وَيَنْفَتِحُ لِلنَّيَاتِ . فاستعارته لظهور أهل الشُّرْكِ .

وَالْقَذْفُ : الرَّمْيُ ، والإلقاء بقُوَّةٍ .

وَاللَّهَوَاتُ : جَمْعُ لَهَاةٍ ، وهي سَقْفُ أَقْصَى الْفَمِ ، فاستعارتها لغاية الحَرْبِ ، وشِدَّتِهَا .

وَيُرْوَى : « في هَوَاتِهَا » ، جَمْعُ هَوَّةٍ ، وهي الْوَهْدَةُ ، وَالْحَفَرَةُ ، فاستعارتها للوْطَةِ التي لَا مَخْلَصَ مِنْهَا .

وَالْإِكْفَاءُ : الرُّجُوعُ .

وَالصَّمَاخُ : الْأُذُنُ ، وَقِيلَ : نَقَبُهَا ، فَكَثَّتْ بِهِ عَنِ الرَّأْسِ ؛ لِأَنَّهُ

منه .

وَالْأَخْمَصُ : الْمُتَقَرَّرُ مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ .

ثُرَيْدٌ : كُلُّمَا ظَهَرَ صَاحِبُ ضَلَالَةٍ ، أَوْ طَلَعَ لِلْمُشْرِكِينَ طَالِعٌ ، أَلْقَى عَلَيَّ فِي نُحُورِهِمْ ، وَوَرَطَاتِهِمْ ، فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَطَأَ رُؤُوسَهُمْ بِقَدَمِهِ ، وَيُطْفِئَ نِيرَانَ حَرْبِهِمْ بِسَيْفِهِ .

والمَكْظُوطُ : المَهْنَمُ . وأَصْلُ الكَظِّ : الامْتِلَاءُ ، والكَرْبُ ،
والتَّقَلُّ (١) .

ويُرْوَى : « مَكْدُوداً » ، وهو الْمُتَعَبُ ، وقد كَدَّه يَكُدُّهُ كَدًّا .
وقولُها : « في ذاتِ الله » أي في جَنْبِ نُصْرَةِ دينه ، والوُقُوفُ
عند حُكْمِهِ .

وقد اختلفَ أهلُ العربيَّةِ في إطلاقِ لَفْظَةِ « الذَّاتِ » على الله
تعالى ، فَمَنَعَ منه أَكْثَرُهُمْ ؛ لِأَنَّ التَّاءَ فيها لِلتَّائِيثِ ، وقد وَرَدَتْ في غير
موضعٍ من الحديثِ الصَّحِيحِ ، وذلكَ دَلِيلٌ جَوَازِها ، ولا تَكُونُ التَّاءُ فيها
لِلتَّائِيثِ ؛ فَقَوْلُهُمْ : « في ذاتِ الله » أي في الله ، كما يُقَالُ : ذاتُ زَيْدٍ ،
أي نَفْسُهُ ، وعَيْنُهُ ، ومنه شَعْرُ حُبَيْبِ الأنصاريِّ :

وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ يَبَارِكْ علي أوصالِ شَيْلٍ مُعْزَجٍ (٢)
والمُجِدُّ : ضِدُّ الهَازِلِ ، يُقَالُ : جَدَّ في الأمرِ ، وأَجَدَّ ، بمعنى
والكَدْحُ : الاجْتِهَادُ في السَّعْيِ والعَمَلِ .
والبُلْهِيَّةُ : الرَّاحَةُ ، وَسَعَةُ العَيْشِ .

(١) هكذا ضبطت القاف في الأصل بالسكون ، وهو جائز للتخفيف ، والأصل
الفتح ، وقبده صاحب المصباح بوزن عنب ، وكذلك هو في القاموس .

(٢) البيت في صحيح البخاري (باب هل يستأجر الرجل . من كتاب فضل
الجهاد والسر) ٨٣/٤ ، و (باب حدثني عبد الله بن محمد الجمعي ، من فضل من شهد
بدرا ، من كتاب المغازي) ١٠٢/٥ ، و (باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان . من كتاب
المغازي) ١٣٣/٥

وانظر قصيدة خبيب - رضي الله عنه - كاملة في السيرة النبوية ١٨٥/٣

والوَادِعُ : السَّاكِنُ ، والدَّعَةُ منه ، والهَاءُ فيها عَوَضٌ من الواوِ المحذوفة .

والرَّفَاهِيَةُ : التَّنْعُمُ ، وطِيبُ الْعَيْشِ ، وأَصْلُهُ الْخِصْبُ .
والفَكَةُ : الطَّيِّبُ النَّفْسِ ، والفَكَةُ أَيْضاً : الْأَشِيرُ الْبَعِيرُ ،
والفَاكِهَيْنِ ^(١) : التَّاعِمِينَ .

والعَفْوُ : السَّهْلُ الْهَنِيءُ .
والتَّوَكُّفُ : اسْتِعْلَامُ الْأَحْبَارِ ، وتَوَقُّعُهَا ^(٢) .
والتَّكْوِصُ : الرُّجُوعُ إِنْ وَرَاءَ .
والتَّنَالُ : الْقِتَالُ .
وَدَارُ الْأَنْبِيَاءِ : الدَّارُ الْآخِرَةُ ؛ حُصِنَتْ بِهَا لِرَغْبَتِهِمْ فِي الذَّهَابِ
إِلَيْهَا ؛ وَلَأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهَا .
وَالْحَسِيكَةُ : الْعِدَاوَةُ . وَانْجَقْدُ ، يَقَالُ : هُوَ حَمِيكَ الصَّدْرِ ،
وَحَسِيكُهُ .

وَالْجَلْبَابُ : الْإِرَارُ .
وَأَسْمَلُ الثَّوْبِ ، وَسَمَلٌ ، وَأَسْمَلٌ : إِذَا أُخْلِقَ ، وَيَلِي .
وَالْإِخْلَاقُ الْقَهْدُ : كِنَايَةٌ عَنْ ضَعْفِهِ ، وَإِهْمَالِ الْعَمَلِ بِهِ .

(١) هكذا في الأصل : « الفاكهين » بالنصب ، وبالألف بعد الفاء ، والذي سبق في متن الحديث : « فكهون » ، بالرفع ، وحذف الألف . ولا كلام في حذف الألف ؛ فإن الفكه والفاكه سواء ، ولكن الكلام في النصب هنا ، والرفع هناك ، والمعروف أن المفسر يوافق المفسر ، إعراباً ، وأيضاً فإن الأصل في التشرح الرفع .

(٢) مأخوذ من وكف المطر . إذا وقع . النهاية ٢٢١/٥

والكَاطِمُ : المُسْكِتُ عن الكلام على غَيْظ .
وَبَعَّ الشَّيْءُ : إِذَا طَلَعَ وَظَهَرَ .
وَالْحَامِلُ : الْوَضِيعُ ، الَّذِي لَا يَكَادُ يُعْرِفُ .
وَالْفَيِّقُ : الْفَحْلُ مِنَ الْإِبِلِ .
وَالْهَدِيرُ : تَزْدِيدُ صَوْتِهِ فِي حَنْجَرَتِهِ .
وَعَطَرٌ يَخْطُرُ : إِذَا تَبَخَّرَ فِي مَشْيِهِ ، مُعْجِباً بِنَفْسِهِ .
وَالْعَرَصَاتُ : جَمْعُ عَرَصَةٍ ، وَهِيَ الْفُسْحَةُ مِنَ الدَّارِ ، لِإِبْنَاءِ فِيهَا
وَمَعْرِزُ الرَّأْسِ : مُتْنَهِي الْعُنُقِ مِنْ أَعْلَاهُ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ كَانَ
مُنْخَفِضاً فَأُطْلِقَهُ .
وَالصَّرَاخُ : الصَّوْتُ الْعَالِي .
وَالِإِصَاخَةُ : الْإِسْتِمَاعُ .
وَالغِرَّةُ : الْغَفْلَةُ .
وَالْمُلَاحَظَةُ : النَّظَرُ بِلِحَاطِ الْعَيْنِ ، وَهِيَ مُؤَخَّرُهَا ، وَلَا تَكُونُ
الْمُلَاحَظَةُ إِلَّا مَعَ تَرْقُبٍ وَتَوَقُّعٍ .
وَأَحْمَشَكُمْ ، بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ : أَيِ أَغْضَبَكُمْ ، يُقَالُ :
أَحْمَشْتُ الرَّجُلَ ، وَحَمَشْتُهُ ، إِحْمَاشاً ، وَتَعْمِشاً .
وَالخَطْمُ : ثَرَكُ الْخَطَامِ ، وَهُوَ كَالْجَقُودِ فِي رَأْسِ الْبَعِيرِ .
وَيُرْوَى : « فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ » مِنَ الْوَسْمِ : الْكَيْ ، أَيِ
أَخَذْتُمْ غَيْرَ حَقِّكُمْ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَخْطُمُ ، أَوْ يَسِمُ مِنَ الْإِبِلِ مَا هُوَ
بِلُكِّهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ : « وَأُورِذْتُمُوهَا غَيْرَ شِرْبِكُمْ » أَيِ جَمْعِهِمْ بَيْنَ
اِغْتِصَابِهَا وَسَقْمِهَا غَيْرَ مَا يَكُمُ .

والكَلَمُ : الجُرْحُ .
 والرَّجِيبُ : الواسِعُ .
 وإِثْمَالُ الجُرْجِ : بُرُوءُهُ وصَلَاحُهُ .
 وقَوْلُهَا : « وَالرُّسُولُ لَمَّا يُقْبَرُ » تقريبُ لزمانِ وفاته .
 و « لَمَّا » حرفُ جَزْمٍ ، مثلُ « لم » ؛ إِلَّا أَنَّ « لم » جوابُ
 « فَعَلَ » و « لَمَّا » جوابُ « قد فَعَلَ » فزادوا « ما » بإِزاء « قَدْ » ،
 فتَضَمَّنَتْ بذلك معني التَّوَقُّعِ والانتظار .
 والبِدَارُ : السَّرْعَةُ ، والعَجَلَةُ . تُريدُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا عَقَدُوا البَيْعَةَ لأبي
 بكرٍ ، خوفاً مِنَ الفِتْنَةِ ، واختلافِ المسلمين في طلبِ الخِلافةِ .
 وَتَوَفَّكُونَ : بمعنى تُصَرِّفُونَ ، وَيُذْهَبُ بِكُمْ .
 والزَّوَاجِرُ : التَّوَاهِي .
 وَوَيْحٌ : كلمةٌ رَحِمَةً ، تُقَدَّمُ على الخِطَابِ ، يُقالُ : وَيْحَ له ،
 وَوَيْحاً له ، وَوَيْحَهُ .
 وَبَيْسٌ : كلمةٌ مُبَالِغَةٌ في الذَّمِّ ، تَقِيصُ « نَعَم » .
 و « بَدَلًا » منصوبٌ على التَّمْيِيزِ .
 والرَّيْثُ : الإِبْطَاءُ ، يُقالُ : رَاثَ الأمرُ ، يَرِثُ ، وتُضَافُ إليها
 « ما » ليصَحَّ وَقَوْعُ الفِعْلِ بعَدها ^(١) .

(١) هذا كلام المصنف هنا ، لكنه أجاز في النهاية أن تستعمل بغير « ما » ، قال :
 « وقد يستعمل بغير ما ولا أن ، كقوله :

لا يُصْنَعُ الأمرُ إِلَّا رِثَ يركبه

وهي لغة فاشية في الحجاز ، يقولون : يريد يفعل : أي أن يفعل ، وما أكثر
 ما رأيتها واردة في كلام الشافعي رحمه الله عليه . النهاية ٢/٢٨٧ ، وانظر صدق كلام
 ابن الأثير ، في الرسالة للإمام الشافعي ، صفحات ٤٩ ، ٢٦٥ ، ٥٨٢

والمعنى : لم تَلْبَثُوا إِلَّا بِقَدْرٍ مَا سَكَنْتَ نَفْرَةَ الْحَالِ الْحَاضِرَةِ .
 وَأَسْلَسَ قِيَادَهَا : أَي سَهَّلَ أَمْرَهَا ، وَهَانَ صَعِبُهَا .
 وَقَوْلُهَا : « تُسِيرُونَ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءٍ » ، هَذَا مَثَلٌ قَدِيمٌ ^(١) ،
 وَمَعْنَاهُ : تُظْهِرُونَ خِلَافَ مَا تُضَيِّرُونَ .
 وَالْارْتِغَاءُ : شَرْبُ رُغْوَةٍ ^(٢) اللَّبَنِ .
 وَأَصْلُهُ الرَّجُلُ يُؤْتِي بِاللَّبَنِ ، فَيُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ الرُّغْوَةَ خَاصَّةً ، لَا
 يُرِيدُ غَيْرَهَا ، فَيَشْرِبُهَا ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَحْسُو مِنَ اللَّبَنِ سِرًّا .
 وَالْوَحْزُ : التَّحَسُّسُ .
 وَالْحَزُّ : قَطْعُ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبِينَ .
 وَالْمُدِّي : جَمْعُ مُدْيَةٍ ، وَهِيَ السَّكِينُ .
 وَالِابْتِغَاءُ : الطَّلَبُ .
 وَوَيْهًا : كَلِمَةً يَقُولُهَا الْمُعْغَرِي بِالشَّيْءِ ، وَالْمُنْكَرُ لَهُ ، عَلَى الْقَوْمِ
 الْمُخَاطَبِينَ .
 وَإِهَا : كَلِمَةُ تَحْرِيطٍ ، وَحَثٍّ ، وَاسْتِزَادَةٍ .
 وَالْمُسْلِمَةُ ، وَالْمُهَاجِرَةُ : تُرِيدُ بَهِمَا الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ ، وَالطَّائِفَةَ
 الْمُهَاجِرَةَ .

(١) الْأَثَالُ لِأَيِّ عَبِيدٍ ص ٦٥ ، وَجَمْعُ الْأَثَالِ ٤١٧/٢ (بَابُ الْيَاءِ) ، وَلَفْظُ الْمَثَلِ
 فِيهِ : « يُسَرُّ حَسَوًا فِي ارْتِغَاءٍ » .
 (٢) الرِّاءُ مَطْلَعَةٌ .

والإِيتَارُ : السِّلْبُ ، والأَخْذُ ، يقال : بَرَّهْ نَوْبَهُ ، وابْتَرَّهُ .
 والهاء في « إِرْثِيَّة » و « أَيْبَةُ » هاءُ السَّكَبِ والوَقِفِ ، كقوله
 تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴾ ^(١) .
 والأَمْرُ الْفَرِيُّ : العَظِيمُ .
 والجُرْأَةُ : الإِقْدَامُ عَلَى الْأَمْرِ .
 وَقَطَعَ الرَّجِيمُ : ضَبَدَ وَصَلَّهَا ، وهو عُقُوقُ الْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ ،
 وَتَرَكُ بَرِّهِمْ ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ .
 وَنَكَتُ الْعَهْدِ : نَقَضُهُ .
 وَالْعَمْدُ : الْفَضْدُ ، وهو ضَبَدُ الْخَطَا .
 وَالتَّبْدُ : الرَّمْيُ ، وَالْإِلْقَاءُ .
 والهاء في « فَذَوْنَكُهَا » راجعةٌ إِلَى الْحَالَةِ ، وَالْقَضِيَّةُ الْمَوْجُودَةُ .
 وَالْمَرْحُولَةُ الْمَخْطُومَةُ : النَّافَةُ الَّتِي شَدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ، وَعُمِلَ فِي
 رَأْسِهَا خِطَامُهَا ، فَهِيَ مُعَدَّةُ الْمَرْكُوبِ ، وَالْقَوْدُ .
 وَالْمَرْمُومَةُ : الَّتِي جُعِلَ فِي رَأْسِهَا زِمَامُهَا .
 وَالزَّرْعِيمُ ، هَا هُنَا : الْكَفِيلُ ، الضَّامِنُ .
 وَقَوْلُهَا لِلْأَنْصَارِ : « يَا مَعْشَرَ التَّقِيَّةِ » ^(٢) أَيِ يَا أَهْلَ التَّقْوَى ، أَوْ
 الْأَتْقَاءِ ، الَّذِينَ يُدْفَعُ الْخَوَرُ بِكُم .

(١) سورة الحاقة ٢٨

(٢) الذي سبق في نصِّ الحطية : « الفئة » ، وقد عُلقت عليه هناك .

وأغضاد المِلَّة : أنصارها ، وحمائها .
 وحَصَنَة الإسلام : حافظوه ، ورأبوه ، جَمْعُ حاضِرٍ ، وهو كافِلُ
 الطِّفْلِ ، كأنهم جعلوا الإسلامَ في جِصْنِهِمْ .
 والغَمِيرَةُ : العَيْبُ ، والثُّهْمَةُ ، مِنَ الغَمَزِ : العَيْبِ ، يقال : ليس في
 فلانٍ غَمِيرَةٌ ، ومَغْمَزٌ ، أي مَطْعَنٌ ، ومَعَابٌ .
 والسَّنَةُ : أوَّلُ النَّوْمِ ، وهي مِنَ الوَسَنِ ، والهاءُ عَوَضٌ مِنَ الواوِ . أي
 ما هذا النَّوْمُ ، والإغضاءُ عن كَشْفِ ظِلَامَتِي ؟
 والسَّرْعَانُ : بمعنى سُرْعٍ ، يقال : سَرَعَانٌ ذا خُرُوجًا ، بالفتح ،
 والضَّمِّ ، والكسْرِ .

قال الجوهريُّ : نُقِلَتْ فَتْحَةُ العَيْنِ إِلَى التَّوْنِ ؛ لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ مِنْ
 سُرْعٍ ، فَبُنِيَ عَلَيْهِ . وَلَسَرَعَانٌ مَا صَنَعْتَ كَذَا : أَيِ مَا أَسْرَعْتَ ! وَيُقَالُ :
 سُرْعٌ مَا صَنَعْتَ كَذَا ، أَرَادَ : سُرْعٌ ، فَخَفَّفَ ^(١) ، وَقَدْ رُوِيَ كَذَلِكَ .
 والمعني : ما أَسْرَعْتَ مُخَالَفَتَكُمْ ما كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ !
 وقولُها : « عَجَلَانٌ ذَا إِهَالَةٍ » ^(٢) عَجَلَانٌ : مِنْ عَجَلَ ، كَسَرَعَانٌ : مِنْ سُرْعٍ

(١) المراد بالتخفيف هنا التسيكين ، وهو يقال في مقابلة التثقيب ، الذي يراد به تحريك
 الحرف بأحد الحركات الثلاث ، وقد نهت عنه من قبل . انظر ما سبق في تعليقي على حديث
 استسقاء النبي ﷺ .

(٢) في جميع الأشكال ٣٣٦/١ : « سرعان ذَا إِهَالَةٍ » . وقال الميдаي : « وأصل المثل أن
 رجلاً كانت له نعمة عجناء ، وكان رغامها يسيل من منخريها فزأها ، فقليل له : ما هذا الذي
 يسيل ؟ فقال : ودكها ، فقال السائل : سرعان ذَا إِهَالَةٍ ، نصب « إِهَالَةٍ » على الحال ، و « ذَا » :
 إشارة إلى الرغام ، أي سرع هذا الرغام حال كونه إِهَالَةً ، ويجوز أن يحمل على التمييز ، على تقدير
 نقل الفعل ، مثل قولهم : تصيب زيد عرقاً » . وانظر جمهرة الأشكال ٥١٩/١

وَالْإِهَالَةُ : الدُّعْرُنُ ، وَالْوَذْكُ الْجَامِدُ ^(١)
 وَالْخَطْبُ : الشَّائُنُ ، وَالْحَالُ .
 وَالْوَهْمِيُّ : الْمَخْرُوقُ ، وَقَدْ وَهَى الشَّيْءُ يَهِي : إِذَا هَلَكَ ،
 أَوْ كَادَ .

وَاسْتَنْهَرَ فَتَقَهُ : أَيِ اتَّسَعَ ، فَصَارَ كَالْتَّهْوِ ، مَجْزِي الْمَاءِ .
 وَالرَّائِقُ : السَّادُّ ، ضِدُّ الْفَاتِقِ .
 وَكَتَابَتْ : أَيِ صَارَتْ كَثِيبَةً حَزِينَةً ، يُقَالُ : كَتَبَ ،
 وَانْكَتَبَ .

وَالْإِسْكَدَاءُ : الْحَنِيَّةُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ حَافِرِ الْبَعْرِ ، يَنْتَهِي إِلَى كُذْيَةٍ
 مِنَ الْأَرْضِ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الصَّلْبَةُ ، فَلَا يُمَكِّنُهُ الْحَفَرُ ، فَيَتْرَكُهُ ، يُقَالُ :
 أَكْذَى الْحَافِرُ : إِذَا بَلَغَ الْكُذْيَةَ .
 وَالْحَرِيمُ : الْأَهْلُ ، وَالنِّسَاءُ .
 وَالْإِذَالَةُ : الْإِهَانَةُ ، وَالْإِذْلَالُ .

وَقَوْلُهَا : « عَلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ » هَكَذَا رُويَ ، فَإِنْ صَحَّ فَهُوَ مِنْ
 عَلَنَ ^(٢) الْأَمْرُ ، يَعْلُنُ عُلُونًا : إِذَا ظَهَرَ ، وَعَلِنَ يَعْلُنُ عِلْنًا ، وَأَعْلَنَتْهُ
 أَنَا : إِذَا أَظْهَرْتُهُ .

وَالِهْتَأَفَ ، بِالْكَسْرِ : الصِّيَاحُ ، وَتَكَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ .

(١) هنا بياض بالأصل ، مقدار ثلاث كلمات . والودك : الدسم .

(٢) هذا من باب قعد ، والذي بعده من باب تعب ، على ما في المصباح .

وَمُنْسَاكُم مَّصْبَحُكُمْ : مصدرٌ ، أي ثروته عند المساء والصباح .

وبنو قَيْلَةَ : هم الأنصار ، وقَيْلَةُ : أُمُّهُمُ الْأُولَى ، وهي قَيْلَةُ بنت كاهل .

وَالْهَضْمُ : الوَضْعُ ، والأَطْرَاحُ . تُرِيدُ بِهِ مَنَعَهَا مِنْ حَقِّهَا .

وَالْجُنُنُ : جَمْعُ جُنَنٍ ، وهو ما يُدْفَعُ بِهِ الْأَذَى .

وَنُخْبَةُ الشَّيْءِ : خَالِصُهُ .

وَجَيْثُهُ : ما اخْتِيزَ (١) مِنْهُ .

وَالْإِنِّجَابُ ، بِالْجِيمِ : الْخِيَارُ ، وَأَخَذَ الشَّجِيبَ مِنَ الشَّيْءِ .

وَالْمُنَابَذَةُ : الْمُقَاتَلَةُ ، وَالْمُخَاصَمَةُ .

وَصَيِّمُ الْغَرْبِ : أَصْلُهُمْ ، وَخَالِصُهُمْ .

وَالْمُنَاهِضَةُ : مُفَاعَلَةٌ مِنَ التَّهَوُّضِ فِي الْأَمْرِ ، وَالْقِيَامُ بِهِ .

وَالْمُكَافَحَةُ : الْمُقَاتَلَةُ ، وَالْمُدَافَعَةُ .

وَالْبَهْمُ : الْجَمَاعَةُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ (٢) .

وَذَوْرَانُ رَحَا الْإِسْلَامِ : كُنَايَةٌ عَنْ انْتِظَامِ أَمْرِهِمْ ، وَاسْتِمْرَارِهِ .

وَذُرُورُ حَلَبِ الْأَيَّامِ : كُنَايَةٌ عَنْ اتِّسَاعِ الرِّزْقِ ، وَالْخَيْرِ .

وَالنُّخُوَّةُ : الْحَيِيَّةُ ، وَالْكَبِيرُ .

وَبَاغَتْ الثَّأْرُ : إِذَا فَتَرَتْ وَسَكَنَ لَهَا .

(١) ضَبَطْتُ التَّاءَ فِي الْأَصْلِ بِالضَّمِّ ، وَكَانَ يَرِيدُ الْإِصْحَامَ .

(٢) فِي هَذَا الْحَدِيثِ نَفْسُهُ .

والهَرْجُ : الاختِلَافُ ، والقَتْلُ .

واِسْتَوَسَّقَ الأَمْرُ : إذا تَمَّ ، وَكُمِّلَ .

والتَّضَامُ : العَقْدُ .

والجَوْرُ : الظُّنْمُ .

وإن كان بالحاء المهملة : فهو من الضَّلَالِ عن الطريق ، والحيرة

فيه .

وَأُخْلِدَ إلى الأمرِ : إذا مَالَ إليه ، وأَلْقَى نَفْسَهُ نَحْوَهُ .

وَحُلِيتُمْ بالدَّعَةِ : أي حُدِثْتُمْ بالسُّكُونِ والراحَةِ .

وَالْعَوَجُ : العَطْفُ ، يقال : عَجْتُ البعيرَ ، أَعْوَجُهُ عَوْجاً ، ثم

استعير للرجوع . يقال : فلان ما يَعُوجُ عن كذا ، أي ما يَرْجِعُ عنه .

وَالْمَجُّ : إلقاء ما في القَمِ ، أو الجَوْفِ .

وَيُرْوَى : « جَمَجَمْتُمْ » ، وهو تَرَكُّ الإفصاح بالقول .

وَاللَّفْظُ : الرَّمْيُ ، يقال : لَفَظْتُ الشيءَ ، أَلْفَظُهُ : إذا رَمَيْتَهُ .

وَسَوَّعْتُمْ : أي جُعِلَ لَكُمْ سائِغاً ، هَنِيئَةً الْبَلْعِ .

وَيُرْوَى : « دَسَعْتُمْ » ، أي دَفَعْتُمْ ، يقال : دَسَعَهُ دَسْعاً ، إذا

دَفَعَهُ .

وَالْجَذَلَةُ : الحالةُ مِنَ الْجَذَلَانِ .

وَالْمُخَاَمَرَةُ : الْمُخَالَطَةُ .

وَالْفَيْضُ : الامْتِلَاءُ ، والجَرْيُ ^(١) .

(١) في المصباح : فاصر كل سائل : جرى .

وَالْمُتَبُّ : فُعْلَةٌ مِنَ التَّسْنِي .
 وَالتَّقَفُّ : النَّمْرَةُ مِنَ التَّقَفِّ ، وَهِيَ أَقْلُ الْبَصَنِقِ .
 وَالمُعْذِرَةُ : مَفْعِلَةٌ مِنَ الْإِعْتِذَارِ .
 تَرِيدُ : إِنَّمَا قُلْتُ هَذَا الْقَوْلَ ؛ لِأَنَّ نَفْسِي امْتَلَأَتْ فِافَاضَتْ ،
 وَغَلَبَنِي الْغَيْظُ ، فَأَعْطَيْتُهُ مَنَاهُ ، وَامْتَلَأَ صَدْرِي فَبَصَقْتُ ، وَأَظْهَرْتُ
 الْحُجَّةَ ؛ لِيَقُومَ عُذْرِي فِيمَا قُلْتُ .
 وَالْإِخْتِفَاقُ : الْإِذْخَارُ ، وَالْإِقْتِنَاءُ ، يُقَالُ : حَقَبَ الشَّيْءُ ،
 وَاجْتَقَبَهُ .

وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى الْخَالِيَةِ ، كَالضَّمِيرِ الْمَتَقَدِّمِ .
 وَالمُدْبِرَةُ الظَّهْرُ : النِّفَاقَةُ الَّتِي ذَبَرَ ^(١) ظَهْرُهَا ، وَانْعَقَرَ .
 وَالمُهْيِضُ : الْمَكْسُورُ ، الْمُهَانُ .
 وَالنَّحْوَرَاءُ : اللَّيْنَةُ الضَّعِيفَةُ ، مِنَ النَّحْوَرِ : الضَّعِيفِ .
 وَالْقَنَاءُ : اسْتِعَارَةُ لَصْلِهَا ، أَوْ قَوَائِمِهَا .
 وَالنَّاقِبَةُ الْخُفُّ : هِيَ الَّتِي حَفَفِيَ خُفُّهَا ، نَقَبَتْ فِيهَا نَاقِبَةً ،
 وَانْقَبَ الرَّجُلُ ، وَأَذْبَرَ : إِذَا حَفَفِيَ خُفُّ بَعِيرِهِ ، وَانْعَقَرَ ظَهْرُهُ .
 وَالْعَارُ ، وَالشَّنَارُ بِمَعْنَى .
 وَالتَّذِيرُ : التَّمْنِذُ ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ .
 وَالكَيْدُ : الْمَكْرُ .
 وَالْإِنْظَارُ : التَّأَخِيرُ .

(١) الذبَرُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْخَرَجُ الَّذِي يَكُونُ فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ .

وَالْهَيْبَةُ : الأَمْرُ العَظِيمُ ، المَخْتَلَفُ ، وَجَمْعُهَا : هَيَابٌ .
وَيُرْوَى : « هَيْبَةً » . وهي الكلامُ الذي لا يُفْهَمُ لُحْفَائِهِ ،
كَالدُّنْدَنِ ، واليَاءِ زائِدَةٍ .
وَالْوَابِلُ : المَطَرُ الغَزِيرُ .
وَالْتَهَضُّمُ : الإِذْلَالُ ، وَالانْتِقَاصُ .
وَفَحْوَى الكلامِ : مَفْهُومُهُ ، دُونَ صَرِيحِهِ .

الصورة السادسة :

إعلام النساء

في عالمي العرب والإسلام

الجزء الرابع

تأليف

عمر رضا كحالة

الطبعة الثانية

الطبعة العشرونية دمشق

١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م

أصلح بينهما ثم خرج . فقيل له : دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك . فقال : وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي .

وخطب علي بن أبي طالب بنت أبي جهل بن هشام ^(١) فاستأذن بنو هشام ابن المغيرة في ذلك رسول الله ﷺ فلم يأذن لهم . وسمعت فاطمة بذلك فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل فخرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى رقى المنبر واجتمع الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإن ابنتي بضعة مني يربيني مارأبها ويؤذي ما آذاها وأن تجتمع بنت نبي الله مع بنت عدو الله إني أخاف أن تقفن فاطمة في دينها وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وابنة عدو الله في مكان واحد أبداً ^(٢) . فترك علي الخطبة . وتزوج ابنة أبي جهل عتاب بن أسيد . وظلت فاطمة الزهراء الزوجة الوحيدة لعلي بن أبي طالب طيلة حياتها ولم يتخذ علي عليها زوجة حتى

(١) قيل : إن اسم بنت أبي جهل جويرية وهو الأشهر . وقيل : اسمها الموراء . وقيل : الحقاء . وقيل : جهنم وقيل : جميلة وقد اسلمت وبايت النبي ﷺ وحفظت عنه .

(٢) وزاد ابن الأثير في أسد الغابة قول رسول الله ﷺ : أما بعد فإني انكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني . وفي محاضرات الأدباء وأسد الغابة : استأذنوني أن ينكحوا فئاتهم علياً إلا فلا آذن ثم لا آذن إلا أن يحب علي أن يطلق ابنتي وينكح فئاتهم إن فاطمة بضعة مني وربيتني مارأبها ويؤذي ما آذاها .

ولما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلث الفدك وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها وذلك بعد موت الحسن بن علي فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب فقال : إن فداك كانت مما آفأ الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فسألته إياها فاطمة فقال : ما كان لك أن تسألني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ثم ولي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول الله ﷺ ثم ولي معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي وللوليد وسليمان فلما ولي الوليد سأله حصته منها فوهبها لي وسألت سليمان حصته منها فوهبها لي فاستجمعتها وما كان لي من مال أحب إلي منها فاشهدوا أنني قد رددتها إلى ما كانت عليه .

فكانت يد أولاد فاطمة مدة ولاية عمر بن عبد العزيز فلما ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى أتتقت الخلافة عنهم . فلما ولي أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن الحسن ثم قبضها جعفر المنصور لما حدث من بني حسن ما حدث ثم ردها المهدي ابنه على ولد فاطمة ثم قبضها موسى بن المهدي وأخوه . فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون فردها على الفاطميين سنة ٢١٠ هـ وكتب بذلك إلى قُثم بن جعفر عامله على المدينة :

اما بعد فإن امير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله ﷺ والقراة به اولى من استن سنته ونفذ امره وسلم لمن منحه منحةً وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته وبالله توفيق امير المؤمنين وعصمته وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته وقد كان رسول الله ﷺ اعطى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدك وتصدق بها عليها وكان ذلك امرأً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ ولم تزل تدعي منه ما هو اولى به من صدق عليه فرأى امير المؤمنين أن يردّها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله وإلى رسول الله ﷺ بتنفيذ أمره وصدقته فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عماله فلئن كان ينادي في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه ﷺ أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة ذلك فيقبل قوله وينفذ عدته إن فاطمة لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها . وقد كتب امير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى امير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بمحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية امير المؤمنين إياها القيام بها لأهلها فاعلم ذلك من رأي امير المؤمنين وما ألهمه الله من طاعته ووقفه له من التقرب إليه وإلى رسوله ﷺ وأعلمه من قبلك وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري

وَأَعْنَمَهَا عَلَى مَا فِيهِ عِمَارَتُهَا وَمَصْلَحَتُهَا وَوَفُورُ غَلَاتِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ . وَكُتِبَ
يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِلْيَتِيمَيْنِ خِلَتَانِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ٢١٠ هـ فَلَمَّا اسْتَخْلَفَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ
أَمَرَ بِرَدِّهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ الْمَأْمُونِ .

ثم أمر المنتصر بردها سنة ٢٤٨ هـ إلى ولد الحسن والحسين ابني علي بن
أبي طالب .

ثم انكفأت فاطمة الزهراء إلى قبر أبيها عليها السلام . فقالت :

قد كان بعدك أنباء وهنبة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض والبلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وروى حرمي بن أبي العلاء مع هذين البيتين بيتاً ثالثاً .

فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك الكتب

ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ ثم عدلت إلى مسجد الأنصار
فقالت : يا معشر البقية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ما هذه الفترة عن نصرتي
والوئية عن معونتي والغمزة في حقي والسنة عن ظلامي أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول المرء يحفظ في ولده سرعان ما أحدثتهم وعجلان ما أتيتم الآن مات رسول
الله صلى الله عليه وآله أتم دينه ها إن موته لعمرى خطب جليل استوسع وهيه واستنهر فقه
وبعد وقته وأظلمت الأرض له وخشعت الجبال وأكدت الآمال اضيع بعد الحريم
وهتكت الحرمه واذيلت المصوثة وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته
وأنبأكم بها قبل وفاته فقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات

أو قتل اقتلبتكم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين . أيأبني قبيلة اهتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة وشملكم الصوت وفيكم العدة ولكم الدار والجن وأنتم نعمة الله التي انتخب وخيرته التي اختار . باديتكم العرب وبادهتم الأمور وكافحتهم البهم حتى دارت بكم رحى الإسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين أفنأخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكصوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا أيمان لهم لعلمهم ينتهون . ألا وقد أرى أن قد أدخلتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة فجحدتم الذي وعيتم ودسعتهم الذي سوغتم وإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ، ألا وقد قلت لكم ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خاسرتكم وخور القنائة وضعف اليقين فدو نكموها فاحتووها مدبرة الظهر ناقبة الخلف باقية العار موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفتدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

ثم قال عمر لأبي بكر انطلق بنا إلى فاطمة فإننا قد أغضبناها . فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلما فادخلها عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليها السلام فتكلم أبو بكر فقال : يا حبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقي بعده أتراني أعرفك

وأعرف فضلك وشرfk وأمنعك حقل وميراثك من رسول الله إلا إني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول لانورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت : أرايتكما إن حدثكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به ؟ قالوا نعم . فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضائي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني قالوا : نعم سمعناه من رسول الله ﷺ قالت : فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتاني وما أرضيتاني ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه . فقال أبو بكر : أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم اسحب أبو بكر يكي حتى كادت نفسه تزهق وهي تقول : والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها . ثم خرج ابو بكر باكياً فاجتمع إليه الناس فقال لهم : بيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه لاجاجة لي في بيعتكم أقبلوني بيعتي . قالوا : يا خليفة رسول الله بعدما سمعت ورأيت من فاطمة . وأما الأخبايون من الشيعة فقد ذكروا أن أبا بكر وعمر أسمعا فاطمة كلاماً غليظاً وأن أبا بكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضراً فكتب لها بفدك كتاباً فلما خرجت به وجدها عمر فد يده إليه ليأخذه مغالبة فنفته فدفع يده في صدرها وأخذ الصحيفة فحرقها بعد أن نفل فيها فحاجها وأنها دعت عليه فقالت : بقر الله بطنك كما بقرت صديقي .

وقال علي بن مهنا العلوي : ما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا أن يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة .

ومناقب فاطمة كثيرة فقد عاها النبي ﷺ وهي مريضة فقال لها : كيف تجدنيك يا بنة ؟ قالت : إني لوجعة وإنه ليزيدني أني مالي طعام آكله . قال : يا بنة أما ترين أنك سيدة نساء العالمين ؟ قالت : يا أبت فأين مريم بنت عمران ؟ قال : تلك سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك أما والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة ^(١) .

وقال النبي ﷺ فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني ^(٢) .

ودخل النبي ﷺ على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الإبل فكسى وقال : تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعم الآخرة ^(٣) . وأقبلت فاطمة فوقفت بين يدي رسول الله ﷺ فنظر إليها وقد ذهب الدم من وجهها وعليها صفرة من شدة الجوع فقال رسول الله ﷺ : ادن يا فاطمة . فدنت حتى قامت بين يديه فرفع يده فوضع موضع القلادة وفرج بين أصابعه ثم قال : اللهم مشبع الجاعة ورافع الضيق ارفع فاطمة بنت محمد ^(٤) .

(١) قال ابن حزم الظاهري : وفي قول رسول الله ﷺ إن فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الأمة فنقول وبالله التوفيق : إن الواجب مراعاة لفاظ الحديث وإعنا ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث السيادة ولم يذكر الفضل وذكر في حديث عائشة الفضل نساء بقوله : فضل عائشة على النساء كفضل التراب على سائر الطعام . والسيادة غير الفضل ولا شك في أن فاطمة سيدة نساء العالمين لولادة النبي ﷺ لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تناقض بين الحديثين .

(٢) واستدل السبيلي هذا الحديث على أن : من سب فاطمة بكفر وقد سوى بين غضبا وغضب النبي ﷺ ومن أغضب النبي ﷺ بكفر .

(٣) المستطرف للأبشي .

(٤) مختصر دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي .

وقسم رسول الله ﷺ من أموال خير الكيتبة وهي وادٍ خاص بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مائتي وسق ولعلي بن أبي طالب مائة وسق ولعائشة مائة وسق ولأبي بكر الصديق مائة وسق . وكان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد ففصل فيه ركعتين ثم يأتي فاطمة ثم يأتي أزواجه . وقال النبي ﷺ كل بني أم يتمون إلى عصة إلا ولد فاطمة فأنا ولهم وأنا عصبتهم^(١) .

وطلب أبو سفيان أن يغيرها عند النبي ﷺ وذلك قبل فتح مكة فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة وعندها ابنا الحسن يدب بين يديها فقال : يا ابنة محمد هل لك أن تأمرني ببنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر قالت بني والله ما بلغ بني ذلك أن يغير بين الناس وما يغير أحد على رسول الله ﷺ .

وقالت عائشة : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها كما كانت تصنع هي به ﷺ . وسئلت عائشة أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : فاطمة قيل : ومن الرجال ؟ قالت : زوجها^(٢) . وقالت عائشة : ما رأيت قط أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها^(٣) .

وقال ابن الجوزي : كان للنبي ﷺ بنات فضلتن فاطمة وزوجات سبقتن

(١) جمع الجوامع للسيوطي .

(٢) تجريد الاصول (٣) الاسابة وشرح الزرقاني على المواهب (٤) المدهش .

عائشة^(١). وجاء في شرح المصاييح لزين العرب : أن فاطمة سميت بتولاً لانقطاعها عن نساء الأمة فضلاً ودينياً وحسباً .

وجاء في حاشية ابن عابدين : وقيل : إن فاطمة أفضل ويمكن إرجاعه إلى الأول : وقيل بالتوقف لتعارض الأدلة واختاره الأستاذ رشدي من الحنفية وبعض الشافعية كما أوضحه منلا علي القاري في شرح الفقه الأكبر وشرح بدر الأمالي .

وجاء في المعاماة الإسلامية ما معناه : أن فاطمة في نظر الشيعة المثل الأعلى للنفس البشرية وأن ولادتها من خوارق العادة وقرانها بعلي بن أبي طالب كان بأمر الهمي . وزعمت بعض فرق الشيعة أتباع الشريفي : أن الله حل في خمسة أشخاص وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين . وقالوا : إن هؤلاء الخمسة آلهة ولها أعداد خمسة واختلفوا في أعدادها^(٢) وكان الطالبيون يحتجون على بني العباس بقرابتهم من فاطمة فكتب أبو جعفر المنصور : من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله بن حسن : أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت كلامك فإذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل به الغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ، والآباء كالعصبية والأولياء لأن الله جعل العم أباً وبدأ به في القرآن على الوالد الأدنى ولو كانت اختيار الله لمن على قدر قرابتهم لكانت أمانة أقربهم رحماً وأعظمهم حقاً وأول من يدخل الجنة غداً ولكن اختار الله خلقه على قدر علمه الماضي لمن ...

(١) وقد ظفر الوزير المهلي سنة ٣٤١ هـ بقوم التناسخية وفيهم امرأة تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها .

وقال المأمون يوماً لعلي بن موسى الرضي : بم تدعون هذا الأمر ؟ قال :
 بقرابة علي من النبي ﷺ وبقرابة فاطمة . فقال المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء
 إلا القرابة ففي خلف رسول الله ﷺ من أهل بيته من هو أقرب إليه من علي فمن
 هو في القرابة مثله وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله فإن الحق بعد فاطمة
 للحسن والحسين وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيان وإذا كان الأمر على
 ذلك فإن علياً قد ابتزهما جميعاً وهما حيان صحيحان واستولى علي ما لا يجب له .
 فما أحمار علي بن موسى نطقاً .

وروت عن النبي ﷺ ثمانية عشر حديثاً^(١) أخرج لها منها في الصحيحين
 حديث واحد متفق عليه في مسند عائشة . وروى لها الترمذي وابن ماجه
 وأبو داود .

وروى عنها ابنها الحسن والحسين وأبوها علي بن أبي طالب وعائشة أم
 المؤمنين وسلي أم رافع وأنس بن مالك وأم سلمة وأرسلت عنها فاطمة بنت
 الحسين وغيرها .

ولما مرضت فاطمة المريضة التي توفيت بها دخل النساء عليها فقلن كيف
 أصبحت من علك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أصبحت واقفة عاتقة لدينا كم قالية
 لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنتهم بعد أن سبرتهم فقبحاً لقلول الحد وخور
 القسا أو كسره وخطل الرأي وبشياً قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي
 العذاب هم خالدون لاجرهم لقد قللتهم ربقتهم وشتت عليهم عارها فجدعها وعقرأ
 (١) قال ابن الجوزي : ولا نعلم أحداً من بنات رسول الله ﷺ أسند عنه غير فاطمة .

وبعداً للقوم الظالمين ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومبسط الروح الأمين الطين بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي تقوموا من أبي الحسن تقوموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقته وتتمره في ذات الله . وبالله لو تكافؤا على زمام نبذه رسول الله ﷺ لسار بهم سيراً سجعاً لا يكلم خشاشه ولا يتعثر راكبه ولأوردكم منلاً رويأ فضفضاً تطفح صفته ولأصدرهم بطاناً قد تحرى بهم الري غير متحل منهم بطائل بعمله الباهر وردعه سورة الساعب ولفتح عليهم بركات من السماء وسياًخذهم الله بما كانوا يكسبون . ألا هامن فاسمعن وما عشتن أرا كن الدهر عجياً إلى أي لجأ لجأوا وأسندوا بأي عروة تمسكوا ولبس المولى ولبس العشير استبدلوا والله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . ويحهم أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن لا يهدي فالكم كيف تحكون أما لعمر إلهكن لقد لقحت فظرة ريثا تنتج ثم احتلبوا طلاع العقب دماً عبيطاً وذعافاً بمقرأ هنالك يخسر المبطون ويعرف التالون غبما أسس الأولون ثم أطيخوا عن أنفكم نفساً وطمأنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وبقرح شامل واستبداد من الظالمين يدع فيكم زهيداً وجعكم حصيداً فيا حسرة لكم وإني بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين .

ولما توفيت فاطمة جاءت عائشة ففجعتها أسماء بنت عميس . فشكبتها عائشة إلى أبي بكر وقالت : هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ فوقف أبو بكر على الباب وقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ وقد صنعت لها هودجاً ؟ قالت : هي أمرتني أن لا يدخل عليها أحد وأمرتني أن أصنع لها ذلك . قال : فاصنعي ما أمرتك وغسلها علي واسماء . ودفنت ليلاً في زاوية في دار عقيل وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع . ولما دفنت فاطمة الزهراء قال علي بن أبي طالب : السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسرعة اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفيك صبري ورق عنها تجلدي إلا أن لي في التأسّي عظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك فإن الله وإنا إليه راجعون . فلقد استرجعت الوديعه وأخذت الرهينة أما حزني فرمد وأما ليلي فمسهّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد ولم يخلق منك الذكر والسلام عليك سلام مودع لا قال ولا ستم فإن أنصرف فلا عن ملامه وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين .

ثم تمثل عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خيلين فرقة وكل الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

الصورة السابعة :



الخط السني لتوحيد الأمة الإسلامية

○ الخط السني ○ خط أهل بيت النبي ○ خط لادة التاريخ الإسلامي

تأليف
الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم

الطبعة
الثانية

الطبعة الثانية - ١٤١٥

٢٣- حتى تحمزوا رقابنا بالمناشير

جاء في جمع الزوائد للهيتمي مجلد ٩ صفحة ٣٩ عن عمر ، أنه لما قبض رسول الله جنت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا : ما تقول في ما ترك رسول الله ؟ قال : نحن أحق الناس برسول الله ! قال فقلت : والذي بخير ؟ قال : والذي بخير . قلت : والذي بفدك قال : والذي بفدك ! فقلت : أما والله حتى تحمزوا رقابنا بالمناشير !! !

٢٤- قرارات اقتصادية لا بد منها

- ١- لإجبار الآل الكرام على الإحتكام للسلطة ، بنض النظر عن طبيعة القرارات التي تصدر عنها .
- ٢- تجريد الآل الكرام من سلاح خطير وهو المال ، فإذا استعمله الآل الكرام ، فقد يؤلفون به قلوب المسلمين ويستميلونهم لصالح قضيتهم .
- ٣- ربط الآل الكرام بالسلطة الحاكمة ، وجعل رغبتهم بيد هذه السلطة ، لتضمن السيطرة الكاملة عليهم ، وتحييدهم وإلغاء دورهم كقيادة سياسية شرعية .
- ٤- عزل الآل الكرام شعبياً ، حتى تميل عنهم أعين الناس
- ٥- الحيلولة العملية بين الآل الكرام والمطالبة بالجمع بين النبوة والخلافة .

٢٥ - تحقق هذه الأهداف

فقد فاوض الآل الكرام واحتكوا إلى السلطة . فحكمت السلطة بتنفيذ قراراتها الاقتصادية وحرمانهم من التركة . ومن المنع . ومن سهم ذوي القربى ! وبموت فاطمة انصرف الناس عن علي ، فشق بنفسه طريق المصالحة . وبإيعاد هو وبنو هاشم وسلموا بالأمر الواقع ! ! فعساه أن يتمكن يوماً من إطلاع الأمة على الحقيقة المرة ، وأن يبصر

الناس بالتقاطيع الأساسية للمنظومة السياسية الإبلية ، فيقارنوا بينها وبين ما حدث في التاريخ !!

٢٦- احتجاج الزهراء على القرارات الاقتصادية والملجأ الجديد
لما قرر أبو بكر وعمر رضي الله عنها حرمان أهل البيت الكرام من ميراث النبي ومصادرة المنح التي منحها لهم النبي حال حياته ، وتجريد آل الكرام من حقهم في كل ممتلكات النبي ، وحرمانهم من حقهم في الخمس الوارد في آية محكمة (لانت الزهراء خوارها على رأسها ، واشتملت بجليلها ، واقلت في لمّ من حفدتها ونساء قومها ، تطأ ذيوها ، ما تخرم مشيتها رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر ، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار ، فنيطت دونها ملاءة فجلس ، ثم أتت أنه أجهش القوم لها بالبكاء فارّج المجلس ، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم قالت) كما أوردّه أبو بكر الجوهري في سقيفته ، وأحمد بن أبي طاهر البغدادي في بلاغات النساء ، راجع شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨٧ ، وبلاغات النساء صفحة ١٢ - ١٥ ، وكما أجمع على مضمون ذلك أئمة أهل البيت الكرام ، وإن كانت نصوص احتجاجها وخطبتها متفاوتة على حسب ما حفظه الرواة ، أو سمحت بوضوئه إلينا قيود الحكومات .

٢٧- النص الحرفي للاحتجاج

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما أهدى ، والثناء بما قدم ، من عموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام مَنِّ والاه ، جَمَّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدها ، وتفاوت عن الإدراك أمدها ، وندهم لاستزادتها بالشكر لاصالها ، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها ، وننى بالتدب إلى أمثالها :
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضَمَّنَ القلوب موصولها ، وأنار في الفكر معقولها ، الممتع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كفيته ، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها

أيها المسلمون أغلب على إرث أبي؟ يابن أبي لحافة أبي كتاب الله أن تراث أبك ولا أرت أبي؟ (لقد جئت شيئاً فرياً) أنعل عمداً تركتم كتاب الله ، ونسبتموه وواء ظهوركم إذ يقول (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال (رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال (إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة لي ، ولا إرث من أبي ، ولا رحم بيننا ! ! أنفخكم الله بآية أخرج منها أبي ! ! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان ! ! أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ! ! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ؟

فدونكها مخطومة ، مَرْحُولة ، تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعود القيامة ، وعند الساعة ما محيرون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ، من يأتيه عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم !

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت :

يا معاشر الفتية ، وأعضاء الملة ، وأنصار الإسلام ، ما هذه الغميرة في حقي ؟ والسنة عن غلامي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول (المرء يحفظ في ولده) سرعان ما أحدثتم وعجلاًن ذا إهالة ، ولكم طاقة بما أحاول ، وقوة على ما أطلب وأزاول ! أنقولون مات محمد ﷺ فخطبُ جليلُ استوسع وهبه ، واستشهر فقهه ، وانفتق رتقه ، وأظلمت الأرض لغيته ، وكسفت النجوم لمصيبته ، وأكثدت الآمال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحرم ، وأزيلت الحرمة عند حماته ، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ، ولا بانقة عاجلة ، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أنفيتكم ، في مساكم ومصباحكم ، هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ، ولقيله ماحل بأنبياء الله ورسله ، حكم فصل ، وقضاء حسم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو

قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين)

إيهأ بني قَيْلَةَ أَهْضَم تراث أبي ، وأنتم برأى مني ومسمع ومتدكواجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الحيرة ، وأنتم ذورا العدد والعدة ، والأداة والقوة ، وعندكم السلاح والمجلبة ، توافيكم الدعوة فلا تحييون ، وتأتاكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، وأنتم معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت ، والخبرة التي اختيرت ، قاتلتكم العرب ، ومحملتم الكد والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكانعتم بهم ، فلا تهرح أو تهرحون تأمركم فتأقرون ، حتى دارت بنا رحي الإسلام ، ودر حلب الأيام ، وخصصت نصرة الشرك ، وسكنت فؤارة الإفك ، وخذت نيران الكفر ، وهدأت دعوة المهرج ، واستوسق نظام الدين .

فأني جَسَرْتُمُ بعد البيان ، وأسررتم بعد الإعلان ، ونكصتم بعد الإقدام ، وأشركرم بعد الإيمان (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ، وهم باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة ! أنخشوهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض ، وأبعدتم من هو أحق باليسط والقبض ، وخلوتم بالدعة ، ونجوتهم من الضيق بالسعة ، فجيئتم ما وعيتهم ، ودَسَعْتُمُ الذي تسوغتم (فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حيد) !

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتمكم ، والقُدْرَةُ التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، ونفثة الغيظ ، وخَوْرُ القنا ، وثة الصدور ، وتقدمة الحجة .

فدونكوها فاحتفيوها ، دَبْرَةُ الظهر ، نَبْئَةُ الخف ، باقية العار ، موسومةً بغضب الله ، وشار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفتدة . فبعين الله ما تملكون (وسيعلم الذين ظلموا أي متقلب ينقلبون) وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد (فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون !! !)

٢٨- جواب أبي بكر

يا ابنة رسول الله ، لقد كان أبوك بالمؤمنين عفوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً ، فإن عزوانه وجدناه أباك دون النساء ، وأخاً لبعلك دون الأخلاء ، أثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم ، لا يحبك إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا كل شقي ، فأنتم عترة رسول الله (ص) الطيبين ، والخيرة المنتجبون ، على الخير أدلتنا ، وإلى الجنة مسالكنا ، وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقلك ، ولا مصدودة عن صدقك ، والله ما عدوت رأي رسول الله (ص) يقول نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهاباً ولا نضاً ولا داراً ولا عقاراً ، وإنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوة ، وما كان لنا من قطعة فلولي الأمر ، بعدنا أن يحكم فيه بحكمه ، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح ، يقاتل به المسلمون ، ويجهادون الكفار ، ويجهلون المردة ثم الفجار ، وذلك بإجماع من المسلمين لم أنفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي ، وهذه حال ومالي هي لك وبين يديك ، لا نزوي عنك ، ولا نذخر دونك ، وأنت سيدة أمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا يدفع مالك من فضل ، ولا يوضع من فرعك وأصلك ، حكك نافذ في ما ملكت يدي ، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك .

فقلت : سبحان الله ما كان رسول الله عن كتاب صادقاً ، ولا لأحكامه مخالفاً . بل كان يتبع أثره ، ويقفو سوره ، أفنجمعون إلى الغدر اعتلاياً عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته ، شبيه ما بقي له من القوائيل في حياته ، هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً يقول (برئني ويرث من آل يعقوب) ، (وورث سليمان داود) فينب عزوجل ما وزع عليه من الأقسام ، وشرع من الفرائض والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث . ما أزع علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ، ولا (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون) .

فقال أبو بكر : صدق رسول الله وصدقت ابنته ، أنت معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجّة ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلدوني ما تقلدت ، وياتفاق منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ولا مستبد ، ولا مستأثر وهم بذلك شهود !

فالتفت ﷺ وقالت : معاشر الناس المرعة إلى قَيْلِ الباطل ، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم ، فأخذ بسمعكم وأبصاركم ، ولبس ما تأولتم ، وساء ما به أنثرتهم ، وشر ما منه اعتصم ، لتجدن والله عمله ثقيلاً ، وغبه ويلاً ، إذا كشف لكم الغطاء ، وبان ما وراء الضراء ، وبدا لكم من ريكم ما لم تكونوا تحشون ، وخسر هنالك المبطلون .

ثم عطف على قبر رسول الله وقالت :

قد كان بعدك أنباءٌ وهنبَةٌ
إنا فقدناك فقد الأرض وابِلها
أبدت رجال لنا غجوى صدورهم
تجهمتا رجال واستُخِفَ بنا
وكنت بداراً ونوراً يستضاء به
وكان جبريل بالآيات ينبئنا
إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن
لو كنت شاهداً لم تكثر الخطبُ
واختل قومك فاشهدهم وقد نَكَبُوا
لما مضيت وحالت دونك التراب
لما قُتِدَتْ وكلُّ الأرض مغتصب
عليك تنزل من ذي العزة الكتب
فقد فقدت فكل الخير محتجب
من البرية لا عجمٌ ولا عرب

٢٩ - كلامها مع نساء المهاجرين والأنصار

زارتها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها : يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علكك ؟ فقالت ﷺ أصبحت والله عانقةً لديناكم ، قاليةً لرجالكم ، لفظتهم قبل أن عجمتهم ، وشأنهم بعد أن سَبَرْتَهُمْ ، فَنُتِحَا لِقَوْلِ الحد ، وخور القناة ، وخَطَلِ الرأي ،

بش ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . لا جرم لقد قُلِّدْتُهُمْ رِبْقَتَهَا . وسنت عليهم عارها ، فجذعاً وعقراً ، وسحقاً للقوم الظالمين . وبحمهم أني زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة ، ومهبط الوحي الأمين ، والطيبين بأمر الدنيا والدين ، ألا ذلك هو الخسران المبين . وما تَقِمُوا من أبي الحسن ، نعموا والله منه نكير سيفه . وشدة وطئه . ونكال وقعته . وتنمره في ذات الله عز وجل .

والله لو تكافوا عن زمام نيذه رسول الله ﷺ لاعتلفه ، ولسار بهم سيراً سجعاً . لا يكلم خشاشه ، ولا يتنعج راجبه . ولأوردهم منهلأً غميراً فضفاضاً ، تطفح ضفناه . ولأصدرهم بطناً ، قد تحير بهم الري ، غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء . وردعة شررة الساعب ، ولقتحت عليهم بركات من السماء والأرض . وسياخذهم الله بما كانوا يكسبون .

ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب . وإن تعجب فقد أعجبك الحادث . إلى أي سناد استندوا ، وبأي عروة تمسكوا ، استبدلوا الذنابا والله بالقوادم . والعجز بالكاامل ، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ! إلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ! أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فالكف كيف تحكون ! !

أما لعمر إلهك لقد لقت ، فَنَظَرَةٌ رُئِيَّتًا تنتج ، ثم احتلبوا طلاع القصب دماً عبيطاً ، وذعاناً محمراً . هنالك يحسر المطلون ، ويعرف التالون غب ما سن الأولون ، ثم طيوا عن أنفسهم نفساً ، وطامنوا للفتنة جانأً وأبشروا بسيف صارم ، وهرج شامل . واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيداً . وزرعكم حصيداً ، فيا حسرتي لكم ، وأنى بكم وقد عميت عليكم ! أنلزمكوها وأنتم لها كارهون ! ! ! راجع شرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ١٦ صفحة ٢٣٤ ، وبلاغات النساء صفحة ١٩ ، والإحتجاج للطبرسي

الباب الرابع

في محاور التوثيق

ماذا نقرأ في المحاور؟

- المحور الأول: توثيق أصحاب المصادر .
- المحور الثاني: توثيق المصادر .
- المحور الثالث: توثيق الأسانيد .
- المحور الرابع: روعة الأسلوب .
- المحور الخامس: قوّة الحجة .
- الخاتمة: بين العقّاد والنقاد .

المحور الأول: توثيق أصحاب المصادر

لا شك إن أقوى وسيلة لإقناع الخصم بصحة المدعى هي توثيق أصحاب المصادر التي تثبت الدعوى، وأما المصادر فهي لا تكون من وسائل الإقناع ما لم يكن أصحابها من الموثقين، ومن خلال معرفتهم تكون الحجة أقوى، ويتم الإذعان بصحة ما ذكره في مصادرهم، ولا تبقى للخصم حجة في الإنكار، بل تنقطع السبيل التي ينقّ فيها المشككون لأن أهم معطيات التاريخ الصحيح أن يكون عن مصادر تؤمن بالحيادية أو هي مصادر الخصم فتدينه بما فيها لا أن تكون مسجلة حسب أهواء الحاكمين، والاحتكام إلى ما في تلك المصادر يقطع أصابع الاتهام، ولما كانت خطبة الصديقة عليها السلام مما أثير حولها لغط ولغو من القول، كان علينا أن نقرأها بنصوصها من المصادر المختارة، وقد مرّت صورها في الباب الثالث .

ولئلا يقول عابث معاند، لولا أثبت وثيقة من ذكرت لنرى حاله ثم نرى مقاله، لذلك أعرض شيئاً بوجازة عن أولئك النخبة المختارة، بما يعرفهم ولو على نحو الإشارة، وأبدأ أولاً بأصحاب المصادر في التراث السنّي، لأنهم أبعد عن شبهة التهويل والتضليل، والقال والقليل، وأدنى إلى ثقافة العامة وهم:

(أولاً) سبط ابن الجوزي الحنفي من رجال القرن السابع إذ توفي سنة ٦٥٤ وإنما قدمت ذكره لأنه روى أقدم نص للخطبة مقتضباً باختصار مشين وقد رواه عن الشعبي المتوفى سنة ١٠٣ - ٤/٥/٦/١٠٧) وهو المتهم بجنحة التغير والتقصير، وإلا فالسبط المذكور أثنى عليه مترجموه فقد قال ابن خلكان عنه: (الواعظ المشهور، حنفي المذهب، وله حديث وسمعته في مجالس وعظه وقبول عند الملوك وغيرهم)^(١).

ووصفه الموفق بن أحمد أخطب خوارزم بقوله: (الشيخ الإمام شمس الدين، والإمام الحافظ)^(٢). وكتابه (تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة) يدل على حبه لأهل البيت عليهم السلام واعتداله في كتابه يقتضي حسن الثناء عليه ويبعد عنه إصابع الإتهام، لكن روايته للخطبة عن الشعبي تثير الاستغراب، ولم يذكر لها سنداً أو أخذها عن كتاب، لأن الشعبي وهو عامر بن شراحيل من شعب همدان بالكوفة كان من مشهوري التابعين، وفي ركاب الأمويين من الظالعين، ولي لهم القضاء وتولى تأديب ولد عبد الملك بن مروان وكان قاضيه بالكوفة أيام الحجاج، فهو وإن أثنى عليه ابن حجر كغيره فقد أطنب في ترجمته في تهذيب التهذيب ٦٥/٥ - ٦٩، وذكر الكثير من القول في اطرائه وحكى توثيقه عن غير واحد حتى قال فيه العجلي. ولا يكاد الشعبي يرسل إلا صحيحاً... ومع

(١) وفیات الأعيان ٣: ١٤٢.

(٢) جامع مسانيد أبي حنيفة ١: ٥٤ و ٧٠ ط حيدرآباد.

ذلك الإطراء فقد غمز قناته غير واحد فقال ابن أبي حاتم وسئل أبي عن الفرائض التي رواها الشعبي عن عليّ فقال: هذا عندي ما قاسه الشعبي على قول عليّ، وما أرى عليّاً كان يتفرّغ لهذا وقال ابن معين: قضى الشعبي لعمر بن عبدالعزيز وساق أقوالاً كثيرة في عدم سماعه من جماعة من الصحابة، وقال العلاء بن هارون ولي الشعبي القضاء فما قام له ولا قوي عليه ومن قبيح قوله وقد أنكر عليه جوره في القضاء فأثاه الأحنف ليفهمه وقال له: فاقض بينهما بما أراك الله، قال: لست برأي ربّي أقضي، وإنّما أقضي برأيي^(١).

وقد ذكرت جانباً من تاريخه الفقهي في كتابي (عليّ إمام البررة)^(٢). وذكرت ما يدلّ على نُصبه في كذبه عن عليّ وشيعته وحزبه، فمن كان كذلك لا يُرجى منه الأمانة في نقل خطبة الصديقة (عليها السلام) كما هي بنصّها وفصّها ولا غرابة منه كما هي الغرابة من سبط ابن الجوزي كيف اكتفى في المقام برواية الشعبي، دون رواية غيره ممن رواها تامة الفصول كاملة المقول .

(١) أخبار القضاة لوكيع ٢: ٤٢٧.

(٢) عليّ إمام البررة ٢: ٣٢٣ — ٣٢٤.

(ثانياً) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي ابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ترجمه الخطيب البغدادي في تاريخه وأثنى عليه بقوله: (كان أحد البلغاء الشعراء الرواة ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم...) (١).

وذكره ابن النديم في الفهرست وياقوت في معجم الأدباء وذكر له قائمة من الكتب تزيد على ٥٦ كتاباً... (ولم يبق من هذا الجهد كله سوى جزء من كتاب هو القسم السادس من كتاب بغداد وقد طبع... وكتاب بلاغات النساء، وقد طبع قبل قرن من الزمان تقريباً بمصر، وعن تلك الطبعة نقلت النص كما مرّ وطبع الكتاب أيضاً في النجف وبغداد كما سيأتي في توثيق المصادر في المحور الثاني).

وأهمية ابن طيفور أنّ مصادر معلوماته استقى معظمها رواية عن عمر بن شبة وان غمز ياقوت وابن النديم في رواياته التي لا يسندوها، ومهما يكن فالرجل معدود من الرعيل الأول من المؤرخين البلدانيين (٢).

(ثالثاً) أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣ لقد مرّ ذكره في كتابي (المحسن السبط مولود أم سقط) (٣) وهناك ذكرت ما قيل في توثيقه ونضيف هنا ما قاله أبو هلال العسكري في كتابه (شرح ما يقع فيه

(١) تاريخ بغداد ٤: ٢١١.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون شاكر مصطفى ٢: ٢٤٥ — ٢٤٧.

(٣) المحسن السبط مولود أم سقط: ١٥٦ — ١٥٧.

التصحيح والتحريف^(١): (قرأت على أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، وكان ضابطاً صحيح العلم...).

ولا يفوتني التذكير بما قاله ابن أبي الحديد وقد روى الخطبة عن كتابه (السقيفة وفدك) للجوهري فقال: (الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم لأننا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك، وجميع ما نوردته في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في السقيفة وفدك وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبي ﷺ وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث، كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته^(٢)). وقال أيضاً: (واعلم أننا نذكر في هذا الفصل ما رواه رجال الحديث وثقاتهم وما أودعه أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه وهو من الثقات الأمناء عند أصحاب الحديث^(٣)).

(رابعاً) أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم الحنفي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ ترجمه كثيرون كالقفطي والصفدي والسيوطي، وذكروا له مدحاً وإعجاباً بفضل، وذكروا أنه يعرف بخليفة الزمخشري أخرج الخطبة في كتابه مقتل الحسين ﷺ وسيأتي توثيق المصدر في المحور الثاني إن شاء الله.

(١) شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف: ٤٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٠٩ — ٢١٠ تح: أبو الفضل إبراهيم.

(٣) نفس المصدر ١٦: ٢٣٤.

(خامساً) أبو السعادات مجد الدين المبارك بن الأثير الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ عالم أديب مشارك في تفسير القرآن والحديث والفقه واللغة والنحو وغير ذلك هكذا ذكروا في ترجمته في جملة من المصادر منها وفيات الأعيان لابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت وطبقات الشافعية للسبكي وغيرها وله عدة تصانيف طبع منها جامع الأصول في الحديث والنهاية في غريب الحديث ومنال الطالب في شرح طوال الغرائب ومنه أخذنا النص كما سيأتي توثيق المصدر في المحور الثاني إن شاء الله.

(سادساً) عمر رضا كحالة باحث معاصر شهير عرف بكتابه (معجم المؤلفين) المطبوع بدمشق أولاً في ١٦ جزءاً.

توثيق أصحاب المصادر من التراث الشيعي

١ - الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الآبي من وزراء مجد الدولة بن بويه توفي سنة ٤٢١ هـ وفي كشف الظنون سنة ٤٢٢ صنف (تاريخ الري) و (نثر الدر في المحاضرات) و (نزهة الأديب) كان يلقب بالوزير الكبير ذي المعالي زين الكفاة ترجمه الثعالبي في تمة اليتيمة ترجمة مطولة وذكره ياقوت في معجم البلدان (آبة) وذكره كاتب جلبي في كشف الظنون وجاء في رياض العلماء: الوزير السعيد ذو المعالي زين الكفاة أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، فاضل عالم فقيه وله نظم حسن، قرأ على شيخنا الموفق أبي جعفر الطوسي وروى عنه الشيخ المفيد عبدالرحمن

النيسابوري قاله منتجب الدين اقول: ولي في التوفيق بين سنة وفاته ٤٢١ وقراءته على الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ نظر وإن لم يكن التوفيق ممنوعاً لكنه بعيد غايته^(١).

٢ - الطبري الإمامي: هو محمد بن جرير بن رستم الطبري الأملي ذكره صاحب رياض العلماء فقال: محمد بن رستم الطبري الكبير دين فاضل^(٢) وليس هو صاحب التاريخ من كتبه (المسترشد) في الإمامة، دلائل الإمامة، الفاضح قاله ابن شهر آشوب^(٣).

أقول - والقائل هو صاحب الرياض - وقد ذكره العامة وطعنوا عليه لأجل تشييعه وقد نسب إليه المؤلف في فهرس كتاب الهداة كتاب مناقب فاطمة وولدها وينقل عنه فيه مع تركه في هذا الموضع^(٤). ثم أنه ذكره صاحب الرياض مرة أخرى في الألقاب (الطبري) فقال: وقد يطلق على الشيخ أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم بن جرير الطبري الإمامي صاحب كتاب مناقب فاطمة عليها السلام وولدها) وكتاب (دلائل الإمامة) وغير ذلك من المؤلفات وفي الأخير أشهر. انتهى^(٥).

(١) رياض العلماء للأفندي ٥: ٢١٩.

(٢) نفس المصدر ٥: ١٠٣.

(٣) معالم العلماء لابن شهر آشوب: ١٠٦.

(٤) اثبات الهداة للحر العاملي ١: ٣١.

(٥) رياض العلماء ٧: ١٨٥.

قلت: وهذا الذي ذكره من طعن العامة عليه لتشيّعه ليس كذلك. بل ذلك كان في ابن جرير العامي المؤرخ الشهير كما قال أبو الفدا في تاريخه في حوادث سنة ٣٠٧هـ. ولما مات تعصبت عليه العامة ورموه بالرفض وما كان سببه إلاّ أنّه صنّف كتاباً فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل فقليل له في ذلك فقال: لم يكن أحمد بن حنبل فقيهاً وإنّما كان محدثاً فاشتبه ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد فشتّعوا عليه بما أرادوه. وأين منه التشيّع وهو (يذهب في الإمامة إلى إمامة الأربعة حسب ترتيبهم في الحكم وما عليه أصحاب الحديث في التفضيل وكان يكفّر من خالفه.. من الروافض والخوارج ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم وذكر ذلك في الشهادات وفي الرسالة وفي أوّل ذيل المذيل^(١)).

ومؤلف الدلائل لم تذكره كتب العامة حتى يطعنوا عليه وقد ترجمه الشيخ الطوسي في الفهرست^(٢) وكذلك النجاشي في رجاله^(٣) وروى عنه كتبه بواسطتين وهما أقرب زماناً وأكثر احاطة وإصابة من صاحب الرياض.

(١) كما في معجم الأدباء ٥: ٢٦٨.

(٢) الفهرست: ١٥٨ الرقم ٦٩٧.

(٣) رجال النجاشي: ٣٧٦ الرقم ١٠٢٤.

المحور الثاني: توثيق المصادر

لقد مرّ بنا توثيق أصحابها في المحور الأول فلماذا اللبث عندها لتوثيقها؟ ألا يكفي توثيق أصحابها في توثيقها؟ فنقول: نعم كان ذلك يكفي يوم كانت الأمانات مرعية ولكن بعد أن شاعت الخيانة فضاعت الأمانة وتلاعب أصحاب الضمائر الميتة ممن لا يخشون حساباً ولا يرجون ثواباً فحشروا أنفسهم بين صفوف الناشرين وصبغوا أنفسهم بصبغة المحققين وتولوا مراكزهم في مؤسسات إصدار الأقراص الكمبيوترية فحرّفوا وصحّفوا وخرّفوا وخرّبوا وللتدليل على ذلك فلتقابل الطبعات القديمة للكتاب مع الطبعات الحديثة فالفرق واضح والتلاعب لائح وقد مرّت منا الإشارة إلى نموذج واحد في كتاب (المحسن السبط مولود أم سقط) فذكرنا ما وجب ممّا أصاب كتاب (مروج الذهب) فذهب منه في مورد واحد ما ذهب. فراجع لترى العجب.

وفي الأقراص الكمبيوترية فليقارن بين الإصدار الأول للمكتبة الألفية والإصدار الثاني فكم من شاهد على التلاعب والخيانة! وحسب الباحث أن يلاحظ حديث الثقلين في الإصدارين ليرى الفرق رأي العين.

أمّا عن جنايات بعض المحققين فتلك بليّة ما فوقها بليّة ولسوف يندمون ولات مندم. فهذا الحال هو الذي دعاني لتصوير النصوص من

مصادرها مع الصفحة الأولى ذات العنوان التي يجد القارئ فيها سنة طبع الكتاب ومكانه وبلده مع باقي خصوصياته ولزيادة التنبيه على ذلك نستعرضها الماماً فنقول عن مصادر التراث السنّي:

١ - (غريب الحديث) لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وقد طبع ببغداد في سلسلة مطبوعات وزارة الأوقاف العراقية بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري وقد يؤخذ علينا عدم ذكر صورة النص عنه مع مصادر النصوص، لأن مؤلفه لم يذكر تمام الخطبة بل حاول إنكارها فذكرت ما عنده والردّ عليه فيما تقدم في أول النصوص، وليعلم أنّ المطبوع من غريب الحديث فيه نقص دلل على ذلك ابن الأثير حين نقل عنه بعض الأحاديث في كتابه (منال الطالب) ولم توجد في المطبوع منه.^(١)

(١) ولم يكن ابن قتيبة في غريب الحديث هو الوحيد الذي أشار إلى الخطبة الكبيرة في (لّة) بل هناك غيره من ذكرها بنحو الإشارة - وربّ إشارة أبلغ من تصريح - فراجع الزنجشيري (ت ٥٣٨) في كتابه (الفائق) وهو الفائق كاسمه فقد قال في (لم) (وفي حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها أنها خرجت في لّة من نساء قومها تتوطأ ذليها حتى دخلت على أبي بكر) الفائق ٢ / ٢٣١ ط حيدر آباد ١٣٢٤ و ٣ / ٣٣١ ط دار الفكر وج ٣ / ٣١٩ ط المكتبة العصرية صيدا ١٤٢٦ هـ ، وأعطف عليه أبو الجوزي (ت ٥٩٧) في (غريب الحديث) ٢ / ٣٣٣ ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤ حيث قال: وفي الحديث (أن فاطمة خرجت في لّة من نساها إلى أبي بكر فعاتبه) أي في جماعة، وقيل هي من الثلاث إلى العشر. وهذا بعينه ما ذكره ابن المنظور في لسان العرب ١٦ / ٢٢ ط مصورة عن طبعة بولاق وكذلك ذكره ابن الأثير أيضاً في النهاية ج ٤ / ٢٧٣ ط محققة بمصر إلا أن الزبيدي في تاج العروس أشار إلى ذلك إشارة عابرة، راجع ٩ / ٦٣ ط أفسست عن طبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ ..

٢ - (بلاغات النساء) لابن طيفور أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر البغدادي المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وهذا الكتاب كاد أن يكون هو المرجع الأول لدى المتأخرين نظراً لقدم مؤلفه ثم وصول نسخته سالمة من العث والعبث وإن لم تسلم من بعض سهو النساخ وقد طبع لأول مرة بمصر قبل قرن من الزمان تقريباً كما جاء في صفحة العنوان: طبع ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م. وتكرر طبعه في بلدان أخرى وأزمان متأخرة فقد طبع في النجف الأشرف سنة ١٣٥٣ وفي بيروت سنة ١٩٧٢ م وربما في غيرهما لما لم نقف عليه. وقد اعتمدنا الطبعة المصرية القديمة.

٣ - (مقتل الحسين عليه السلام) لأبي المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم الحنفي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وقد طبع الكتاب قبل ستين عاماً في النجف الأشرف بمطبعة الزهراء سنة ١٣٦٧ هـ وقد عني بملاحظة التعليق عليه العلامة المحقق الكبير الشيخ محمد السماوي (رحمته) وعن هذه الطبعة أخذت صورة النص.

٤ - (منال الطالب في شرح طوال الغرائب) لابن الأثير ٦٠٦ طبع محققاً بتحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي ونشرته المملكة العربية السعودية / جامعة الملك عبدالعزيز الكتاب الثامن من التراث الإسلامي (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة. وأعيدت طبعاته بالقاهرة أيضاً دار المأمون للتراث.

٥ - (أعلام النساء) لعمر رضا كحالة طبع بدمشق وإنّما أذكره مع المصادر القديمة مع العلم بأنّه اعتمد كتاب بلاغات النساء لابن أبي طاهر البغدادي في رواية الخطبة، للتأكيد على مصادقة المتأخرين للمتقدمين على روايتها. وقد مرّ بنا ذكر غيره من أصحاب الدراسات الحديثة كالعقاد في كتابه (فاطمة والفاطميون) وتوفيق أبو علم في كتابه (أهل البيت عليه السلام) وغيرهما من ذكر الخطبة معتمداً على رواية الأوائل.

والآن إلى توثيق المصادر في التراث الشيعي:

ولما كانت تلك المصادر كثيرة ومتنوعة فقد اخترت منها نصّاً برواية الطبري الإمامي من أعلام القرن الخامس، حيث ذكر الخطبة بتسعة أسانيد كما سيأتي بيانها، وأشارت إلى نص آخر لمعاصر له وهو الوزير الآبي صاحب (نثر الدر) في المحاضرات حيث ذكر الخطبة في الجزء الرابع ولتوثيق المصدرين نبين للقارئ مايلي:

١ - (دلائل الإمامة) وقد طبع لأوّل مرة في المطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٦٩ هـ وهي طبعة يصح القول معها إنّها بدائية من حيث الإخراج ولكنها سدّت الفراغ في حينها فجزى الله الناشر خيراً وقد ذكرت النص مأخوذاً عنها ثم قارنته مع الطبعة الثانية المحققة المطبوعة كتب عليها بتحقيق قسم الدراسات الإسلامية نشر مؤسسة البعثة بقم ط الأولى سنة ١٤١٣ هـ وهي أيضاً لا تخلو من ضربة لازب في بعض الأخطاء ولكنها خير من الأولى إخراجاً.

وعسى أن يوفق الله تعالى من يعيد طبع الكتاب مرة أخرى بمزيد من العناية تفوق ما سبق تحقيقاً وتعليقاً وتوثيقاً لرجال الأسانيد وفق الله العاملين أنه ولي التوفيق.

٢ - (نثر الدرّ للآبي) المتوفى سنة ٤٢١هـ وقد طبع الكتاب أولاً بالقاهرة ما بين سنتي ١٩٧٨ و ١٩٩١ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب في سبعة أجزاء. وطبع ج ٧ من هذا الكتاب في تونس الدار التونسية - مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل سنة ١٩٨٣ بتحقيق عثمان بوغانجي وفيه عرض وتقديم كل المجلدات السبعة ثم تحقيق المجلد السابع ومقارنته موضوعاً بالمؤلفات الأخرى من نوعه). وطبع كاملاً أيضاً في بيروت سنة ٢٠٠٤ ١٤٢٤ بتحقيق خالد عبد الغني محفوظ في سبعة أجزاء من منشورات محمد عليّ بيضون لنشر كتب السنّة والجماعة - دار الكتب العلمية بيروت والخطبة في أول الجزء الرابع في الباب الأول كلام النساء الشرائف. فاطمة ابنة رسول الله ﷺ خطبتها لما منعها أبو بكر فذكاً ثم ذكر الخطبة الكبيرة.

المحور الثالث: توثيق الأسانيد

قد يظن البعض أن لا قيمة للإسناد بعد شهرة الحدث شهرة عظيمة لا يسع المنكر إنكارها لاستفاضة النقل والإذعان لآثارها وقد يكون ذلك الظان الخاطيء متمسكاً بمقولة: ربّ مشهور لا أصل له لذلك اعتمدت توثيق الإسناد محوراً من محاور التوثيق لأنّه يرفع إصر التبعة عن صاحب الكتاب ويزيد الثقة بصحّة المسند والمسند إليه وقد شاع لدى المحدثين قول: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء .

وقد تميّز التاريخ الإسلامي في تسجيل أحداثه أخذاً عن الرواة ناهجاً نهج الحديث في ذلك حتى صار الإسناد جزءاً من الخبر وبه صار الباحث يميز الصحيح من السقيم ولا يخلط الحابل بالنابل.

وثمة فائدة كبيرة سيحصل عليها الباحث من خلال معرفة رجال الإسناد فيدرك أنّ الإسناد كما يقوي الحجة يصدق رجاله ويدفع التهمة عنهم بمعرفة حالهم ويعين على فهم النص على حقيقته بملاحظة ضبط الرواة للخبر فهو أيضاً يلقي الضوء على أساس تسجيل الحدث في كشف أسباب النزاعات الدينية والخصومات السياسية ومدى تأثير هوى السلطة على الرواة ومدى تجاوزهم معها وذلك يعرف من معرفة هوياتهم القبلية وأهوائهم الدينية وقد مرّت الإشارة إلى مدرسة الكذب التي شيّد

صرحها معاوية بن أبي سفيان الذي كتب إلى الآفاق ما ذكره المدائني: (ومهما قيل في معاوية ومهما حاول علماء المذهب السلفي المتأخر وبعض أهل السنة من وضعه في نسق صحابة رسول الله فإن الرجل لم يؤمن أبداً بالإسلام ولقد كان يطلق نفثاته على الإسلام كثيراً ولكنه لم يستطع أكثر من هذا)^(١). وما حديث مساومته مع سمرة بن جندب في جعله تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢) في ابن ملجم وتفسير ﴿وَهُوَ الَّذِي خَصَّامٌ﴾ في عليّ عليه السلام إلا بعض إغوائه وإغرائه لحوالات الرجال ممن لا تلتقي بذكرهم الشفتان إحتقاراً لهم ومن شاء معرفة بعضهم فليرجع إلى شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الأصولي الشافعي الفروع ليقف على أسماء المنحرفين عن عليّ عليه السلام وبعض مروياتهم^(٣). إذن فالخبر الحالي عن الإسناد يتهاوى أمام النقد الموضوعي لأنّه مرسل وليس المرسل كالمسند فهذا هو الذي دعاني لأتخذ توثيق الإسناد أحد محاور التوثيق الخمسة.

وقد مرّ في المحور الأول توثيق أصحاب المصادر التي أخذت صور النصوص منها، كما مرّ في المحور الثاني توثيق المصادر من خلال معرفة طبعتها لما عرى تعدّد الطبعات من السيئات ما عراها ومّا أفاض على

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام | علي سامي النشار ٢: ١٨ — ١٩.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) شرح النهج.

الطبقات الأولى من الحسنات ما أعلاها وأغلاها ومنه يعرف جواب ما قد يثيره فضول قاصري العقول فيقال: لماذا كل هذا الاهتمام بهذا الجانب والتأكيد على تعيين طبعتها؟ فنقول له أيضاً إنّ الخطب الفاطمية في مجموعها تمثل بيان حقبة من تاريخ المسلمين حدثت فيها المفاجأة المؤلمة بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى فكانت ردة وكان انقلاب، وكان ما كان من تفرق المسلمين وتمزق وحدتهم فمثلت تلك الخطب بمجموعها صورة ما حدث من تغير في ملامح المجتمع الإسلامي يومئذٍ في خضم المعتكك الجدلي بين الإسلام الحقيقي الديني وتمثله الزهراء عليها السلام وكافة أهل البيت عليهم السلام ومن تابعهم وشايعهم، وبين الإسلام السياسي ويمثله الشيخان ومن انضوى إليهما كما لا تهمل الخطب بمجموعها الفريق الحائر الخائر والخاسر وهم غالب الأنصار الذين تذبذبت علاقاتهم مع الفريقين المتخاصمين فكانت مواقفهم متناقضة في تذبذبها إلى حد السلب والإيجاب في النصرة والخذلان وهذا ما كشفت عنه الخطب بمجموعها.

وحيث عرفنا أهميتها فلا غرابة من بذل مزيد اهتمام في إثباتها لأنّ المنكرين لجّوا في إنكارها ولا غرابة في فهم موقفهم منها لأنّها تنسف أبراج هياكلهم المزيّفة وتدحر جميع حججهم في مقولاتهم الزائفة والتي عاشت ونمت في ظلّ باهت الألوان. ولكن بيان الخطب بصريحه وفصيحته كشف الزيف ودمّر الزائفة ولم تستطع عملية التسجيل الحاكم

بمليخه^(١) وصرينجه^(٢) أن يخفي الأمر الواقع في تلك الخصومة الحادة لأن أدوات التسجيل التي سجلت الحدث بنصّه وفصّه فذكرت الخطب كانت أقوى بياناً وأفصح لساناً وأحدّ سناناً فلم تغطها غاشية النقول ولا زبارج المنقول فانصاعت مذعنة أدوات التسجيل الحاكم إلى ذكر الخطب غير متأثرة بضبابية الأهواء لأن صرخة الألم كانت أقوى من أن تطوى بجرّة من القلم.

ونحن بقراءة حال الرجال الرواة ستظهر أمامنا شفافية المرآة الصافية والصادقة في نقل الصورة من دون رين أو تضبيب وإذا ما أصاب بعض روايتها من جهالة حال لتعقيم أخفت ضوء المصباح الهادي إلى واقع الحال ولم نقف له على ذكر في كتب الرجال والتراجم، وأحسب أن وهم النساخ أو الرواة في تسجيل أسماء ذلك البعض هو الذي سبب لنا معاناة البحث وهذا ما لم تسلم منه كتب السابقين واللاحقين وما كتب معرفة التصحيف والتحريف إلاّ دليل على ذلك مضافاً إلى بلية عصر المطابع التي أصبحت أخطاؤها في كل كتاب ضربة لازب ولا يعني عدم الوقوف على حال أحد في سند ما أو معرفته معرفة كافية شافية يكون نقصاً من قدر بقية رجاله ومن أحتج باستفاضة النقل عند الخاصة والعامة فقد أتى بما لا تنهاوى عنده النقول إذ لا يغني بذل المزيد من

(١) المليخ: الفاسد والضعيف . (قطر المحيط).

(٢) الصرينج: الغيث والمستغيث . (نفس المصدر).

البحث سوى العناء وهذا يقنع المنصف في نفسه وإن لم يزد المنكر إلا فساداً ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾^(١) فال المطلوب هو حصول الوثوق من الطرق المستفيضة، ولا شك أنه أقوى من حصوله من خبر صحيح واحد .

ثم إن وجود مجهول أو مقدوح فيه لجهالته، لا يستلزم كذب جميع الرواة، بل يكون تعدد الأسانيد دليلاً على صدقه، قال الحافظ موفق الدين قدامة في أول كتابه (إثبات صفاة العلو لله): (وإعلم رحمك الله إنه ليس من شروط صحة التواتر الذي يحصل به اليقين أن يوجد التواتر في جزء واحد، بل متى أتت أخبار كثيرة في معنى واحد من طرق يصدق بعضها بعضاً، ولم يأت ما يكذبها أو يقدح فيها حتى أستقرّ ذلك في القلوب، وأستيقنته فقد حصل التواتر، وثبت القطع واليقين، فإذا نتيقن وجود حاتم وإن كان لم يرد به خبر واحد مرضي الإسناد لوجود ما ذكرنا، وكذلك عدل عمر وشجاعة علي)^(٢).
الآن الى المزيد من معرفة الأسانيد حسب تسلسل ورود صور النصوص:

(١) الإسراء: ٨٤.

(٢) عن فتح الملك العلي للغباري في المسلك التاسع لإثبات صحة حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ط القاهرة.

أسانيد الخطبة الكبيرة في كتاب (دلائل الإمامة) لمحمد بن جرير
الطبري الإمامي من أعلام القرن الخامس الهجري:

لقد أورد الخطبة بتسعة أسانيد تنتهي رواية رجالها إلى أعلام من بني
هاشم ، ومن غيرهم ، وهم على ترتيب ما في الكتاب مجملًا:

أ- ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

ب- ج- د- عن زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام.

هـ- عن عبدالله بن الحسن المثنى عن جماعة من أهله.

و- عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عليهم السلام.

ز- عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام.

ح- عن عوانة (بن الحكم).

ط- عن ابن عائشة (البصري).

ولا مناص للباحث من معرفة هوية رجال الأسانيد التسعة بدءاً من
صاحب الكتاب وانتهاءً بآخر السند فنقول:

(السند الأول)

قال صاحب الكتاب: وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري
الأملي الإمامي كان وجهاً من وجوه الإمامية وعيناً من عيونهم قال

النجاشي: جليل من أصحابنا كثير العلم حسن الكلام ثقة في الحديث^(١) وحسبنا بهذا في تعريفه وتوثيقه وقد روى الخطبة في كتاب دلائل الإمامة^(٢) فقال في حديث فذك: (حدثني: (أبو الفضل محمد بن عبد الله) هذا هو الشيباني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ وقد أدركه النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وذكره في كتابه الرجال وروى عنه بالواسطة رعاية للاحتياط كما أدركه الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وذكره في الفهرست فقال: كثير الرواية حسن الحفظ غير أنه ضعفه جماعة من أصحابنا له كتاب الولادات الطيبة، وله... وغير ذلك أخبرنا بجميع رواياته عنه جماعة من أصحابنا^(٣) وطريق الشيخ إليه صحيح في مشيخة التهذيب^(٤).

أقول: وهذا روى الخطبة فقال: (حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني) وهذا هو الحافظ المعروف بابن عقدة الزيدي أمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر^(٥) وقال: له كتب كثيرة منها... وله كتاب من روى عن فاطمة عليها السلام من أولادها.

(١) النجاشي ولمزيد من الإطلاع على ترجمة الطبري المذكور فليرجع إلى المحور الأول. وإلى الذريعة: ٢٤١ -

٢٤٢: لشيخنا الحجة المغفور له الشيخ آغا بزرك الطهراني ففيه تحقيقات قيمة فجزاه الله خيراً.

(٢) دلائل الإمامة: ٣٠ ط النجف.

(٣) الفهرست: ٤٠١ برقم ٦١١ تح الطباطبائي.

(٤) كما في معجم رجال الحديث ١٦: برقم ١١٢٠.

(٥) قاله الشيخ الطوسي في الفهرست: ٦٨ برقم ٦٨.

أقول: وطريق الشيخ إلى كتبه ورواياته صحيح وقد ذكره الذهبي في الميزان وحكى عن الدارقطني قوله: أجمع أهل الكوفة أنه لم يروا من زمن ابن مسعود أحفظ من أبي العباس ابن عقدة وقال الدارقطني أيضاً: ابن عقدة يعلم ما عند الناس ولا يعلم الناس ما عنده وأطال الذهبي في ترجمته فقال: مات سنة ٣٣٢ عن أربع وثمانين سنة.

أقول: وهذا روى الخطبة فقال: (حدثنا أحمد محمد بن عثمان بن سعيد الزيات) ولم أقف على ذكر له في كتبنا الرجالية وأظن تصحيحاً وقع في نسبه في محمد بن عثمان وصوابه عن عثمان وبناءً على هذا فيكون أحمد بن محمد الذي روى عنه ابن عقدة هو أحمد بن محمد بن يحيى الحازمي (الخازني)^(١) وعثمان بن سعيد الزيات هو العمري ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الهادي وأصحاب العسكري عليه السلام وقال جليل القدر ثقة وورد في معجم الطبراني حديثه في مسائل^(٢) وجهها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام عن أشياء من أمر المرأة وقد أخرجها القضاعي^(٣) والديلمي في مسند الفردوس والهيتمي^(٤).

(١) كما في معجم رجال الحديث ٢: ٣٣٦ ط الآداب في النجف.

(٢) معجم الطبراني الكبير ٣: ٦٨ ط الموصل.

(٣) مسند الشهاب: ٧٤ و٨٢٦ و٨٢٨.

(٤) مجمع الزوائد ١٠: ٢٨٣.

أقول: وهذا روى الخطبة: (قال: حدّثنا محمّد بن الحسين القصباني (لم أقف فعلاً على من ذكره).

وهذا روى الخطبة: (قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي السكوني) ذكره الشيخ النجاشي فقال: أحمد بن محمّد بن عمرو بن أبي نصر زيد مولى السكون أبو جعفر المعروف بالبزنطي كوفي لقي الرضا وأبا جعفر عليه السلام وكان عظيم المنزلة عندهما... ومات أحمد بن محمّد سنة ٢٢١ هـ...

(أقول): وهذا روى الخطبة عن (أبان بن عثمان الأحمر) وهذا قال فيه النجاشي: أبان بن عثمان الأحمر البجلي مولاهم أصله كوفي كان يسكنها تارة والبصرة تارة وقد أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة معمر بن المثنى وأبو عبدالله محمّد بن سلام وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والردة أخبرنا بها أبو الحسن التميمي قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن سعيد قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن فضال قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله بن زرارة قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن أبي نصر عن أبان بها...

وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست بنحو ما مرّ وذكر كتبه فقال: وما عُرف عن مصنفاته إلّا كتابه الذي يجمع المبدأ (المبتدأ) والمبعث والمغازي، والوفاة والسقيفة والردة أخبرنا بهذه الكتب - وهي كتاب واحد -

الشيخ أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان والحسين بن عبيدالله جميعاً
عن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الحسيني قال: حدّثنا أحمد بن محمد
بن سعيد قراءة عليه.

أخبرنا: أحمد بن محمد بن موسى قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد
قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن فضال قال: حدّثنا محمد بن عبدالله بن
زرارة قال: حدّثنا محمد بن أبي نصر عن أبان.

قال عليّ بن الحسن بن فضال: وحدّثنا إسماعيل بن مهران قال: حدّثنا
أحمد بن محمد بن أبي نصر ومحمد بن سعيد بن أبي نصر جميعاً عن أبان
الأحمر...

أقول: وأبان هذا روى الخطبة: (عن أبان بن تغلب الربعي) قال
النجاشي: أبان بن تغلب بن رباح أبو سعيد البكري الجريري مولى بني
جرير بن عباد... عظيم المنزلة في أصحابنا لقي عليّ بن الحسين وأبا
جعفر وأبا عبدالله عليه السلام وروى عنهم وكانت له عندهم منزلة وقدم...).

أقول: وله في كتب رجال العامة إطرأ حسن^(١) ذكره البلاذري قال:
روى أبان عن عطية العوفي قال له أبو جعفر عليه السلام: إجلس في مسجد ا

(١) لاحظ ميزان الاعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر أنجد جل الثناء عليه في ترجمته كما نجد الرد
على الجوزجاني في حطّه على الكوفيين وبيان معنى التشيع في عُرف المتقدمين ثم في عُرف المتأخرين أنحسن
المراجعة لمزيد الاستفادة.

لمدينة وأفت الناس فلاني أحب أن يُرى في شيعتي مثلك. وقال أبو عبدالله عليه السلام - لما أتاه نعيه - أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان.

وكان قارئاً من وجوه القراء فقيهاً لغوياً سمع من العرب وحكى عنهم. وكان (رحمته) مقدماً في كل فنّ من العلوم في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو وله كتب منها تفسير غريب القرآن وقد استشهد عليه بالشعر هو على نحو ما صنع ابن عباس في مسائل نافع بن الأزرق الخارجي.

وله كتاب الفضائل وكتاب صفين وغير ذلك وأبان هذا روى الخطبة: (عن عكرمة) وهذا هو مولى ابن عباس ، ولما كان لابن عباس مولى اسم كل واحد منهما عكرمة ، أحدهما هو المشهور الذي ترجمه ابن حجر^(١) وأطال الكلام في ترجمته التي استغرقت عشر صفحات واستعرض فيها أقوال الناس فيه مدحاً وقدحاً وحسب القارئ أن يعرف أنه كان خارجياً يرى رأي نجدة والصفورية من الخوارج وهو الذي أدخله إلى أهل المغرب ومهما قيل عنه من كذبه على مولاه ابن عباس فهو غير متهم في روايته لهذه الخطبة والخطبة الشقشقية فقد رواهما معاً عن مولاه ابن عباس لأنهما على خلاف هواه ورأيه فهو حين يرويهما نقبل روايته ونبذ رأيه فلنا في المقام حديثه وعليه بدعته كما يقول علماء

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٣ — ٢٧٣.

الدراية فإن كان هو الذي روى الخطبة فهو مقبول . وإن كان هو عكرمة الآخر غير المشهور وكان مستقيماً ، فهو مقبول أيضاً .

(عن ابن عباس) وهذا هو حبر الأمة وترجمان القرآن وشأنه أعلى شأن ويقصر عنه اللسان والبيان وقد وفقت بحمد الله تعالى إلى جمع أخباره وآثاره في موسوعة باسمه صدرت الحلقة الأولى منها في خمسة أجزاء وأرجو التوفيق لأن أدفع بباقي الحلقات في نفس الطريق إن شاء الله تعالى.

وهذا الخبر والبحر (رحمته) روى الخطبة عن: (السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام) قال أبو الفرج الإصفهاني^(١) في حديثه عن هذه العقيلة (والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك فقال: حدّثني عقيلتنا زينب بنت عليّ...)

(السند الثاني)

قال مؤلف الكتاب - أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري) وقد تقدّمت ترجمته في أوّل السند الأول - : (وأخبرني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري) ذكره النجاشي في ترجمة أحمد بن محمد بن الربيع وترجم عليه فقال:

(١) في مقاتل الطالبين: ٩٥ تح صفر ط مصر.

(أحمد بن محمد بن الربيع الأقرع الكندي له كتاب نوادر أخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا علي بن محمد القرشي قال: حدثنا علي بن الحسن عن أحمد بن محمد بن الربيع قال أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى (رحمته) قال: أبي .

قال أبو علي بن همام: حدثنا عبد الله بن العلاء قال: كان أحمد بن محمد بن الربيع عالماً بالرجال) أقول: ولا يبعد أن يكون محمد بن هارون هو الوراق الذي له عدة كتب منها: كتاب السقيفة ومهما يكن فهو روى الخطبة عن أبيه.

(قال حدثنا أبي) وهذا قال فيه النجاشي: (كان وجهاً في أصحابنا ثقة معتمداً لا يطعن عليه) وقال فيه الشيخ الطوسي في رجاله: (جليل القدر عظيم المنزلة، واسع الرواية، عديم النظير ثقة)

روى جميع الأصول والمصنفات مات سنة / ٣٨٥ أخبرنا عنه جماعة من أصحابنا...

أقول: وهذا روى الخطبة:

(قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني) وهذا هو الحافظ ابن عقدة الزيدي وقد تقدّمت ترجمته في السند الأول..

(قال: حدثني محمد بن الفضل بن إبراهيم بن قيس الأشعري) وقيس هو ابن رمانة والمترجم له يكنى أبا جعفر ثقة له كتب ترجمه النجاشي

وذكر أنّ ابن عقدة روى عنه كتابه وقال سيدنا الأستاذ (قدّس سرّه) وروى الشيخ في التهذيب بسنده عن أبي جعفر محمّد بن المفّضل بن إبراهيم الأشعري قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن زياد وهو الوشاء الخزاز وهو ابن بنت الياس وكان وقف ورجع فقطع... الحديث^(١).

أقول: والقائل هو الأستاذ... محمّد بن المفّضل والطريق إليه صحيح... اهـ.

أقول: وهذا روى الخطبة: (قال: حدّثنا عليّ بن حسان) ترجم السيّد الأستاذ (قدّس سرّه)^(٢) عليّ بن حسان وعليّ بن حسان بن كثير وعليّ بن حسان الواسطي وذكر الاختلاف في حال أصحاب الاسماء وانتهى إلى اشتراك رجلين في اسم عليّ بن حسان وللتمييز بينهما ذكر الذي يروي عن عمه بن كثير) هو الهاشمي المطعون فيه والآخر هو الواسطي وهو الثقة ونوّه في ص ٣٣٢ على أنّ عليّ بن حسان الهاشمي وقع في إسناد كامل الزيارات روى عن عمه عبدالرحمن بن كثير ومولى أبي جعفر عليه السلام وروى عنه الحسن بن عليّ الكوفي الباب ٤٣ في أنّ زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم الحديث ٤ ثم قال: ولكنه مع ذلك لا يمكن الحكم بوثاقته لمعارضة شهادة ابن قولويه فيه بشهادة النجاشي وابن الغضائري بضعفه وشهادة ابن فضال بأنّه كذّاب ثم عاد في ص ٣٣٣ فقال: أنّه ظهر ممّا

(١) التهذيب ٤: آخر باب الزيادات من باب الخمس والغنائم الحديث ٤١٧.

(٢) في ج ١١: ٣٢٩ — ٣٣٥.

ذكرنا أنّ عليّ بن حسان اسم لرجلين أحدهما ثقة وهو الواسطي والآخر لم تثبت وثاقته وهو الهاشمي الذي يروي عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمي ولكنه يناقض ذلك ما ذكره الصدوق من رواية عليّ بن حسان الواسطي عن عمه عبدالرحمن بن كثير^(١).

وما ذكره في المشيخة من رواية عليّ بن حسان الواسطي عن عمه عبدالرحمن بن كثير الهاشمي ولأجل ذلك جزم المجلسي الأول على ما حكى عنه الوحيد (قدّس سرّه) بالاتحاد وأنّ الهاشمي والواسطي رجل واحد.

ثم رأى السيّد الأستاذ (تتبرّك) التعدّد وقبول خبر الواسطي ورفض خبر الهاشمي وانتهى إلى التوقف فيما كان الأمر ملتبساً.

وهو تحقيق حقيق بالتصديق لكنني وجدت في شرح مشيخة الفقيه^(٢) ترجمة عليّ بن حسان الواسطي أبو الحسين القصير المعروف بالمنمّس عمّر أكثر من مائة سنة روى عن أبي الحسن الرضا وأبي جعفر الجواد عليهما السلام له كتاب روى عنه أحمد بن عبدالله ومحمد بن الحسن الصفّار وغيرهما وهذا ظاهر في الاتحاد لما رواه الصدوق وحكي عن المجلسي. ومهما يكن فعليّ بن حسان روى الخطبة:

(١) الفقيه: الجزء الثالث باب معرفة الكبائر التي أوعدها الله عليها النار الحديث ١٧٤٥.

(٢) شرح مشيخة الفقيه: ١١٤ للمرحوم السيّد الوالد (قدّس سرّه).

(عن عمّه عبدالرحمن بن كثير) ترجمه النجاشي وذكر غمز الأصحاب فيه وذكر له عدّة كتب منها كتاب فذك... ولما كان ورد ذكره في كامل الزيارات لابن قولويه في الباب ٤٣ في أنّ زيارة الحسين عليه السلام فرض وعهد لازم وكذلك ورد ذكره في تفسير القمي في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾^(١). فهو كمن سبقه يمكن تمشية حاله لورود ذكره في الكتابين اللذين ضمن مؤلفاهما وثاقة من في كتابيهما من الرجال وإن ناقش ذلك سيّدنا الأستاذ (تتّرى) ومهما كان حاله فقد روى الخطبة:

(عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسين عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام).

(السند الثالث)

لقد اختصر المؤلّف ذكر السند من أوّله إلى ابن عقدة المتقدم ذكره في السندين السابقين فابتدأ السند الثالث بقوله:

(وقال أبو العباس) وهذا هو ابن عقدة الزيدي كما تقدّم:

(وحدّثنا محمد بن المفضل عن إبراهيم الأشعري) وهذا أيضاً تقدم ذكره في السند الثاني

(١) النمل: ٨٥.

(قال: حدّثني أبي) ولم أقف على ذكره مترجماً بما يكشف حاله فعلاً. وقد روى الخطبة:

(قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عمرو بن عثمان الجعفي) وهذا كسابقه وقد روى الخطبة

(قال: حدّثني أبي) وهو كحال ابنه المتقدم الذكر مجهول الحال فعلاً وهو روى الخطبة :

(عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جده عليّ بن الحسين عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين وغير واحد أنّ فاطمة لما أجمع أبو بكر على منعها فدكاً...

(السند الرابع)

قال المؤلّف: (وحدّثني القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر (بن مخلد) بن سهل بن حمران الدقاق) وهذا هو الباقرحي من مشايخ الخطيب ترجمه في تاريخه فقال: وكان صدوقاً صحيح الكتاب حسن النقل جيد الضبط ومن أهل العلم والمعرفة بالأدب... وكان ينتحل في الفقه مذهب محمّد بن جرير الطبري... وسمعه يقول: ولدت سنة ٣٠٢ ... توفّي سنة ٤١٠ ودفن ... في مقبرة الخيزران بقرب قبر أبي حنيفة.

أقول: وترجمه السمعاني بنحو ذلك^(١) كما ذكره الذهبي^(٢) أقول: هذا روى الخطبة:

(قال: حدثني أم الفضل خديجة بنت محمد بن أحمد بن أبي الثلج) وقد روت الخطبة (قالت: حدثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد الصفواني) قال صاحب رياض العلماء: إنّ جلالة قدر الصفواني هذا وثقته ممّا لا شبهة فيه ونقله أصحاب الرجال وغيره وكان تلميذ الكليني^(٣). أقول: وهذا روى الخطبة:

(قال: حدثنا أبو أحمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودي البصري) وهذا شيخ البصرة وأخبارها له أكثر من مائة كتاب في السير والأخبار والفقه وهو ثقة في حديثه^(٤) توفي بعد ٣٣٠ وهو روى الخطبة (قال: حدثنا محمد بن زكريا) وهذا هو الغلابي وكان وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة كما قاله النجاشي^(٥) وهو روى الخطبة

(١) أنساب السمعاني ٥١: ٢ ط حيدرآباد.

(٢) تاريخ الإسلام ٢٨: ١٨٥ ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٧ هـ وسير أعلام النبلاء ١٢: ٣٥٣ ط دار الفكر.

(٣) رياض العلماء ٧: ١٦٨.

(٤) أنظر معجم رجال الحديث ١٠: ٣٩.

(٥) رجال النجاشي ذكره في ترجمة دعلج.

(قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمار الكندي) لم أقف عليه في كتب رجالنا وهو روى الخطبة

(قال: حدثني أبي) وهو كسابقه وقد روى الخطبة

(عن الحسن بن صالح بن حي قال: وما رأيت عينا مثله) وهذا من رجال الزيدية وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست وقال: له أصل روينا عن ابن محبوب عن الحسن بن صالح بن حي وقد ترجمه الذهبي في ميزانه فرجحت كفة إحسانه حيث حكى عن أبي حاتم قوله فيه: ثقة حافظ متقن وعن أبي زرعة قوله: اجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد.

وما حكاه من أقوال الجرح لا تخدش الرجل ومنها ما حكاه عن وكيع قال فيه: هو عندي إمام فقيل له: أنه لا يترحم على عثمان فقال: أفترحم أنت على الحجاج؟!

أقول: وهذا روى الخطبة

(قال: حدثني رجلان من بني هاشم) لم يذكر اسميهما ولا يبعد أن يكونا هما عبدالله بن الحسن وزيد بن عليّ لأنه معاصر لهما وقد أخذ عنهما وهما ممن روى الخطبة عن آبائهما

(عن زينب بنت عليّ قالت: لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منع فذك وانصرف وكيلها عنها لاثت خمارها... الحديث).

(السند الخامس)

وهو يبدأ من الصفواني وقد تقدم ذكره في السند الرابع. قال:

(وحدثني محمد بن محمد بن يزيد مولى بني هاشم) لم أقف عليه في كتب رجالنا ويبدو أنّ ثمة تصحيف في اسم محمد فهو أحمد كما في شرح النهج كما في سند الجوهري لرواية الخطبة وهو روى الخطبة

(قال: حدثني عبدالله بن محمد بن سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن) وهذا السيد الشريف روى الحديث عن أبيه عن جدّه وتجد في خصال الصدوق^(١) ومعاني الأخبار له أيضاً^(٢) والأمالى أيضاً^(٣) وأمالى المفيد^(٤) بعض حديثه وهو ممن روى الخطبة (عن أبيه)

(عن عبدالله بن الحسن بن الحسن) وهذا هو الملقب بالمحضر شيخ الطالبيين في عصره ذكره الطوسي في أصحاب الإمام الباقر^(عليه السلام) وترضى عنه وهو روى الخطبة عن جماعة من أهله وأمه فاطمة بنت الحسين^(عليه السلام) ممن تروي الخطبة عن عمته زينب^(عليها السلام)، كما أنّ أبوه الحسن المثنى هو أيضاً يرويها عن أبيه الإمام الحسن السبط - وسيأتي مزيد بيان عن المحضر وأبيه.

(١) الخصال ٢: ١٧٣، ط الحيدرية.

(٢) معاني الأخبار ص ٣٥٤، ط الحيدرية.

(٣) الأمالى ص ١٤٣، ط الحيدرية.

(٤) المجلس الخامس.

(السند السادس)

وهو كسابقه يبدأ من الصفواني الذي تقدم ذكره في السند الرابع والخامس قال: (قال: وحدثني أبي) وهو أحمد بن عبدالله بن قضاة بن صفوان بن مهران الجمال وهو ثَمَن، روى الخطبة

(عن عثمان) وفي شرح النهج ابن عمران العجيفي ولم أقف على حاله في كتب رجالنا

(قال: حدثنا نايل بن نجيح) لم تذكره كتب رجالنا وهو مذكور في كتب رجال غيرنا فقد ذكره ابن حجر^(١) وحكى توثيقه عن أبي حاتم وعن ابن عدي وقال: ثقة كان أصحابنا يكتبون عنه ثم ذكر تجريحه بما لم يفسر والجرح غير المفسر غير مقبول وهذا ثَمَن روى الخطبة الكبيرة

(عن عمرو بن شمر) الجعفي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وحكى سيّدنا الاستاذ اعتماد الشيخ المفيد على رواياته^(٢). وهو ثَمَن روى الخطبة

(عن جابر الجعفي) هو ابن يزيد أبو عبدالله ثقة له أصل من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وثقه الشيخ المفيد (رحمته).

(١) تهذيب التهذيب ٨: ٤٧ ط دار الفكر.

(٢) معجم رجال الحديث ١٣: ٨٩٢٤.

وحكى ابن حجر عن سفيان قوله: ما رأيت أورع في الحديث منه^(١). وعن شعبة: جابر صدوق في الحديث وعنه أيضاً كان جابر إذا حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس ثم حكى ابن حجر أقوال الجارحين لأنّه كان يؤمن بالرجعة ولأنّه كان عنده أحاديث كثيرة منها في المهدي (عليه السلام) وبالتالي تشييعه؟!

وجابر هذا ممّن روى الخطبة
(عن أبي جعفر عن آبائه عليه السلام) وذكر الحديث.

(السند السابع)

ويبدأ كسوابقه من الصفواني. قال الصفواني: وحدثنا عبد الله بن الضحاك) وفي شرح النهج (محمد بن الضحاك) ولم أقف على حاله فعلاً وهو ممّن روى الخطبة (قال حدثنا هشام بن محمد) هو الكلبي المشهور بالفضل والعلم وكان يختص مذهبنا وكان أبو عبد الله - الصادق عليه السلام - يقرّبه ويدنيه ويبسطه وله كتب كثيرة كذا قاله النجاشي.

وله تراجم في مصادر التراث السنّي لا تخلو من تجريح وهو ممّن روى الخطبة: (عن أبيه) وهو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليه السلام) وقد روى الخطبة هو

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٤٧.

(وعوانة) وفي شرح النهج (عوانة بن الحكم وهو أبو الحكم الكوفي الضرير وصفوه بأنه كان عالماً بالأخبار والآثار ثقة وكان عثمانياً وكان يضع أخباراً لبني أمية وله كتاب (سير معاوية وبني أمية) وقد روى عنه هشام بن محمد الكلبي^(١).

(السند الثامن)

ويبدأ من الصفواني أيضاً وقد تقدّم ذكره مكرراً هكذا. (قال الصفواني: وحدّثنا ابن عائشة ببعضه) وابن عائشة هذا هو عبيدالله بن محمد بن حفص التيمي - نسبة إلى عائشة بنت طلحة إحدى جداته - وهي التي سيأتي ذكرها في الخطبة الثالثة - وقد وثقه ابن حجر في تقريب التهذيب وقال: رُمي بالقدر مات سنة ٢٢٨ هـ وجاء في سير أعلام النبلاء: أنّه روى عنه محمد بن زكريا الغلابي حديث فذكّ وهو رواه عن أبيه عن عمه^(٢).

(السند التاسع)

(وحدّثنا العباس بن بكار) هذا هو الضبي وله رواية في الفقيه^(٣) ولم يذكر في كتبنا عن حاله شيئاً. وهو روى الخطبة ، (قال: حدّثنا حرب بن ميمون) وحاله كسابقه عندنا وهو روى الخطبة (عن زيد بن عليّ عن

(١) معجم الأدباء ١٦: ١٢٤، ولسان الميزان لابن حجر ٦: ٢١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠: ٥٦٤ وأنظر شرح النهج أيضاً ١٦: ٢١٦.

(٣) الفقيه ٤: ٨٩٢.

آبائه عليه السلام قالوا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فذك
وانصراف عاملها لاثت خمارها ثم أقبلت في لمة من حفدتها ونساء
قومها... إلى آخر الخطبة. وبهذا انتهى الكلام عن أسانيد الطبري الإمامي
لروايته الخطبة الكبيرة

أسانيد الجوهري

أسانيد أبي بكر الجوهري المتوفى سنة ٣٢٣ في كتابه (السقيفة وفدك).
فقد روى الخطبة بثلاثة أسانيد توثيقاً لروايته وقد مرّت صورة النص فيها
سبق نقلها عن ابن أبي الحديد الذي قال في شرح النهج توثيقاً لما ينقله
(فيها ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا
من كتب الشيعة ورجالهم لأنّا مشرطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك
وجميع ما نورد في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز
الجوهري في السقيفة وفدك وما وقع من الاختلاف والإضطراب عقب
وفاة النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث كثير الأدب ثقة ورع
أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته) أمّا الأسانيد فهي كما يلي:

(السند الأول)

قال أبو بكر: فحدّثني محمّد بن زكريا - هذا هو الغلابي وقد مرّ ذكره
في أسانيد ابن جرير الإمامي عن الصفواني فراجع السند الرابع - قال:
حدّثني جعفر بن محمّد بن عمارة الكندي وساق السند بعين ما مرّ في

السند الرابع المشار إليه آنفاً عن الحسن بن صالح بن حي وإلى آخر ما قاله الحسن ثم قال الحسن: وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه) وقد مرّ تعريف رجاله.

(السند الثاني)

قال أبو بكر: وحدثني عثمان بن عمران العجيفي عن نائل بن نجيح عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام.

أقول: وهذا هو عين السند السادس من أسانيد ابن جرير الإمامي في دلائل الإمامة وقد رواه عن الصفواني عن أبيه عن عثمان إلى آخر السند وقد مرّ تعريف رجاله.

(السند الثالث)

قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد عن عبد الله بن محمد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن الحسن وهذا هو عين السند الخامس من أسانيد ابن جرير الإمامي في دلائل الإمامة وقد رواه عن الصفواني عن محمد بن محمد بن محمد بن يزيد مولى بني هاشم وهذا هو الذي روى عنه أبو بكر باسم أحمد بن محمد... وقد مرّ تعريف رجاله.

ثم قال أبو بكر: قالوا جميعاً: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فذلك...

إسناد ابن أبي طاهر في بلاغات النساء

لقد روى ابن أبي طاهر في كتاب بلاغات النساء فصلاً من الخطبة بأسانيد الخاصة وساق في ثوثيق روايته فقال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فذكّ وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع وأنّه من كلام أبي العيّن (الخبر منسوق البلاغة على الكلام).

فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيّن.

وقد حدّث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه.

ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة عليها السلام فينكرونه، وهم يروون من كلام عائشة عن موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام فيحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟ ثم ذكر الحديث قال: لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة بنت رسول الله ﷺ فذكّ وبلغ ذاك فاطمة عليها السلام لاثت خمارها على رأسها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم من مشية رسول الله ﷺ شيئاً حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وفتيت دونها مائة ثم أتت أنّه أجهش القوم لها بالبكاء وارتجّ المجلس فأمهلت حتى سكن

نشيج القوم وهدأت فورتهم فافتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ فعاد القوم في بكائهم فلما أمسكوا عادت في كلامها فقالت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١) ثم ساق الخطبة بهذا السند ثم قال:

حدثني جعفر بن محمد عن رجل من أهل ديار مصر لقيته بالرافقة قال: حدثني أبي قال: أخبرنا موسى بن عيسى قال: أخبرنا عبد الله بن يونس قال: أخبرنا جعفر الأحمر عن زيد بن علي عليه السلام عن عمته زينب بنت الحسين عليه السلام^(٢) قالت: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فذك لاثت خمارها وخرجت في حشدة من نسائها ولمة من قومها تجر أذراعها ما تحرم من مشية رسول الله ﷺ شيئاً حتى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار فأنت آتة أجهش لها القوم بالبكاء فلما سكنت فورتهم قالت:

أبدأ بحمد الله - ثم أسبلت بينها وبينهم سجفاً - ثم قالت: الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها (ثم ساق الخطبة إلى آخرها وهي أجمع مما في الرواية السابقة ثم قال:

(١) التوبة: ١٢٨.

(٢) هكذا في المصدر وهو وهم من الناسخ إذ لم يكن للحسين بنت اسمها زينب وإن زيد بن علي لم يدرك زينب بنت علي عليه السلام فالصحيح زيد بن علي عن أبيه عن زينب بنت علي عليه السلام.

قال أبو الفضل: وقد ذكر قوم إن أبا العيناء ادّعى هذا الكلام وقد رواه قوم وصحّحوه وكتبناه على ما فيه.

وحدّثني عبد الله بن أحمد العبدي^(١) عن الحسين بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة عليها السلام يا بنية رسول الله (إلى آخر ما مرّ نقله في صورة النص ثم قال): ابن أبي طاهر: وما وجدت هذا الحديث على التمام إلّا عند أبي هفّان .

أسانيد السيد المرتضى رحمته الله المتوفى سنة ٤٣٦ في كتابه (الشافي)

قال قدس سرّه: وقد روى أكثر الرواة الذين لا يتهمون بتشيع ولا عصبية فيه من كلامها عليها السلام في تلك الحال وبعد انصرافها يدلّ على ما ذكرناه.
(أخبرنا جماعة عن أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني)

(١) هذا هو أبو هفّان عبد الله بن أحمد بن حرب بن مهزم البصري النحوي الأديب الشاعر المشهور كذا ذكره شيخنا في الذريعة ١: ١٩٥ وحكى عن الشيخ النجاشي في رجاله: ١٥١ قائلاً بعد اسمه ونسبه: مشهور في أصحابنا وله شعر في المذهب وأبني مهزم بيت كبير بالبصرة في عبد القيس شيعتاً وذكر له كتاب شعر أبي طالب وأخباره وكتاب طبقات الشعراء وكتاب أشعار عبد القيس وأخبارها... ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٩: ٣٧٠ وقال:.... وكان له محل كبير في الأدب وترجمه ياقوت في معجم الأدباء ١٢: ٥٤ وقال: مات سنة ١٩٥ هـ أيّنها ذكر ابن حجر في لسان الميزان وفاته سنة ٢٥٧ وهو الصحيح وترجمه آخرون كالصفدي في الوافي وابن حجر في لسان الميزان وفي كتب رجالنا جماعة النجاشي والمجلسي والبحراني والمامقاني وسيدنا الأستاذ وغيرهم.

أقول: هذا من مشايخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ الذي هو استاد المرتضى وقد أكثر النقل عنه في الأمالي وكان يعدّ من محاسن الدنيا صادق اللهجة ثقة في الحديث واسع المعرفة مائلاً إلى التشيع كما في ترجمته عند ابن خلكان قال: وهو أول من جمع شعر يزيد بن معاوية؟ وله كتب كثيرة توفي سنة ٣٨٤ هـ وهو روى الخطبة^(١)

(قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب) ذكره ابن خلكان في ترجمة يحيى بن مندة وقال: سمع منه أبو طاهر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحيم الكاتب^(٢)... وإذا عرفنا أنّ ابن مندة هو - كما قال ابن خلكان - محدّث ابن محدّث ابن محدّث ابن محدّث ابن محدّث وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ثقة حافظاً فاضلاً مكثراً صدوقاً... فإذا عرفنا ابن مندة بها وصف لا نشك في أنّه لا يروي عمّن هبّ ودبّ بل يأخذ عمّن هو أهل للأخذ عنه ومنهم شيخه محمد بن أحمد الكاتب هذا وهو يروي الخطبة:

(١) ترجم للمرزباني كثيرون منهم كحالة في معجم المؤلفين ٩٧ / ١١ — ٩٨ وقال: كاتب أخباري، راوية للأدب كثير السماع... من تصانيفه الكثيرة... فذكر جملة منها، وأعقبها بقائمة بأسماء المصادر في ترجمة وكان منها هدية العارفين ٢ / ٥٤ ولدى مراجعته وجدت فيه ذكر ٤٧ كتاباً منها (كتاب الفصل في البيان والفصاحة) ولا يبعد أن تكون الخطبة فيه لقرب أسم الكتاب من بيان الخطبة، وربما كان كتابه الآخر المرشد في أخبار المتكلمين) لأنه قريب من موضوع الخطبة ومهما يكن اسم الكتاب فإن رواية الشريف المرتضى (قدس سره) عن جماعة عنه كافية في صحة الرواية.

(قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي) أبو جعفر المعروف بأبي عصيدة تولى تأديب المعتز وقال ابن النديم: كان مؤدب المنتصر أورد له الذهبي في ترجمة الأصمعي حديثاً منكراً وقال: أحمد بن عبيد ليس بعمدة إلا أن ابن عدي قال: هو عندي من أهل الصدق وروى أبو داود في المسند عن أحمد بن عبيد عن محمد بن سعد كلاماً فقيلاً هو هذا. (أقول) ولننظر ما هو ذلك الحديث المنكر؟

قال الذهبي في ترجمة الأصمعي: وقال الأزدي ضعيف الحديث وروى له أحمد بن عبيد بن ناصح عن الأصمعي عن ابن عون عن محمد بن أبي هريرة أن النبي ﷺ لما كَفَّنَ زُرَّ عليه قميصه وهذا حديث منكر وقد ثبت أنه ﷺ كَفَّنَ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص فأحمد بن عبدالله (كذا في طبعة الهند سنة ١٣٠٨ هـ) والصواب عبيد ليس بعمدة وقد روى الحسين الكوكبي عن أحمد بن عبيد قال: سئل أبو زيد الأنصاري عن أبي عبيدة والأصمعي فقال: كذابان وسئلا عنه فقال: ما شئت من عفاف وتقوى. وهذا يروي الخطبة

(قال: حدثنا الزبائدي) هو عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري توفي سنة ١٢٩ هـ ذكره ابن حجر^(١) وحكى عن ابن حبان ذكره له في الثقات وهو روى الخطبة

(١) تهذيب التهذيب ٥: ١٤٨.

(قال: حدثنا الشرقي بن القطامي) - كذا في الطبعة الحجرية والصواب الشرقي بن قطامي - ترجمه الخطيب^(١) وقال: كان عالماً بالنسب وافر الأدب ضم المنصور إليه المهدي فيأخذ من أدبه وترجمه الذهبي وحكى تضعيفه عن جماعة إلا أنه ختم ترجمته بما قاله الخطيب وقال: اسمه الوليد بن الحصين^(٢).

وروى الخطبة: (عن محمد بن إسحاق) وهذا من أوائل مدوني السيرة والتاريخ وعده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وترجمه ابن خلكان وقال: وكان ثبتاً في الحديث عند أكابر العلماء وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيهما... وقال سفيان بن عيينة: ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحاق في حديثه وقال شعبة بن الحجاج: محمد بن إسحاق أمير المؤمنين - يعني في الحديث - توفى ببغداد سنة ١٥١ هـ

وهذا روى الخطبة: (قال: حدثنا صالح بن كيسان) المدني ترجمه الذهبي وقال: أحد الثقات العلماء رمي بالقدر ولم يصح ذلك عنه^(٣).

وفي معجم رجال الحديث للسيد الأستاذ عده من أصحاب السجاد عليه السلام وأنه مجهول.

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٧٩.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٩٩ ط الهند.

(٣) ميزان الاعتدال .

وهذا روى الخطبة: (عن عروة) هو ابن الزبير بن العوام أثنى عليه مترجموه من العامة مع أنه معدود في المنحرفين عن أهل البيت عليه السلام وله مع ابن عباس ما ينبئ عن نُصبه وحدث عنه ابنه يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه وقال لي مرة: يا بني والله ما أحجم الناس عنه إلا طلباً للدنيا... قال يحيى: فكنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به ومن عيبه له وانحرافه عنه^(١) وحسبنا بهذا شاهداً من أهله فهو غير متهم في قوله كما أن أباه غير متهم في روايته الخطبة وتعد روايته توثيقاً لها لأنها في غير صالحه وهو يروها:

(عن عائشة) فهي إحدى أمهات المؤمنين وكانت رأس أحد الحزبين من نساء النبي ﷺ إذ كنّ حزبين كما في البخاري في كتابه الهبة عنها قالت: إن نساء رسول الله ﷺ كنّ حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ^(٢) ومن المعلوم أن تلكم البواقي هنّ: زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية.

(١) شرح النهج ٤: ١٠٢.

(٢) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك الزبيدي ١: ١٤٨ ط دار الكتب العربية

الكبرى بمصر سنة ١٢٣٥.

وكان يقال: لو كان أبناء أبي بكر كبناته لعزّ على عمر نيل الخلافة لأنّ عائشة صاحبة يوم الجمل وأسماء هي التي حضّت ابنها عبدالله بن الزبير على صدق القتال^(١).

فرواية عائشة للخطبة مع العلم بمواقفها المعروفة المتشنجة مع أهل البيت عليه السلام وخاصة مع عليّ وفاطمة عليهما السلام دليل صحّة الرواية من خلال هذه الرؤية خصوصاً والسند إلى روايتها ليس في رجاله من يتهم بالوضع عليها في هذا المقام.

هذا هو السند الأول الذي رواه المرزباني وله سند آخر وهو كما يلي:
قال المرزباني: وحدثني أبو بكر محمد بن أحمد المكي) هكذا ورد اسمه في النسخة الحجرية من مطبوعة الشافعي للشريف المرتضى (رحمته الله) ولكن ثمة تصحيح وقع فيه والصحيح هو: أحمد بن محمد المكي وهذا ترجمه الخطيب البغدادي فقال: (أحمد بن محمد بن عيسى بن خالد أبو بكر المعروف بالمكي كان ينزل بين السورين^(٢)...

وحدّث عن أبي العيّن محمد بن القاسم... وروى عنه... والمرزباني ثم حكى عن الدارقطني قوله فيه: لا بأس به مات سنة ٣٢٢.

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للتعاليبي: ٢٩٤.

(٢) تاريخ بغداد ٥: ٦٤.

وهذا روى الخطبة: (قال: حدثنا محمد بن القاسم اليمامي أبو العيناء) البصري وهذا هو الراوية الشهير الأديب الماهر من ظرفاء الأذكياء كان حاضر النكتة سريع الجواب توفي بالبصرة سنة ٢٨٢ وقيل غير ذلك ويبدو أن روايته للخطبة جلبت عليه تهمة الرفض حتى جرى له مع المتوكل في ذلك ما رواه ياقوت في ترجمة إبراهيم بن سعدان^(١)

قال: وحدث المرزباني عن الصولي عن أبي العيناء قال: قال لي المتوكل: بلغني أنك رافضي فقلت: يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة ومنشئي مسجد جامعها وأستاذي الأصمعي وجيراني باهلة؟

وليس يخلو الناس من طلب دين أو دنيا فإن أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم من آخروا وتأخير من قدّموا وإن أرادوا دنياً فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين لا دين إلاّ بك ولا دنيا إلاّ معك أبوك مستنزل الغيث^(٢) وفي يديك خزائن الأرض وأنا مولاك.

فقال: إنّ ابن سعدان زعم ذلك فيك فقلت: ومن ابن سعدان؟ والله ما يفرّق ذلك بين الإمام والمأموم والتابع والمتبوع إنّما ذلك حامل درة ومعلّم صبية وأخذ على كتاب الله أجره.

فقال: لا تفعل لأنّه مؤدّب المؤيد.

(١) معجم الأدباء ١: ١٥٣ ط دار المأمون.

(٢) يشير إلى استسقاء عمر بالعباس عام الرمادة وهو سنة ١٧ من الهجرة.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنّه لم يؤدّبه حسبة وإنّما أدّبه بأجرة فإذا أعطيته حقّه فقد قضيت ذمامه .

فقام ابن سعدان فقال: يا أبا العيناء لا والله ما صدق أمير المؤمنين في شيء ممّا حكاه عنيّ ثم أقبل على المتوكل فقال: أيّ شيء أسهل عليك يا أمير المؤمنين من أن ينقضني مجلسك على ما تحبّ ثم يخرج هذا فتقطعني قال: فضحك المتوكل.

وقد روى الخبر الصفدي في الوافي بالوفيات أيضاً.

وهذا الخبر وإن ذكره من ذكره في سياق سرعة جواب أبي العيناء وجرأته وهو كذلك إلّا أنّه ينمّ عن أنّ المتوكل الذي كان يقتل الناس بتهمة الرفض ولا يبعد أنّه قد بلغه عن أبي العيناء ما يشمّ منه رائحة الرفض لروايته الخطبة مثلاً ومهما يكن فإنّ أبا العيناء روى الخطبة:

(قال: حدّثنا ابن عائشة) هو عبيدالله بن محمّد بن حفص التيمي نسبة إلى عائشة بنت طلحة وهي من جدّاته وثقه ابن حجر في التقريب جداً وقال: ورمي بالقدر ولم يثبت وهذا كان من أهل البصرة فقدم بغداد وحدّث بها ثم عاد إلى البصرة وكان أديباً عارفاً بأيام الناس مات سنة ٢٢٨ أو ٢٨٢ قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقبلت فاطمة عليها في لمة من حفدتها ونسائها...

أقول: لما كان الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي ذكر الخطبة بنفس ما تقدّم من سند الشافي فلا حاجة إلى إعادة ذكر أسانيد.

تعقيب على التكذيب:

قال الشريف المرتضى رحمته الله: وأخبرنا جماعة عن أبي عبيد الله بن المرزباني قال: حدّثني عليّ بن هارون قال: حدّثني عبد الله بن أحمد بن أبي طاهر عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين زيد (بن عليّ بن الحسين بن زيد) بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إيّاها فدك وقلت: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه موضوع وأنّه من كلام أبي العيّن لأنّ الكلام منسوق البلاغة فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم.

وقد حدّثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيّن وقد حدّث به الحسين بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه.

ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة عليها السلام فينكرونه وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة عليها السلام فيحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه.

أقول: فالآن إلى معرفة من ورد ذكرهم في كلام أبي الحسين زيد وهم:
الحسين بن علوان: وهذا هو الكلبي عامي ثقة ذكره الطوسي في
الفهرست وقال له كتاب وصحح سيّدنا الأستاذ طريق الشيخ إليه^(١).

(عن عطية العوفي) هو عطية بن سعد بن صفادة العوفي الكوفي خرج
مع ابن الأشعث فكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي: ادع عطية
فإن سبّ عليّ بن أبي طالب وآلًا فاضربه أربعمئة سوط واحلق رأسه
ولحيته فاستدعاه فأبى أن يسبّ فامضى حكم الحجاج فيه ثم خرج إلى
خراسان فلم يزل بها حتى ولي عمر بن هبيرة العراق فقدمها فلم يزل بها
إلى أن توفي سنة ١١١ أو ١٢٧ هـ^(٢) وقد روى الخطبة عن عبد الله بن
الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أبو محمد تابعي من أهل
المدينة أمه فاطمة بنت الحسين بن عليّ عليه السلام كان من العباد وله شرف
وعارضة وهيبة توفي في حبس المنصور بالهاشمية سنة ١٤٥ هـ قبل مقتل
ابنه محمد النفس الزكية بأشهر^(٣).

وقد روى الخطبة عن أبيه: الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام
ويعرف بالحسن المثني قال المفيد: أنّه كان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً ولم
يدرك زمان الصادق عليه السلام كان يلي صدقات أمير المؤمنين عليه السلام وقد زوجه

(١) معجم رجال الحديث ٦: الرقم ٣٥٠٠.

(٢) ترجمه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧: ٢٢٤ — ٢٢٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ١٨٦.

عمه الحسين ابنته فاطمة عليها السلام وقد خرج معه إلى الطف فجرح وأرثت بجراحته فانتزعه أسماء بن خارجة من بين الأسرى فقال عمر بن سعد (لَعَنَ اللَّهُ) دعوا لأبي حسان ابن أخته ومضى الحسن ولم يدع الإمامة ولا ادّعاها له مدّع وردت ترجمته في كثير من المصادر منها مقاتل الطالبين وعمدة الطالب وغيرهما.

وقد روى الخطبة عن أبيه الإمام الحسن السبط الزكي سلام الله عليه.

وقفة صارخة للسيد ابن طاووس رحمته الله عند الخطبة

روى السيد ابن طاووس رحمته الله في كتابه الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف الخطبة بإسناد خاص من العامة ولم يرد ذكره من قبل فنحن نذكره وله تعقيب عليه لا يخلو من محاكمة صارخة نفتت بها حمية ذلك العلوي قال رحمته الله ^(١): ومن طرائف ما روه في حضورها بنفسها عند أبي بكر وتألّمها وطلبها لحقّها ما ذكره الشيخ أسعد بن سفروه في كتاب الفائق عن الأربعين عن الشيخ المعظم عندهم الحافظ الثقة بينهم أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصفهاني في كتابه المناقب قال: أخبرنا إسحاق بن عبدالله بن إبراهيم قال: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال: حدثنا الزيّادي محمد بن زياد قال: حدثنا شرقي بن قطامي عن صالح بن

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ١: ٣٧٩ ط الحَيّام في قم سنة ١٣٩٩ هـ.

كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: لما بلغ فاطمة أن أبا بكر قد أظهر منعها فذك لائت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء من قومها تطأ ذيوها ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة فجلست ثم آتت أنه أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس ثم أمهلت هنيئة حتى سكنت فورتهم افتتحت كلامها بحمد الله وأثنت عليه ثم قالت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون آباءكم وأنا ابنته دون نساءكم وأخوه ابن عمي دون رجالكم فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم وساق الخطبة إلى قوله: ثم انكفأت إلى قبر أبيها ﷺ فقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبشة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
 إنا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد
 ثم قال السيد: وفي بعض الروايات المشار إليه زيادة هذه ألفاظها:

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(١) وقال فيما اقتص من خبر يحيى وزكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ

رَضِيًّا^(١) وقال: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)^(٢)
 وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ)^(٣) ثم عطف على
 قبر أبيها وبكت وتمثلت بقول صفية بنت أثالة وقيل: أناثة:

وكان جبريل بالآيات	فقد فقدت وكل الخير
وكنت بدرأً ونوراً يستضاء	عليك تنزل من ذي
تجهمتنا رجال واستخفّ	لما فقدت وكل الإرث
أبدت رجال لنا فحوى	لما مضيت وحالت
إنّا رزئنا بما لم يرز ذو شجن	من البرية لا عجم ولا
وسوف نبكيك ما عشنا	منّا العيون بتهمال لها

(قال عبد الحمود) - وهو الاسم الذي اختاره السيد لنفسه يومئذٍ
 لظروفه الخاصة فكنتى عن نفسه بذلك فقال: أنظر رحمك الله وفكر فيما قد
 روه عن رجالهم وثقاتهم من هذا التألم العظيم من فاطمة عليها السلام وما تقدّم
 من روايتهم له في صحاحهم من هجرانها لأبي بكر ستة أشهر حتى ماتت
 فهل ترى هذا حديث من كان عندها شبهة في أنهم ظلموها عمداً
 وقصداً؟ وهل ترى هذا الكلام منها كلام من قد قبلت لهم عذراً؟

وهل ترى هذا حديث من لا يعرف صحّة دعواها وثبوت حجتها؟

(١) مريم: ٤ - ٦.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) النساء: ١١.

وهل كان يحسن أن يسمع مثل هذا الكلام منها وتمنع مما طلبت أو
العوض عنه؟

ولو كانت قد وفدت بهذا الكلام والاسترحام على أعظم ملوك الكفار
أما كان تشهد العقول أنه كان يرفع شأنها ويشرف مقامها ويحسن
جائزتها؟

أفيليق بمسلم أن يكون جواب هذا الكلام منعها وسوء معاملتها
وتهوين حضورها وخطابها والقساوة عليها وترك التلطف بها على كل
حال؟ ما يقولون لو أن محمدًا عليه السلام أبأها رآها وهي تبكي وتقول مثل هذا
الكلام؟ أكان يغضب لغضبها كما رووه في صحاحهم؟ أو كان يرضى
عنهم؟

إنما تشهد العقول أنه كان يشق عليه غضبها ويهجرهم بهجرانها
ويستعظم إقدامهم على تكذيبهم لها وظلمها وكسرها وإسقاط منزلتها
فاختر لنفسك أيها المشفق على نفسه هل توافق رسول الله عليه السلام في ذلك
ويكون لك فيه أسوة حسنة؟ أو تكون في زمرة من أغضبها وأغضبه؟

(أقول) ولكلامه هذا بقية نافعة تحسن مراجعتها لمن شاء المزيد من
كلامه المفيد.

توثيق إسناد ابن طاووس رحمته الله

لقد مرّ بنا أنّ السيد روى الخطبة عن الشيخ أسعد بن سقروة نقلاً عن كتابه الفائق. فروايته وجادة على مصطلح أهل الدراية حيث هو صريح نقله من كتاب الفائق فمن هذا الشيخ؟ وأين كتابه؟
قال شيخنا الحجة الرازي رحمته الله (١):

(الفائق على الأربعين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام أو كتاب الفائق لأبي السعادات أسعد بن عبد القاهر بن سفرويه الاصفهاني (٢) قال السيد ابن طاووس في الطرائف: إنّ فيه نصوص صريحة من النبي صلى الله عليه وآله بالخلافة عليّ ومناقب جليّة رأيت نسخته بالخزانة (الغروية) في مشهد عليّ عليه السلام وأبو السعادات هذا من مشايخ ابن طاووس يروي في سنة ٦٣٥ هـ.

وجاء في رياض العلماء (٣): الشيخ أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الاصفهاني أبو السعادات كان عالماً فاضلاً محققاً له كتب منها كتاب رشح الولاء في شرح الدعاء وكتاب توجيه السؤالات في حل الإشكالات وكتاب جامع الدلائل ومجمع الفضائل وغير ذلك.

يروي عنه عليّ بن موسى بن طاووس وقرأ عنده المحقق نصير الدين الطوسي وميثم بن عليّ البحراني.

(١) الذريعة ١٦: ٩٠ ط دانشگاه طهران سنة ١٣٨٨ هـ.

(٢) كما في بعض النسخ ولعلّه سقروة وهو اسم جده أو لقبه.

(٣) رياض العلماء ١: ٨١.

أقول - والقائل هو صاحب الرياض - قال السيد ابن طاووس في كتاب اليقين في اثبات حديث ينقله عن كتاب تفسير محمد بن ماهيار ما هذا لفظه وهذا الكتاب أرويه بعدة طرق منها عن الشيخ الفاضل أسعد بن عبد القاهر المعروف جده بسفرويه الاصفهاني حدثني بذلك لما ورد إلى بغداد في صفر سنة ٦٣٥ بداري بالجانب الغربي من بغداد التي أنعم بها علينا الخليفة المستنصر...

فهذا روى الخطبة وكتابه الفائق نقلاً عن رواية الحافظ ابن مردويه في كتابه المناقب فمن هو ابن مردويه وما هو كتابه؟

أما ابن مردويه فهو (الحافظ المجود العلامة محدث أصبهان كان من فرسان الحديث فهما يقظاً متقناً كثير الحديث جداً ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ) هكذا قال عنه الذهبي^(١) وحكى عن أبي بكر الذكواني الأصبهاني قوله: (هو أكبر من أن ندلّ عليه وعلى فضله وعمله وسيره وأشهر بالكثرة والثقة من أن يوصف حديثه).

وأما عن كتابه المناقب فهو كما عرّفه السيد ابن طاووس في كتابه الطرائف: (ولقد تصفحت شيئاً يسيراً من كتاب أبي بكر بن مردويه - وهو من أعيان المذاهب الأربعة - فوجدت فيه / ١٨٢) منقبة رواها عن النبي ﷺ في علي بن أبي طالب عليه السلام... ثم ظفرت بأصل لكتاب المناقب لابن مردويه فوجدت ثلاثة - كذا - مجلدات وهي عندي).

(١) سير أعلام النبلاء ١٧: ٣٠٨.

أسانيد الخطبة الصغيرة

(أولاً)

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: وحدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا محمد بن عبدالرحمن المهلب عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله ﷺ الوجع وثقلت في علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: كيف أصبحت يا ابنة رسول الله ﷺ ؟

قالت: والله أصبحت عائفة لديناكم قالية لرجالكم... الخ^(١).

نظرة إلى رجال السند:

لقد روى أبو بكر الجوهري هذه الخطبة عن محمد بن زكريا الغلابي وقد تقدم ذكره وحاله في أول أسانيد الجوهري والغلابي روى هذه الخطبة

قال: حدثنا محمد بن عبدالرحمن المهلب

وهو عن عبد الله بن حماد بن سليمان

عن أبيه

(١) كتاب السقيفة بتوسط شرح النهج للمعتزلي ١٦: .

عن عبدالله بن الحسن بن الحسين عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام ...
ونجد في ثاني السنين رواية المؤلف منه إلى محمد بن زكريا الغلابي قد
مرّ ذكرهم في السند الرابع من أسانيد الخطبة الكبيرة والغلابي روى هذه
الخطبة عن محمد بن عبد الرحمن المهلبى إلى آخر ما مرّ في سند الجوهرى
فراجع.

(ثانياً) سند دلائل الإمامة

(أ) قال - محمد بن جرير مؤلف الكتاب - : حدّثني أبو الفضل محمد
بن عبدالله قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال:
حدّثني محمد بن الفضل بن إبراهيم بن الفضل بن قيس الأشعري قال:
حدّثنا عليّ بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبدالله جعفر
بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن جده عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: لما رجعت فاطمة
إلى منزلها فتشكت وكان وفاتها في هذه المرضة دخل إليها النساء
المهاجرات والأنصاريات فقلن لها... الخ.

(ب) قال (المؤلف) وحدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد بن جعفر
الباقرحي قال حدّثني أم الفضل خديجة بنت أبي بكر محمد بن أحمد بن
أبي الثلج قالت: حدّثنا أبو عبدالله محمد بن أحمد الصفواني قال: حدّثنا أبو
أحمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودى قال: حدّثني محمد بن زكريا قال:

حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلب قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان المدائني قال: حدثني أبي عن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين قالت: لما اشتدت علة فاطمة عليها السلام اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها...

ونظرة عابرة على رجال إسنادي ابن جرير الإمامي لرواية هذه الخطبة الصغيرة نجد في أولهما رواية المؤلف عن المفضل محمد بن عبد الله وهذا هو الشيباني وقد تقدم ذكره في السند الأول لرواية الخطبة الكبيرة وهو قد روى هذه الخطبة عن الحافظ ابن عقدة وهذا أيضاً تقدم ذكره هناك. وقد روى ابن عقدة هذه الخطبة عن محمد بن المفضل بن إبراهيم وهذا مرّ ذكره في السند الثاني من أسانيد الخطبة الكبيرة وهو روى هذه الخطبة الصغيرة عن علي بن حسان عن عمه وقد مرّ حالهما معاً أيضاً في السند الثاني من أسانيد الخطبة الكبيرة فراجع.

المحور الرابع: روعة الأسلوب

لقد نشأتُ في بيئة علمية وأنا طالب علم في مدينتي النجف الأشرف التي هي مثنوى باب مدينة علم النبي ﷺ فأسمعُ فيها الشعر والنثر في شتى مناسبات الأفراح والأتراح بل وحتى المناسبات الخاصة ببعض الأعلام فكان الخطباء والشعراء لهم من أفانين الكلام في تشنيف الأسماع، بأساليب الفصاحة والبلاغة شعراً ونثراً فكان ذلك الجو العلمي الأدبي مدعاة لتعلّم شيءٍ من تلك الروائع، ويستظهر السامع بعضها عند الشاهد والمثل وكان (لنهج البلاغة) الأطروحة الخالدة القدح المعلّى في الاستحواذ على المشاعر، فضلاً عن روائع الشعر العربي بدءاً من المعلقات ومروراً بأشعار الكميت والسيد الحميري ودعبل وأبي فراس وكذلك المتنبي وأبي تمام والمعري والبحري والرضي والمرتضى ومهيار إلى عشرات أمثالهم وانتهاءً بشعراء القرن الرابع عشر الهجري من المحدثين فإنّ سماع أشعارهم يولّد عند السامع نشوة يخيل إليه أن أشعارهم وهي مستوحى، لأنه يشدّ القارئ مع السامع شداً يستحوذ على المشاعر، في نفوذ المعاني إلى النفس مع جزالة لفظ وقوة معنى.

وبطبيعة الحال كان النثر في مرتبة الشعر إن لم يكن بعض الخطب والرسائل تفوقه في قوة التأثير خصوصاً ذلك الذي تأثر بأي القرآن

الكريم في أسلوبه وقوة حجته وغرر حكمه ودرر كلمه وذكّرت فيما ذكرت آنفاً مثلاً (نهج البلاغة) والآن أعود إلى ذكر نمط آخر في روعة الجلال اسلوباً وحجّةً وبياناً هو ما ورد عن السيّد الصديقة الزهراء عليها السلام خصوصاً في خطبتها الكبيرة التي لا تزال رغم تمادي السنين الطويلة على إنشائها، تنفض عنها غبار السنين حين تلاوتها وتجلجل في الأسماع بصوت صاحبها سيدة النساء بتلك النبرات الحزينة وهي تخطب في مجتمع الصحابة في مسجد أبيها عليه السلام وكذلك خطبتها الصغيرة في بيتها على مسامع نساء المهاجرين والأنصار.

ففي كلتا الخطبتين وحتى كلامها مع عائشة بنت طلحة التي رأتها تبكي عليها السلام فسألها عن سبب بكائها، فانفجرت عن ذلك بيان لا يقصر عما في الخطبتين فصاحة وبلاغة فهي في جميع ذلك كانت هي بضعة رسول الله عليه السلام الذي أوتى جوامع الكلم وهو أفصح من نطق بالضاد فكأنها تفرغ عن لسان أبيها عليه السلام، وهي بعد حليّة وصيّ رسول الله عليه السلام الذي ما سنّ الفصاحة لقريش إلا هو كما شهد بذلك عدوّه اللدود معاوية بن أبي سفيان في حديثه مع محض بن أبي محض^(١).

فلا عجب ولا بدع أن امتازت الخطب الفاطمية في روعة الأسلوب وجلال المعنى وفصاحة البيان ولا عجب ولا بدع لو شكك المغرضون في خصوص الخطبة الفاطمية (الكبرى).

(١) شرح نهج البلاغة ج ١/ ٢٤ ط محققة.

ألم يقولوا في نهج البلاغة ما قالوا؟ ويعجبني إطلاع القارئ على بعض ما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) في دفع معرة المكذّبين بصحة نسبة ما في النهج إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال بعد كلام له في الذود عن النهج (لأن كثيراً من أرباب الهوى يقولون: إن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح وركبوا بينات الطريق ضلّالاً وقلة معرفة بأساليب الكلام وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط فأقول:

لا يخلو إمّا أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه والأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدثون كلّهم أو جلّهم والمؤرّخون كثيراً منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك. والثاني يدلّ على ما قلناه لأنّ من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفاً من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب لابدّ أن يفرّق بين الكلام الركيك والفصيح وبين الفصيح والأفصح وبين الأصيل والمولّد وإذا وقف على كراس واحد يتضمّن كلام لجماعة من الخطباء أو لاثنتين منهم فقط فلا بدّ أن يفرّق بين الكلامين ويميّز بين الطريقتين.

(١) في شرح نهج البلاغة ١٢: ٥٤٦ ط مصر الأولى .

ألا ترى أننا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام ونفسه وطريقته ومذهبه في القريض .

ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه في الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبي نؤاس شيئاً كثيراً لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ولا من شعره . وكذلك غيرهما من الشعراء ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً ونفساً واحداً وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقي الآيات والسور ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحولاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأنه متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ﷺ أبداً وساغ لطاعن أن يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب وغير ذلك وكل أمر جعله هذا

الطاعن مستنداً له فيما يرويه عن النبي ﷺ والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء فلناصري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستعد إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح.

وعودة إلى روعة الأسلوب في خطبة الصديقة الزهراء عليها السلام فقد قال الكاتب الإربلي وهو شيعي (إنها من محاسن الخطب وبدايعها عليها مسحة من نور النبوة وفيها عقبة من أرج الرسالة وقد أوردها المؤلف والمخالف).

هذا نموذج واحد لكاتب يحتل مكانة عالية في الأدب كما قال مترجموه بأنه كان كاتباً وشاعراً وعالمًا عاش بعد صدور الخطب قرابة سبعة قرون فسجل انطباعه عنها وهو شيعي، ولو طوينا سبعة قرون أخرى سنجد في القرن الرابع عشر الهجري كاتباً آخر يحتل مكانة رفيعة أيضاً في الأدب وهو عباس محمود العقاد صاحب المجموعة الكاملة في سبعة مجلدات ضمت العبقريات وغيرها وهو سني فماذا قال عن خطبة الزهراء عليها السلام^(١) فقد افتتح الكلام في (بلاغتها) فقال:

قال الإمام أبو الفضل أحمد بن (أبي) طاهر في كتاب بلاغات النساء (... لما أجمع أبو بكر...) فساق الخطبة وهي تتضمن الفصل الثاني من

(١) فاطمة الزهراء ٣: ٤٦ موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية — شخصيات إسلامية. ط دار الكتاب العربي، بيروت.

الخطبة الكبيرة ثم قال: هذه رواية لخطاب الزهراء^(١) وفي الكتاب نفسه رواية أخرى مخالفة في لفظها ومعناها للرواية السابقة^(٢) وقبل إيراد الروایتين قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم كلام فاطمة^(٣) وقلت له إن هؤلاء - يشير إلى قوم في زمانه يغضّون من قدر آل البيت - يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيّناء، فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم، وقد حدثني أبي عن جدي يبلغ به فاطمة عليها السلام على هذه الحكاية ورواه مشايخ الشيعة وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جد أبي العيّناء وقد حدّث به الحسن^(٤) بن علوان عن عطية العوفي أنّه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه.

ثم قال أبو الحسين: وكيف يذكر هذا من كلام فاطمة فينكرونه وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة يتحققونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟

(١) كما في ص ٤٨.

(٢) لقد وهم العقاد في هذا فليست الرواية الأخرى مخالفة في لفظها ومعناها للرواية السابقة بل هي تمة للرواية السابقة رواها صاحب كتاب بلاغات النساء بسند آخر.

(٣) الصواب (الحسين) كما في الشافي للمرتضى النسخة المطبوعة الحجرية والطبعة الحديثة وكذلك في شرح النهج لابن أبي الحديد نقلاً عنه.

ثم ذكر العقاد بعض الأبيات الشعرية المنسوبة إلى السيِّدة فاطمة عليها السلام وعقَّب على ذلك بقوله^(١):

نقول: إنّ الخلاف في أمر هذه الخطب وهذا الشعر كثير ولا نحب أن نخوض فيه لأنّه خلاف على غير طائل وقد يحسمه أن نذكر في هذا الباب ما يقلّ فيه الخلاف بين جميع النقاد فإنّه أجدى من اللهو في جدال لا سند له يسلمه جميع المخالفين.

فيقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ ذلك الخطاب ليس ممّا يبدر من اللسان عفواً خاطر وأنّ قائله يعدّه في نفسه قبل القائه كما كان يصنع الخطباء قبل استخدام الكتابة في التحضير.

ويقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ سامع هذا الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإن حفظه فإنّها يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه.

فإذا قلّ الخلاف في هذا فعلاّم إذن يكثر الخلاف؟

أترأه يكثر حين يقال إنّ السيِّدة فاطمة تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل لها وتعدّها في خلدّها؟

إنّ هذا النصيب من البلاغة إذا استكثر على السيِّدة فاطمة فما من أحد في عصرها لا يستكثر عليه.

(١) كما في ص ٥٠.

لقد نشأت وهي تسمع كلام أبيها أبلغ البلغاء وانتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه وشائئه. وسمعت القرآن يرتل في الصلوات وفي سائر الأوقات وتحادث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيها وحديثها وكلامها ومنهم من لا يحاييها ولا ينطق في أمرها عن هوى.

جاء في الجزء الثالث من العقد الفريد عن (الرياشي عن عثمان بن عمرو عن إسرائيل بن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: (ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ يدها فقبلها ورحب بها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده وقبلتها فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه فأسر إليها فبكت ثم أسر إليها فضحكت.

فقلت: كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء فإذا هي واحدة منهنّ بينما هي تبكي إذا هي تضحك فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها فقالت: أسر إلي فأخبرني أنه ميت فبكيت ثم أسر إليّ أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت^(١).

(١) العقد الفريد ٣: ٢٣٠ تح أحمد أمين ورفيقه.

وما قالته السيِّدة عائشة عن المشابهة بين الزهراء وأبيها قيل على ألسنة
الثقات جميعاً ويزاد عليه في حديث السيِّدة عائشة أنّ امرأة في فضلها
واعترازها بنفسه كانت ترى للزهراء فضلاً على سائر النساء في حلمها
ورصانتها فقيم يكثر الخلاف على مثل ذلك النصيب من البلاغة إذا
نُسب إليها؟

ولماذا تُستعظم على من نشأت سامعة لحديث محمّد مطبوعة على
مشابهته في حديثه؟

ولماذا تستعظم على زوجة الإمام الذي كان المتفقون على بلاغته أكثر من
المتفقين على شجاعته وهي مضرب الأمثال؟

ولماذا تُستعظم على سامعة القرآن الكريم بالليل والنهار مع الذكاء
واللبّ الراجح؟

هذا ما قاله العقّاد، وسيأتي منا ما يتعلق به في الخاتمة.

المحور الخامس: قوّة الحجة

مادام الإنسان في تقويم شخصيته يخضع لعوامل الوراثة والتعليم والمحيط وفاطمة الزهراء عليها السلام وإن كانت هي سيّدة النساء فهي إنسانة وبنت أشرف إنسان فأبوها سيّد المرسلين وخاتم النبيين عليه السلام وأمها خديجة الكبرى أفضل أمهات المؤمنين بل وإحدى النساء الأربع اللواتي فضلهنّ ربّ العالمين فعن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد)^(١).

وغني عن البيان، تعريف هكذا إنسان من حيث الوراثة بعد أن قال عليه السلام: (إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم)^(٢).

وقوله عليه السلام وقد بلغه بعض ما يقوله البعض فصعد المنبر فقال: من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله فقال: (أنا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب إنّ الله خلق الخلق وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة وخلق القبائل

(١) خرّجه أبو عمر عن ذخائر العقبى: ٤٤.

(٢) ذخائر العقبى: ١٠.

فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وأنا خيركم نفساً) وفي رواية : (فأنا خيار من خيار من خيار)^(١).

وقال عليه السلام : (نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد)^(٢).

أما عن التعليم فمن نافلة القول الحديث في ذلك بعد أن نعرف بأن تربيته كانت في حجر الأبوين الكريمين خاتم الأنبياء وخديجة أم المؤمنين سيّدة النساء. والعناية بها بلغت مبلغاً جعلتها أم أبيها في قوّة شخصيتها وفي منزلتها عنده يعرب عنها قوله عليه السلام : بضعة منّي ولما كان هو عليه السلام أفصح من نطق بالضاد فماذا ترى مبلغ ما تعلمته منه السيّدة فاطمة الزهراء التي شابهته في جملة خصاله حتى في مشيتها فكانت ما تحرم مشيتها مشية أبيها كما مرّت الإشارة إلى ذلك في حديث عائشة.

وأما عن المحيط فالبينة التي نشأت فيها كانت هي بيئة الإسلام ومن بيتها منطلقه ومعلوم مدى تأثير بيئته عليها بدءاً من ولادتها وحتى وفاتها فكانت لها الخصائص الفاطمية التي تميزت بها عن بقية لداتها وأخواتها حتى كانت أقرب الناس إلى رسول الله عليه السلام سماً.

وقد سئلت عائشة أم المؤمنين عن ذلك فقيل لها أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله عليه السلام ؟ قالت: فاطمة فقيل من الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمت صوماً قواماً^(٣).

(١) نفس المصدر. ١٠

(٢) نفس المصدر: ١٧.

وعن عائشة أيضاً قالت: كنا أزواج النبي ﷺ عنده لم تغادر منهم واحدة فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطى مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحّب بها فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارّها...^(٣).

وعن عائشة أيضاً قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله ﷺ في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قالت: وكانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها^(٣).

وعن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها ﷺ^(٤).

(١) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريباً وخبره ابن عبيد وزاد بعد قوله: قواماً جديراً بقول الحق أنظر نفس المصدر: ٣٥.

(٢) نفس المصدر: ٣٩.

(٣) نفس المصدر: ٤٠.

(٤) أخرجه أبو عمر نفس المصدر: ٤٤.

الخاتمة

مع العقّاد والنقاد

لقد ذكر العقّاد في كتابه (فاطمة والفاطيّون) في بلاغتها فصلاً من الخطبة الكبيرة نقله عن (الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه (بلاغات النساء) ثم ذكر فصلاً آخر هو من نفس الخطبة بعينها إلا أنّه بسند آخر لابن أبي طاهر فظنّه العقّاد رواية أخرى لخطبة ثانية فوهم في عدّ الروایتين بالسندین خطبتين منفصلتين لتغاير إسنادهما ولو أنّه تنبّه إلى ما في أوّل الروایتين من قول الراوي في الرواية الأولى:

(لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مَنَعِ فَاطِمَةَ... فَدَكَ: لَأَثَ خَمَارَهَا عَلَى رَأْسِهَا وَأَقْبَلَتْ فِي لَمَّةٍ مِنْ حَفْدَتِهَا تَطَأُ ذِيولَهَا مَا تَحْرِمُ مِنْ مَشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئاً...).

وقول الراوي في الرواية الثانية:

(لَمَّا بَلَغَ فَاطِمَةُ ^{عَلَيْهَا السَّلَامُ} إِجْمَاعَ أَبِي بَكْرٍ عَلَى مَنَعِهَا فَدَكَ لَأَثَ خَمَارَهَا وَخَرَجَتْ فِي حَشْدَةِ نِسَائِهَا وَلَمَّةٍ مِنْ قَوْمِهَا تَجَرُّ أَدْرَاعَهَا مَا تَحْرِمُ مَشْيَهَا مِنْ مَشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...).

أقول: لو أنّه تنبّه إلى ذلك لعرف من الديباجة أنّ الروایتين هما لخطبة واحدة تفاوت الرواة في نقل بعض ألفاظها ويكفي ملاحظة جملة (لأث خمّارها وأقبلت في لمة...) فيها معاً حتى سمّيت الخطبة بخطبة اللمة وقد مرّ التنبيه على ذلك في محلّه كما مرّ نقل ما عقّب به على الخطبة في دفع

الإشكالية الجدلية حول صحتها وحاول إثباتها عن طريق نفي الاستبعاد من خلال بلاغتها في روعة الأسلوب وقوة الحجة ولكنه مع ذلك أستبعد أن تكون الخطبة بنت ساعتها وساحتها وجرت على لسان صاحبها بعفو الخاطر وبرّر ذلك بقوله:

(فيقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ ذلك الخطاب ليس ممّا ييدر من اللسان عفو الخاطر وأنّ قائله يعدّ في نفسه قبل القائه... كما كان يصنع الخطباء قبل استخدام الكتابة في التحضير ويقلّ الخلاف ولا شك حين نذكر أنّ سامع هذا الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإنّ حفظه فإنّما يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه فإذا قلّ الخلاف في هذا فعلاً إذن يكثر الخلاف؟) ثم أطنب في التبرير فقال:

(أترأه يكثر حين يقال إنّ السيّد فاطمة تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها وتعدّها في خلدّها؟ إنّ هذا النصيب من البلاغة إذا استكثر على السيّد فاطمة فما من أحد في عصرها لا يستكثر عليه.

لقد نشأت وهي تسمع كلام أبيها وهو أبلغ البلغاء وانتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه وشائبيه وسمعت القرآن يرتل في الصلوات وفي سائر الأوقات وتحدّث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيها وحديثها وكلامها ومنهم من لا يحايبها ولا ينطق في أمرها عن هوى).

ثم ذكر خبراً ورد في العقد الفريد عن عائشة (قالت: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه أخذ يدها فقبلها ورحّب بها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده وقبلتها...).

وما قالته السيدة عائشة عن المشابهة بين الزهراء وأبيها قيل على السنة الثقات جميعاً ويزاد عليه في حديث السيّدّة عائشة أنّ امرأة في فضلها واعتزازها بنفسها كانت ترى للزهراء فضلاً على سائر النساء في حلمها وورصاتها.

فقيم يكثر الخلاف على مثل ذلك النصيب من البلاغة إذا نسب إليها؟ ولماذا تُستعظم على من نشأت سامعة لحديث محمد مطبوعة على مشابته في حديثه؟

ولماذا تُستعظم على زوجة الإمام الذي كان المتفقون على بلاغته أكثر من المتفقين على شجاعته وهي مضرب الأمثال؟

ولماذا تُستعظم على سامعة القرآن الكريم بالليل والنهار مع الذكاء واللبّ الراجح؟

بهذا أنهى العقاد كلامه في دفع الجدل حول بلاغة خطبة الصديقة الزهراء (عليها السلام).

وهذا يكون قد قارب وسدّد وهذا يكون مقبولاً منه من حيث وجهة نظره في شخصيّة الصديقة وحسب منظوره الاجتماعي الخاص بالنسبة إليها فهي سيدة النساء وهي بضعة النبي ﷺ وهي التي كان أبوها يحبها ويحلّها وهي التي قالت عنها عائشة كذا وكذا وهي كذلك وفوق ذلك.

لكنّ العقّد في المقام كمن حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء إذ فاته أنّها كانت معصومة في أقوالها وأفعالها من خلال المنظور الديني وقد دلّ على ذلك حديث (فاطمة بضعة مني...) وهذا الحديث الصحيح الوارد في الصحاح وغيرها أناط من طرف جلي وليس بخفي معرفة البضعة بمعرفة أبيها ﷺ فكما كان هو سيد الأنبياء كانت هي سيدة النساء فمن استوعب مقام النبي ﷺ الرسالي أدرك مقام الصديقة من خلال تلك المعرفة حيث ميّزها أبوها عن سائر نساء العالمين فقال عنها (سيدة نساء العالمين) وهو لم يميّزها عن هوى ولا قال (فاطمة بضعة مني) عن عاطفة مجرّدة عن إحياء لآله ﷺ كما وصفه القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(١) إذن كما لا غرابة في أنّها ﷺ قد شابهت أباه ﷺ في بعض صفاته من مشية وحديث كذلك لا غرابة أيضاً في أنّها شاركته في بعض خصائصه وفضائله منذ بدء الخلقة وقبل أن يخلق الله الخلق فكانت أحد الأشباح الخمسة الذين كانوا أنواراً

(١) النجم: ٣ — ٥.

محدثين بعرش الله تعالى^(١) وذلك من فضل الله تعالى عليهم إذ منحهم من الكمال والجمال ما سموا به إلى معارج القُرب من ذي الجلال، ونوّه بفضلهم في عدة آيات من الذكر الحكيم أنزلها في القرآن العظيم تتلى إلى يوم القيامة كآية التطهير من الرجس وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢) وآية المودة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣)

وآية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٤).

وفاطمة الزهراء عليها السلام هي أحد هؤلاء الذين خصّهم الله تعالى بمزيد من فضله لم يعطه أحداً من العالمين فهي وأبوها وبعلمها وبنوها كانوا أصحاب الكساء وهم أصحاب آية المودة وهم أصحاب آية المباهلة ثم هم أصحاب سورة هل أتى^(٥) وفيهم أنزل الله قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ

(١) راجع في كتابي (عليّ إمام البررة ١: ١١٥ — ١١٧) أحاديث سلمان وأبي ذر وابن عباس وقد رواها أيضاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وابنه عليّ بن الحسين عليه السلام وآخرون كثيرون من التابعين والحفاظ أراجع حديث النور في ج ٥ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ستدهش من كثرة رواته حتى قبل بتواتره.

(٢) الأحزاب: ٣٣، عليّ إمام البررة ١: ٣٧١.

(٣) الشورى: ٢٣ أو شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ١٣٤.

(٤) آل عمران: ٦١، أنظر كتاب عليّ إمام البررة ١: ٤٢٥.

(٥) أنظر أسد الغابة ٥: ٥٣٠ أو شواهد التنزيل ٢: ٢٩٩ أو مناقب ابن المغازلي: ٢٧٢.

النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(١) وهي صاحبة البيت الذي نوّه به أبوها بأنّه من أفاضل البيوت التي «إِذَنْ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَتُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ - إلى قوله - وَالْأَصَالِ» فقد روى أنس بن مالك وبريدة قالا: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقام رجل إليه وقال: أيّ بيوت هي يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها - يعني بيت عليّ وفاطمة - ؟ فقال: نعم من أفاضلها^(٢). إلى غير ذلك من أيّ الذكر الحكيم التي نوّهت بفضيلهم وتفضيلهم حتى قال مادحهم:

ولولا هم لم يخلق الله آدمًا ولا كان زيد في الوجود ولا عمرو^(٣)

وما أحسب أنّ العقّاد في المعية ولودعّيته وهو الأديب الأريب لم يقرأ ما قاله شيخ المعرة في خلق هؤلاء الخمسة الأشباح قبل خلق الخلق حين قال مادحاً أبا إبراهيم العلوي:

وعلى الدهر من دماء الشهداء عليّ ونجله شاهدان
فهما في أواخر الليل فجران وفي أولياته شفقان
يابن مستعرض الصفوف بيدر ومبيد الجموع من
أحد الخمسة الذين هم الأغراض في كل منطق والمعاني

(١) راجع مناقب ابن المغازلي المالكي: ٢٦٦ والآية في سورة النساء: ٥٤.

(٢) شواهد التنزيل: ١: ٤١٠ وتفسير الثعلبي في تفسير الآية ٣٦ من سورة النور الدر المنثور ٦: ٢٠٣ وأرواح

المعاني ١٨: ١٧٤.

(٣) شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ٦٠ - ٦١.

(٤) راجع كتاب عليّ إمام البررة ١: ٥٧ - ٦٢.

والشخص الذى خلق ضياءً قبل خلق المَريخ والميزان
قبل أن تخلق السماوات أو تبدأ أفلاكهنّ فى الدوران^(١)

ولعلّ العقّاد قرأ ما قاله فيلسوف المعرة ولم يستسغه لأنّه لم يستمرئ
طعم الإيمان على حقيقته الذى يزكو بروح مادحهم فيقول:

بأبى خمسة هم جُنّبوا الرّجس وطهروا تطهيراً
أحمد المصطفى وفاطمة ثم عليّاً وشبراً وشبيراً
من تولّاهم تولاه ذو العرش ولقاه نضرة وسرورا
وعلى مبغضهم لعنة الله وأصلاهم المليك سعيرا

وإنّ القلم ليتعثر واللسان ليعبى حين يعرض لتلك الشخص
بالتعريف بعد ما ورد فيهم من ذي الجلال وواهب الكمال أسمى آيات
التشريف فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢) وما بعد قول الحقّ إلّا الضلال وليقلّ العقّاد في
طرحه ما شاء ما دام يقرأ التاريخ من وراء نظارته السوداء.

وليتني أراه ما يقول ويكتب إذا ما قرأ ما جاء في آخر أوراق ملحقة
بكتاب (شوق العروس وأنس النفوس) للحسين بن محمد الدامغانى
المتوفى سنة ٤٧٨هـ، ونسخته في المكتبة الظاهرية بدمشق (في ١٥٥ ورقة
برقم ٧٨٤٣) فقد ورد في ورقة منها (ذكر وفاة فاطمة) ومما جاء فيها ذكر

(١) سقط الزند.

(٢) الأحزاب: ٣٣، عليّ إمام البررة ١: ٣٧١.

وداع الحسين لأُمّهما فاطمة عليها السلام عند وفاتها وبكائها وسماع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام النداء من العليّ بأن ينحّيهما عنها، لأن الملائكة أنتحبت لبكائهما.

وهذا ما ورد في بعض الكتب أن ذلك كان بعد الوفاة، وبعد الغسل وقبل عقد الكفن.

ومهما كان أمر الوقت في ذلك، فإنه لم يعهد ولم يسمع أن ذلك جرى لغير فاطمة عليها السلام، وأن الملائكة انتحبت لبكاء الحسين على أمّهما فهل يؤمن العقاد بذلك؟ وهو الذي لا يرى فاطمة عليها السلام في منظوره الخاص إلاّ أن تعدّ الخطاب لما يدور في خلدها.

ونعود إلى خلل طرحه في رفع الخلاف من خلال المنظور التاريخي، فنقول: أنّه يتلخص في النقاط التالية:

١ - إنّ الخطاب ليس ممّا يبدر على اللسان عفو الخاطر وأنّ قائله يعدّ في نفسه قبل القائه.

٢ - إنّ سامع الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإنّ حفظه إنّما يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه.

٣ - إنّ الزهراء لا يستكثر عليها أن تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها وتعدّها في خلدها.

وذكر فيها يراه الأسباب التالية:

أ - إنها نشأت وهي تسمع كلام أبيها وهو أبلغ البلغاء.

ب - وانتقلت إلى بيت زوجها فعاشت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه وشائئه.

ج - وسمعت القرآن يرتل في الصلوات وفي سائر الأوقات.

د - وتحدث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيها وحديثها وكلامها وفيهم من لا يحاييها ولا ينطق في أمرها عن هوى.

أقول: وهذه النقطة بالذات مسوقة فيما أرى للاستشهاد بحديث السيدة عائشة وهي المعنية بالوصف (من لا يحاييها ولا ينطق في أمرها عن هوى) ولو أنه قال من لا يحبها بدل من لا يحاييها لكان أصدق تعبيراً في المقال وتصوير الحال والشواهد على ذلك موجودة حتى في المصادر التي يعتمدونها من تراث أهله وحسبنا شاهداً واحداً في المقام:

فقد روى الحافظ المحب الطبري:

(عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله مالك إذا قبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلحقها عسلاً فقال ﷺ: إنه لما أسري بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاعاً فأكلتها فصارت نطفة في

ظهري فلما نزلت واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة كلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبّلتها^(١).

قال المحب الطبري: خرّجه أبو سعد في شرف النبوة.

(وعن ابن عباس رضي الله عنه) قال: كان النبي ﷺ يكثر القبل لفاطمة فقالت له عائشة: إنك تكثر تقبيل فاطمة؟ فقال ﷺ: إن جبريل ليلة أسري بي أدخلني الجنة فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبني فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت لتلك الثمار قبّلت فاطمة^(٢).

(وعن عائشة رضي الله عنها) أن النبي ﷺ قبل يوماً نحر فاطمة فقلت له: يا رسول الله فعلت شيئاً لم تفعله؟ فقال: يا عائشة إذا اشتقت إلى الجنة قبّلت نحر فاطمة^(٣). هذه الحال التي روتها عائشة وبهذه اللغة الجافة التي خاطبت بها النبي ﷺ (مالك إذا قبّلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلاً) أوليس ذلك ممّا ينبئ عن غيرة مختزنة في صدرها، ومحزنة لها في أمرها وإذا لم يكن كذلك فيماذا يفسّر العقاد ومن على شاكلته قول عائشة (إنك تكثر تقبيل فاطمة) وقولها الآخر: (فعلت شيئاً لم تفعله؟) فلماذا هذه المسألة منها وحدها دون باقي نسائه؟ وماذا

(١) ذخائر العقبى: ٣٦ ط القدسي بمصر.

(٢) خرّجه أبو الفضل بن خيرون.

(٣) خرّجه الملا في سيرته.

كان يضيرها تقبيل النبي ﷺ لابنته؟ لكنها الغيرة التي حدثت بها هي عن نفسها فقالت:

(ما غرت على امرأة من نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإن لم أدركها قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت: فأغضبته يوماً فقلت خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبّها^(١) وقولها الآخر: (ما غرت للنبي على امرأة من نسائه ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رايتها قط)^(٢)).

وما قولها الثالث بدون ذلك (... فقالت عائشة: وكنت أحسدها لكثرة ذكره لها فقلت: يا رسول الله لا تزال تذكر خديجة كأن لم يكن على ظهر الأرض غيرها فقال: قومي عني فقامت إلى ناحية منه في البيت...) ^(٣).

فمن كانت تغار من امرأة قد ماتت فلم تشاظرها في قِسَم الليالي وتحسدها لأن زوجها يحن إليها بوفائه، حتى لم تطق أن تراه يذكر صديقات زوجته وهن نساء أجنيات لا يزاكنها في حال ولا مال فهل تطيب نفساً حين ترى النبي ﷺ يقبل ابنته تلك التي تغار منها أشد الغيرة وتحسدها أشد الحسد؟ فهي لا تحبها لما يحتمل في نفسها من غيرة

(١) صحيح مسلم ٧: ١٣٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) الاستيعاب ٤: ٢٧٨ — ٢٧٩.

على أمها وإن فلت على لسانها أحياناً بعض ما يشعر بيقظة ضمير فهو
ممارسة وليس محابة.

والآن عودة إلى النقاط التي مرّت بتلخيص من طرح العقاد فنقول:
(أولاً) قال : (إنّ الخطاب ليس ممّا يبدر على اللسان عفو الخاطر وإنّ
قائله يعد في نفسه قبل إلقائه...) لست أدري كيف قال العقاد ذلك وهو
في جامعته الثقافية لا يخفى عليه تفاوت الناس في الفهم وتميّز بعضهم
على بعض في المواهب من قوّة الذكاء وحدّته والذاكرة النادرة وفيهم من
تدقق لديه المعاني والمباني وتنساب الكلمات كعذب السلسال مع
فصاحة بيان وقوّة جنان فيقول مرتجلاً ما يبلغ به حاجته دون عيّ أو
إحصار أو تلكؤ أو تلعثم ينحدر كالسيل وهذا ما لا يسع العقاد إنكاره
لكثرة شواهد التي زخرت بها أصول الأدب والتاريخ... ولا أخاله لم ير
بينها حديث الصبّية العامرية التي لم تتعد دور الحداثة في سنّها وتميّزت
بقوّة بدايتها ودقة فطنتها واستحضارها الشواهد الشعرية على إثبات
مرامها والإزدراء بمحاورها. وملخص خبرها: أنّ رجلاً من بني تميم
حلّ ضيفاً على امرأة من بني عامر فأكرمت مثواه وأحسنّت قراه ولما همّ
بالرحيل قال متمثلاً شعراً يهجوها به:

لعمرك ما تبلى سراويل عامر من اللؤم ما دامت عليها

فقال لجاريتها قولي له: ألم تحسن إليك وتفعل وتفعل هل رأيت تقصيراً؟ قال: لا، قالت: فما حملك على البيت؟ قال: جرى على لساني فخرجت إليه جارية من بعض الأخبية فحدثته حتى أنس واطمأن ثم قالت له ممن أنت يا ابن عم؟ قال: رجل من بني تميم قالت: أتعرف الذي يقول:

تميم بطرق اللؤم أهدى من	ولو سلكت سُبُل المكارم ضلّت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى	خلال المخازي عن تميم تجلّت
ولو أنّ برغوثاً على ظهر قملة	يكرّ على صفيّ تميم لولّت
ولو جمعت يوماً تميم جموعها	على زمرة مربوطة لاستقلت
تميم كجحش السوء يرضع أمه	ويتبعها بالرغم إن هي ولّت
ذبحنا فسمّينا على ما ذبحنا	وما ذبحت يوماً تميم فسمّت

قال: والله ما أنا من تميم قالت: ما أقبح الكذب بأهله فممن أنت؟ قال: رجل من بني ضبة قالت: أفتعرف الذي يقول:

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعب	كما كل ضبيّ من اللؤم أزرق
قال: لا والله ما أنا من بني ضبة	قالت: فممن؟ قال: من بني عجل

قالت: أفتعرف القائل:

أرى الناس يعطون الجزيل وإنّما	عطاء بني عجل ثلاث وأربع
إذا مات عجلي بأرض فإنّما	يخط له فيها ذراع وأصبع

وعلى هذا المنوال والحال استمرت المحاوره فهي تسأله ممّن أنت؟ فيقول من بني فلان فتأتي بشاهد من الشعر في ذم القبيلة التي يذكرها حتى ساق أكثر من ثلاثين قبيلة والصبيه تقرأ له الشعر في ذمها فيتسبب إلى قبيلة أخرى إلى أن أعجز فقال لها: أنا رجل من الشيطان الرجيم قالت: فعليك لعنة الله وعلى الشيطان الرجيم أفتعرف الذي يقول:

ألا يا عباد الله هذا عدوكم وذا ابن عدو الله إبليس خاسئاً
قال: الله الله أقيليني العثرة فوالله ما ابتليت بمثلك قط^(١).

فلنسأل العقّاد هل كانت الصبيّة العامرية قد أعدّت لذلك الموقف عدّته من قبل؟ ولندع خبرها فربّما يراه العقّاد خبراً مصنوعاً ولنسأله فيما كتبه هو في (عبرية الصديق) في (ثقافته) حيث قال: ثقافته في زمانه هي ثقافة الفقيه الأديب المؤرخ بما اصطّلحوا عليه من معنى التاريخ في ذلك الزمان... ولكن النسب الذي كان يعلمه الصديق كان هو النسب المحيط بالمحامد والمثالب في القبائل العربية كافة... لما خرج النبي ﷺ ليعرض نفسه على القبائل في أوّل الدعوة الإسلامية كان معه أبو بكر وعلي بن أبي طالب أسبق الناس إلى الإسلام.

قال عليّ عليه السلام: (فرفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وكان مقدّماً في كل خير وكان رجلاً نسابه فقال: ممّن القوم؟ قالوا من ربيعة قال: وأي ربيعة أنتم؟ أمن هاماتها أم من لهازمها؟ قالوا: من

(١) طبقات الشافعية ١: ١٤٢ — ١٤٦ ط الحسينية بمصر.

هاماتها العظمى. قال: وأيّ هاماتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر قال: فمنكم عوف بن محلم الذي يقال فيه: (لا حرّ بوادي عوف)؟ قالوا: لا قال: فمنكم المزدلف الحرّ صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو القرين ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالب أنفسها؟ قالوا: لا قال: فمنكم أصهار الملوك من كندة؟ قالوا: لا قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا قال أبو بكر: فلستم ذهل الأكبر إنّما أنتم ذهل الأصغر).

هذا ما ذكره العقّاد في قصة أبي بكر مع الذهليين وهو قد أساء إلى أبي بكر حين ذكر له هذا الشاهد على ثقافته ومعرفته بالأنساب بينما حذف بقية المحاوراة والتي فيها يبدو غصّ بذكرها لأنّها أنهت المحاوراة بهزيمة أبي بكر فاجتذب زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ﷺ منهزماً من محاوراة دغفل النسابة^(١). وليس يعني أمر انهمازه من محاوره دغفل لأنّه ابتلي بطامة فوق طامة فهو كما قال عن نفسه (وإنّ البلاء موكل بالمنطق) وهو أول من قال هذه الكلمة كما ستأتي لكن الذي ينبغي التنبيه عليه أنّ

(١) دغفل بن حنظلة الشيباني نسبة العرباً مختلف في صحبته ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ٢: ١٣٢ وذكر أنّ معاوية دعاه وسأله عن العربية وعن أنساب العرب وعن النجوم فإذا عالم فقال: يا دغفل من أين حفظت هذا؟ قال: حفظته بقلب عقول ولسان سوول وإنّ آفة العلم النسيان... أقول: وهذه الكلمة بلفظها وردت في ترجمة عبدالله بن عباس وهي به أشبه ولعلّ دغفل سمعها منه فأخذها عنه.

العقّاد اعتمد في سياقه على رواية أنّ عليّاً قال عن أبي بكر: (وكان مقدّماً في كل خير وكان رجلاً نّسابة) وهذا الدس الرخيص لم يرد في جملة من مصادر الواقعة فراجع مصادرها وهي كثيرة.

فالمحاورة بكاملها مرويّة في جملة من مصادر السيرة والأدب لعلّ أقدمها كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة ٢٩١ والكتاب مطبوع محققاً بمصر في سلسلة ترائثا سنة ١٣٨٠ هـ وقد خلا من جملة (وكان مقدّماً في كل خير) وكذلك في كتاب الثقات^(١) لابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ لم ترد الجملة، ولا في شرح الأخبار^(٢) للقاضي النعمان المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ ولا في مجمع الأمثال^(٣) للميداني المتوفى سنة ٥١٨ ولا في دلائل النبوة للبيهقي برواية ابن حجر في الإصابة في ترجمة دغفل وإن وردت في المطبوع من الدلائل ممّا ينمّ عن دسّ رخيص جرى في الكتاب كما لم ترد في الفائق للزخشي (ت ٥٣٨)^(٤) ولا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦)^(٥). ففي جميع هذه المصادر لم ترد جملة (وكان مقدّماً في كل خير) فمن ياترى كان هو الدسّاس الذي يوسوس في صدور الناس دسّها ليقع الإلتباس.

(١) الثقات ١: ٣٣ ط العلمية بيروت.

(٢) شرح الأخبار ٢: ٣٨٤.

(٣) مجمع الأمثال ١٧: ١٨.

(٤) الفائق ٣: ٤٩٣ تح إبراهيم والبجاوي.

(٥) شرح نهج البلاغة ٤: ١٣٦.

ثم أنّ في معجم الطبراني^(١) ومجمع الزوائد^(٢) محاورة مختصرة بين أبي بكر ودغفل النسابة أيضاً لعلّها من جملة المحاورة السابقة فراجع.

وإذا صحّ ما ذكره العقّاد من قول عليّ في أبي بكر في روايته فلماذا تأخر عليّ عن بيعته وندّد بخلافته وبقي كذلك حتى يوم خطبته وقد طفح الأسى بذلك في شقشقته؟ إنّها من أعاجيب الأكاذيب.

والى القارئ بقية المحاورة نقلاً عن مجمع الأمثال للميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ في شرح المثل: إنّ البلاء موكل بالمنطق، فقد جاء فيه بعدما قال أبو بكر: إنّما أنتم ذهل الأصغر فقام إليه غلام قد بقل وجهه يقال له دغفل فقال:

إنّ على سائلنا أن نسأله والعيب لا تعرفه أو تحمله

يا هذا إنّك سألتنا فلم نكتمك شيئاً ، فممن الرجل أنت؟ قال: رجل من قريش قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أيّ قريش أنت؟ قال: من تيم بن مرة قال: أمكنت والله الرامي من صفاء الثغرة.

أفمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى بها؟ قال: لا. قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف؟ قال: لا.

(١) المعجم للطبراني ٦: ٦٢.

(٢) مجمع الزوائد ٦: ٢١١ باب في يوم ذي قار.

قال: أفمنكم شبيهة الحمد مطعم طير السماء الذي كأن في وجهه قمراً
يضيئ ليل الظلام الداجي؟ قال: لا.

قال: أفمن المضيفين بالناس أنت؟ قال: لا.

قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الرفادة أنت؟
قال: لا قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا.

قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا قال: واجتذب زمام ناقته فرجع
إلى رسول الله ﷺ فقال دغفل: صادف درء السبل درءاً بصدعه أما والله
لو ثبت لأخبرت أنك من زمعات قريش أو ما أنا بدغفل؟ قال: فتبسم
رسول الله ﷺ.

قال عليّ: قلت لأبي بكر: لقد وقعت من الأعرابي على باقعة قال: أجل
إن لكل طامة طامة وإنّ البلاء موكل بالمنطق^(١).

فهذه التتمة كشفت عن مبلغ ثقافة أبي بكر كما أنّ حذفها كشف عن
مبلغ أمانة العقّاد في روايته، ومهما يكن أمر المحاورّة في الكشف فإنّها
تكشف عن قدرة على البيان وقوة استحضر لدى المتحاورين، وقد
بدرت منهما عفو الخاطر على اللسان فزعم العقّاد أنّ الزهراء عليها السلام في
خطبتها لا يستكثر عليها أنّ تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها
وتعدّها في خلدّها زعم موهوم فقد أتيت بشاهدين على أنّ في الناس من

(١) مجمع الأمثال: ١٧ — ١٨ طبع عبدالرحمن محمّد بالمطبعة البهية سنة ١٣٤٢ هـ.

وهبهم الله تعالى من الذكاء والفطنة وفصاحة اللسان ما يبهر العقول!
فكيف بالزهراء عليها السلام التي هي فوق من ذكرت ولا قياس.

وحسبي في المقام أن أشير إلى ما أثارته تلك الخطبة من زوبعة اهتزت لها
ضماير الأنصار فاعتذروا إليها فما قبلت لهم عذراً وكيف يرجون منها
القبول وهي تصرخ بهم وبالمهاجرين وبرأس الحكم حين تقول:

(أيها المسلمون أغلب على إرثي؟ يابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث
أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئاً فرياً) أنها صرخة ألم من قلب موجوع
ونداء تفزع وخطاب تقريع هزت به الزمان والمكان فبقيت القرون
ترويه وزبر التاريخ تحكيه أي خطاب أبلغ في التقريع من
قولها عليها السلام: (أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم
إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(١) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن
زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٢)
وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٣)، وقال:

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٤ - ٦.

(٣) الأنفال: ٧٥.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(١) وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

إنّما آيات المواريث التي بسطت الزهراء عليها السلام من خلالها الدعوى فأدلت بعرض الأدلة، وخلصت إلى الإدانة فأفحمت رأس السلطة وعجز عن مناقشة الدلالة ففزع إلى ما رواه من خبر نحن معاشر الأنبياء الذي لم يروه غيره وبه تمسك الإشياع والأتباع في تخصيص الكتاب في آيات المواريث بذلك الخبر الكاذب ولكنها عليها السلام أبطلت زعمه بحجتها الدامغة حين خاطبته ومن معه بقولها: (وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا! أفخصكم الله بآية أخرج أبي عليه السلام منها؟ أم تقولون أنا أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي).

وفي هذا المقطع من الخطبة دلالة على سبق مراجعات حول الخطوة - النحلة - ثم الميراث وقولها (وزعمتم) يدل على سبق الزعم ففندته ووبّختهم على زعمهم وأنذرتهم بسوء العاقبة وعقوبة الآخرة وخصّت رأس الحكم فقالت عليها السلام: (فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون من

(١) النساء: ١١.

(٢) البقرة: ١٨٠.

يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مقيم) وهكذا أنهت خطابها مع أبي بكر ومن معه من المهاجرين والتفتت إلى الأنصار فأوسعتهم عتاباً، - وربّ عتاب أقسى من عقاب - ومهما يكن فلست بصدد استعراض الخطبة بفصولها الرائعة وفصاحتها البارعة ولكن كلام العقّاد جرّي من حيث لا أريد إلى هذا، خصوصاً بعد أن مرّت برواياتها المتعددة من مصادرها المختلفة وليس في واحدة من تلك الروايات ما يشير إلى أنّ الزهراء عليها السلام تلكأت في بيانها أو تلجلجت في لسانها ممّا يستبعد طرح العقّاد في سابق التحضير وإن صحّ ذلك ففي غير أهل البيت عليهم السلام .

وحسبي في المقام أن أذكر بعض الشواهد تكون تصحيحاً له ولغيره ممّن لم يستمرئ طعم الإيمان بمقام أهل البيت عليهم السلام على حقيقته وما عرفه هو وغيره عنهم ما كان إلّا عن طريق الموروث وقد عفّن لما عراه من تشويش.

والشاهد الذي أردت ذكره ما زال حيّاً وغيّاً جديداً - كلما أخلق الزمان تجدد - وذلك هو خطب السيّدة زينب الكبرى والصدّيقة الصغرى عليهما السلام بطلّة كربلاء كما تحلو تسميتها لابنة الشاطئ ولا ريب في أنّ العقّاد سمع بها وقرأ كتابها فهي قريبة منه عصراً ومصرّاً ولا أخاله لم يقرأ ما كتبه بنت الشاطئ عن السيّدة زينب عليها السلام فقد ذكر المؤرخون للسيّدة عدة خطب ارتجالية فرضتها عليها الظروف القاسية المحيطة بها وعلى حين غفلة ممّا سيفاجؤها به القدر في هذا الموقف أو ذاك حتى يقال

إنّما أعدّت واستعدّت وهذا ممّا رواه الرواة من رجال التّراثين السّنيّ والشيعي فلا مجال معه لطرح العقاد كما مرّ في خطبة أمّها بأنّها عن سابق إعداد لما يدور في خلدها فإلى القارئ تلك الخطب الزينية وهنّ ثلاث خطب ارتجالية في ثلاثة مواقف كل له رهبته فيما يزه عن غيره.

(الخطبة الأولى) في الكوفة وقد استقبلتها وسبايا أهل البيت عليهم السلام جموع أهل الكوفة رجالاً ونساءً وهم ييكون فأومأت إليهم أن اسكتوا قال الراوي: ولم أر خفرةً والله أنطق منها كأنّها تنطق وتفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام وقد أومأت إلى الناس وهم ييكون على الحسين عليه السلام أن اسكتوا فلمّا سكنت فورتهم فخمدت الأنفاس وسكنت الأجراس وابتدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيّه صلى الله عليه وآله قائلة:

(الحمد لله والصلاة على أبي محمّد وآله الطيبين الأخيار أمّا بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر أتبيكون فلا رقأت الدمعة ولا هذأت الرنة إنّما مثلكم كمثّل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً تتخذون أيّمانكم دخلاً بينكم ألا وهل فيكم إلّا الصلف والنطف والعُجب والكذب والشف وملتق الأباء وغمر الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كقصّة على ملحودة ألا بشّس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتبيكون وتنتحبون؟! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترخصوها بغسل بعدها أبداً وآتى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة

ومدره حجتكم ومنار محبتكم وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم وسيّد
شباب أهل الجنة ألا ساء ما تزرون.

فتعساً لكم وبُعداً لكم وسُحقاً فلقد خاب السعي وتبّت الأيدي
وخسرت الصفقة وبؤتم بغضبٍ من الله ورسوله وضُربت عليكم
الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟ وأيّ كريمة له
أبرزتم؟ وأيّ دم له سفكتكم؟ وأيّ حرمة له انتهكتكم؟ لقد جئتم شيئاً إداً
تكاد السموات يتفطرنّ منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً.

ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض وملء السماء أفعجتكم أن
مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون فلا
يستخفّنكم المهل فإنّه لا يحفزّه البدار ولا يخاف فوت الثار وإنّ ربّكم
لبالمرصاد^(١). ثم ولّت عنهم قال الراوي: فرأيت الناس حيارى وقد ردّوا
أيديهم إلى أفواههم ورأيت شيخاً كبيراً من بني جُعفي وقد اخضلت
لحيته من دموع عينيه وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عُدّ نسل لا يبور ولا يخزي^(٢)

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم تجد مصادر الخطبة وأراجع نثر الدر للوزير الآبي ٤: ١٩ ط دار الكتب
العلمية بيروت.

(٢) نثر الدر الآبي ٤: ٢٠ — ٢١ والأمثال للمفضل الضبي.

وفي رواية الاحتجاج: فقال لها الإمام السجاد عليه السلام أسكتي يا عمة فأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة فهمة غير مفهّمة^(١).

فهذه الخطبة هي التي جعلت سامعها مبهوراً فقال: كأنّها تفرغ عن لسان أبيها فهل كانت عن سابق تحضير؟ أو ليس هي ممّا فاض به الجنان فابتدره اللسان بفصيح البيان وقد تضمّنت من النكات البديعة والحجج القوية من استعارة وتشبيه واستشهاد بالآيات وما لنا والوقوف طويلاً عند هذه الخطبة الزينية وأماننا محاورة أخرى لدتها في الفصاحة والبلاغة أخرجت الخصم المتجبر فلم يطق الرد عليها حين مرّغت أنفه بأوحوال العار والشنار حتى هم - لفشله في مقارعة الحجة بالحجة - بضربها.

فلنقرأ ما رواه أبو الفضل في بلاغات النساء - وهو المصدر الذي اعتمده العقّاد - وقد رواه غيره كالطبري^(٢) وابن الأثير^(٣) والخوارزمي^(٤) والمبرّد^(٥) وكلّهم من أعلام السنّة فضلاً عن أعلام الشيعة كالمفيد في الإرشاد والطبرسي في إعلام الوري وابن طاووس في اللهوف وغيرهم كثير وألفاظهم متقاربة قالوا .. واللفظ للطبري قال: فلما دُخل برأس

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١٦٦ ط النجف.

(٢) تاريخ الطبري .

(٣) الكامل في التاريخ.

(٤) مقتل الحسين.

(٥) الكامل للمبرّد ٣: ١٤٥ ط مصر سنة ١٣٤٧ هـ.

الحسين وصبيانہ وأخواتہ ونسائہ علی عبيدالله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكرت وحفّ بها إماؤها فلما دخلت جلست فقال عبيدالله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه فقال: ذلك ثلاثاً كل ذلك لا تكلمه فقال بعض إماءها: هذه زينب ابنة فاطمة فقال لها عبيدالله: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوشتكم فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطهرنا تطهيرا لا كما تقول أنت إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر. قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

قالت: كُتِبَ عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتحاصمون عنده (وفي اللهوف: فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمك يابن مرجانة).

قال الطبري وغيره: فغضب ابن زياد واستشاط من كلامها وهمّ بها، فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير إنّها هي امرأة وهل تؤاخذ بشيء من منطقتها إنّها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطئ. فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك.

قال: فبكت ثم قالت: لعمرى لقد قتلت كهلي وأبرت أهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

فقال لها عبيدالله: هذه سجاعة قد لعمرى كان أبوك شاعراً سجعاً
قالت: ما للمرأة والسجاعة إنّ لي عن السجاعة لشغلا ولكن نفثى ما
أقول.

ولا نعقب في المقام بأكثر ممّا قاله المبرد: إنّ ابن زياد قال في عقب مقتل
الحسين بن عليّ عليه السلام لزَيْنَب بنت عليّ (رحمها الله تعالى) وكانت أَسَنّ من
حُمَل إليه منهمّ وقد كلّمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة
حاجتها فقال لها: إن تكوني بلغيّ من الحجة حاجتك فقد كان أبوك
خطيباً شاعراً فقالت: ما للنساء والشعر.

فإنّ زَيْنَب كلمت ابن زياد فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة
حاجتها فهل يرى العقاد أيضاً كان منها عن ترو وتحضر جاء من قبل؟
ودع عنك هذا كلّه فليس بشيء إذا ما قيس بخطبتها في مجلس يزيد
بالشام وإليك حديثها نقلاً عن بلاغات النساء^(١) لأبن أبي طاهر - وهو
مصدر اعتمده العقاد كما أشرنا آنفاً - فعنه وعن نثر الدرّ للوزير الآبي^(٢)
واللفظ للأوّل منهما:

قيل: لما قتل الحسين عليه السلام ووجّه ابن زياد عليه السلام رأسه والنسوة إلى
يزيد عليه السلام أمر برأس الحسين عليه السلام فأبرز في طست وجعل ينكت ثناياه
بقضيب وينشد:

(١) بلاغات النساء: ٢٥.

(٢) نثر الدر ٤: ١٧.

ليت أشياخي ببدر شهدوا الأبيات..

فقال: زينب بنت علي عليها السلام: صدق الله ورسوله يا يزيد ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ آسَأُوا السُّوءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١) أظننت يا يزيد أنه حين أخذت علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما يُساق الأسارى أن بنا هواناً على الله وبك كرامة؟ وأن هذا لعظيم خطر؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلانَ فرحاً حين رأيت الدنيا مستوسقة لك والأمور متسقة عليك وقد مثلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢) أمن العدل يا بن الطلقاء تحذيرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله ﷺ؟ قد هتكت ستورهن صحلت بحوحن مكشبات تُخدى بهن الأباعر ويجدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن وليّ من رجاهن وكيف يستبطأ في بغضنا من نظر إلينا بالشنف والشنثان والإحن والأضغان؟ أقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكثُ ثنياً أبي عبدالله بمخصرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة بإهراقك دماء ذرية محمد صلى الله عليه ونجوم الأرض من آل

(١) الروم: ١٠.

(٢) آل عمران: ١٧٨.

عبدالمطلب ولتردنّ على الله وشيكاً موردّهم ولتودّن آتاك عميت
وبكّمت وإنك لم تقل: فاستهلّوا وأهلّوا فرحاً.

اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممّن ظلمنا والله ما فريت إلّا في جلدك ولا
حزرت إلّا في لحمك وسترد على رسول الله برغمك وعترته ولحمته في
حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث وهو قول الله
تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ﴾^(١) وسيعلم من بوأك ومكّنك من رقاب المؤمنين إذا كان
الحكم الله والخصيم محمّد وجوارحك شاهدة عليك فبئس للظالمين بدلاً
وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً مع أيّ والله يا عدوّ الله وابن عدوّه
أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك غير أنّ العيون عبرى والصدور
حرى وما يجزى ذلك أو يُغني عنّا وقد قتل الحسين عليه السلام وحزب
الشیطان يقربنا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم
الله فهذه الأيدي تنطف من دماننا وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا
وتلك الجثث الزواكي يعتامها غُسلان الفلوات فلئن اتخذتنا مغنماً
لتجدننا مغرماً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك تستصرخ بآبن مرجانة
ويستصرخ بك. فوالله ما اتقيت غير الله ولا شكواي إلّا إلى الله فكف
كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يُرخص عنك عار ما
أتيت إلينا أبداً والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبّان

(١) آل عمران: ١٦٩ — ١٧٠.

الجنان فأوجب لهم الجنة أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنه ولي قدير).

هذه ثلاثة شواهد لزینب ابنة فاطمة وكلّها جاءت عفو الخاطر دون سابق تفكير أو تحضير فما بال العقّاد يستكثر على الصديقة فاطمة أن يكون خطابها كذلك عفو الخاطر وبدر على اللسان ولم تعدّه في خلدّها من قبل وهذه زینب هي التي حفظت خطبة أمّها في مسجد رسول الله ﷺ وما كانت زینب عليها السلام إلّا نموذجاً واحداً من تلك النماذج التي فاقت على سائر الناس في كل مكرمة:

إليهم كل مكرمة تؤول إذا ما قيل جدهم الرسول
فثمة شواهد أخرى لأهل البيت كخطبة فاطمة ابنة الحسين عليه السلام في الكوفة وخطبة أختها سكينة وكلّها بدرت على اللسان وعفو الخاطر من دون أن تُعدّ سلفاً في خلد صاحبتهما وأحسب أنّي بهذا استطعت أن أقنع القارئ من النقاد كالعقاد أنّ الخطبة آية في البلاغة وقد كانت من دون سابق تفكير وإعداد تحضير لألفاظها وأبعاضها وإنّما المقبول والمعقول من القول أن يقول إنّ فكرة المطالبة بفدك كانت هي الغرض الدافع ومنها كان الدخول على سائر ما تضمّنته من معاني سامية في بيان علل الأحكام وجدلية الخصام.

(ثانياً) قال: (إنّ سامع الخطاب لا يستظهره عند سماعه فإن حفظه فإنّها يحفظه منقولاً أو مكتوباً بعد حفظه...).

فأقول: إنّ إشكال حفظها مع طولها إنّما يعسر على كثيرين التصديق بذلك قياساً على حال سائر الناس أمّا إذا رجعنا إلى كتب الأدب العربي في العصور الإسلامية الأولى نجد ذكر نماذج فذّة في الحفظ من السماع لمرة واحدة كما عن ابن عباس مع شعر عمر بن أبي ربيعة فقد أنشده قصيدته التي أولها:

أمن آل ناعم أنت غادٍ فمبكر غداة غدي أم رائحٌ فمهجّر^(١)
أنشدها في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عليه عمر في ثوبين مصبوغين موردّين فأنشده القصيدة بتمامها وهي تزيد على سبعين بيتاً ولما انتهى فأقبل نافع بن الأزرق على ابن عباس فقال له: والله يابن عباس إنّنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحرام والحلال فتتشاغل عنا ويأتيك مترفٌ من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس فيخزي وأمّا بالعشي فيخسر
فقال ابن عباس: ليس هكذا قال: قال: فكيف قال؟ قال: قال:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس فيضحي وأمّا بالعشي فيخصر
فقال: ما أراك إلّا كنت حفظت البيت قال: أجل إن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها قال: فإني أشاء فأنشده القصيدة حتى أتى على

(١) أنظر الأغاني ١: ٧٩ ط دار الكتب وخزانة الأدب للبغداد ٢: ٤٢٠ ط بولاق.

آخرها فقال له بعضهم: ما رأيت قط أذكى منك فقال: لكن ما رأيت قط أذكى من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(أقول) وإذا كان عامل الوراثة له تأثيره في المقام فإنّ راوية الخطبة هي زينب بنت عليّ وفاطمة :

أتاها الفضل من هنا وهنا فكان لها بمجتمع السيول
وعنها روى ابن عباس تلك الخطبة.

قال أبو الفرج وهو يذكر أولاد الإمام أمير المؤمنين فقال:

والعقيلة: هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك فقال:
حدّثني عقيلتنا زينب بنت عليّ... الخ^(١).

وكان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قط إلّا رويته وإني لأسمع صوت النائحة فأسدّ أذني كراهة أن أحفظ ما تقول فكم في بني هاشم من هو مثل ابن عباس في الذكاء والألمعية وفي غيرهم كذلك فالنبوغ ليس حكراً على أحد ولا حصراً في أحد وإن كان الشبيه قليلاً في العدد.

ثم من حقنا أن نسأل العقّاد ومن شاكله من النقاد في هذا الجانب من هم غير الصحابة رويوا لنا خطب النبي صلى الله عليه وآله على اختلاف أغراضها وبيانها في أزمانها ومكانها ومنها بعض الخطب الطويلة التي استغرقت وقتاً طويلاً كخطبة يوم غدير خم التي قيل عنها من بعد صلاة الظهر إلى

(١) مقاتل الطالبين: ٩٥ تحقير مصر.

صلاة العصر وما تبع ذلك من المبايعة إلى وقت العتمة. فمن هو الذي كان يكتب كل تلك الخطب سواء كانت قصيرة أم طويلة؟ إنَّها هو الحفظ لدى الكثير منهم وإذا كان من يكتب مثل عبدالله بن عمرو بن العاص فهم نفر قليل ولذلك تتفاوت الروايات في النقل فتزيد عند بعضهم وتنقص عند آخرين تبعاً لقدرة السامع على الاستيعاب.

(ثالثاً) قال العقّاد في طرحه لرفع الخلاف في صحّة نسبة الخطبة الكبيرة إلى الصديقة لا يستكثر عليها (أن تحسن هذه البلاغة وتستطيعها حين تحتفل بها وتعدّها في خلدها لأنّها نشأت وهي تسمع كلام أبيها) وقد سبق ممّا أن ذكرنا نفي مسألة الإعداد ودفع الاستبعاد أولاً ومسألة استظهار السامع بالحفظ ثانياً والآن إلى مسألة سماعها كلام أبيها... فنقول له: إنّ في قرابة النبي ﷺ من توفرت فيه تلك الدواعي كلاً أو بعضاً ولم يزعم لأحد منهم كلاماً يدل على بلاغة أو فصاحة في مشهد عام أو خاص كقبّة بنات النبي ﷺ ودع عنك نساء اللاتي كنّ أكثر لصوقاً به ليلاً ونهاراً سفرأ وحضراً فكلهنّ سمعنّ حديث النبي ﷺ وعشن في كنفه وتحت ظله ولم يرد عنهنّ إلّا القليل عن بعضهنّ نحو كلام عائشة عند موت أبيها على أنّه ليس فيه أيّ مشابهة لكلام الزهراء عليها السلام في أيّ نحو من أنحاء البلاغة في البيان وبلغ الحجة وقوّة الجنان مع فارق جوّ الصدور.

(رابعاً) قال العقّاد أيضاً في طرحه المشار إليه (وانتقلت إلى بيت زوجها فعاثت سنين تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه وشائثيه...) ونحن لا نناقشه في جميع ذلك لكننا نقول له ولمن هو على شاكلته ليست الزوجية هي التي أوجدت تلك القابلية عند الزهراء عليها السلام وقد كانت علاقة الزوجية أطول زمناً مع نساء تزوج بهنّ من بعد موتها عليها السلام وقد عايشنه حضراً وسفراً ليلاً ونهاراً وطالت صحبة بعضهنّ أكثر ما عاشته الزهراء عليها السلام معه من الزمان وكشاهد على ذلك فإنّ أمانة بنت أبي العاص بن الربيع تزوّج بها الإمام بعد وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام وبإشارة منها وبقيت في حبالته حتى شهادته وتلك فترة طالت ثلاثين عاماً ولو قايستها مع فترة معايشة الزهراء عليها السلام لبلغت خمسة أضعاف وقد مرّت فيها أحداث جسام كحروب الجمل وصفين والنهروان وكانت للإمام في مدّة حكمه عدة خطب وخطوب في السلم والحروب ولم ينقل أحد عن أمانة أثرٌ ينبئ عن تأثير الزوجية عندها في الحديث فضلاً عن الخطب البلاغية نعم كل ما روت عنها المصادر المعنية حديثاً روته بعد شهادة الإمام عليه السلام وذلك لما خطبها المغيرة بن نوفل فلم تجبه ثم خطبها أبو الهياج بن أبي سفیان بن الحارث فامتنعت وروت حديثاً عن عليّ عليه السلام أنّ أزواج النبيّ والوصيّ لا يتزوجن بعده فلم يتزوجن الحرائر وأمّهات الأولاد عملاً بهذه الرواية وهي رواية مرسلة رواها

الحافظ ابن شهر آشوب^(١) مع أنه قد ورد في التاريخ أن بعض أزواج الإمام عليه السلام تزوجن بعده وفيهن ليلي بنت مسعود بن خالد النهشلي خلف عليها بعد الإمام عبدالله بن جعفر فأولدها صالحاً وموسى وهارون ويحيى وأم أبيها^(٢) ونعود إلى ذكر أمامة وقد روى الكليني^(٣) بسنده إلى أمامة (قالت: أتاني أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رمضان فأتي بعشاء وتمر وكمأة فأكل وكان يحب الكمأة) فزوجة تعيش ثلاثين عاماً مع الإمام عليه السلام لم يرو عنها إلا هذين الأثرين فما ظنك بالباقيات الصالحات ممن، لم يرد عنهن أي أثر؟! فأين تأثير الزوجية التي زعم العقّاد أثرها في بلاغة السيّد الزهراء عليها السلام؟

(خامساً) قال العقّاد أيضاً في طرحه المشار إليه (وسمعت القرآن يرتل في الصلوات وفي سائر الأوقات...) وهذا جانب لا ينبغي الوقوف عنده طويلاً بعد أن نعرف كثيراً من المسلمين يومئذ يشتركون في سماع القرآن يرتل في الصلوات وفي سائر الأوقات ولم تؤثر بلاغة القرآن فيهم بل كان الكثير منهم يجهل معناه فاستماعه لم يغيّر في ثقافته كثيراً وما خبر جهل أبي بكر بمعنى الأب^(٤) من العقّاد بغائب.

(١) المناقب ٣: ٩٠ ط الحيدرية.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ٢٠٧ تح عكاشة.

(٣) كما في الكافي ٧: ٣٦٩ كتاب الأطعمة باب الكمأة.

(٤) راجع خبر ذلك في الغدير ٧: ١٠٣ — ١٠٤ ستجد المصادر التي فاقت على العشرة من مصادر التراث السنّي.

هذه هي النقاط التي ذكرها العقّاد في دفع معرّة الخلاف والجدل من
النقّاد حول خطبة الزهراء عليها السلام.

وبهذا نختم الكلام والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله
الطيبين الطاهرين.

نسأله تعالى أن يتقبّل هذا منّا ، ويثبينا عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون

إلاّ من أتى الله بقلب سليم ، ويرزقنا شفاعة سيّدتنا ومولاتنا

الصدّيقة الزهراء عليها السلام ، بولاء مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

تم في ليلة عيد الغدير ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٤٢٧ هـ



محتويات الكتاب

المقدمة.....	٢
الباعث على هذا.....	٥
السييل الأقوم.....	٦
ما هو المنهج الذي لا عوج فيه ؟	٩
تمهيد.....	١٥
الباب الاول.....	٢٣
النقطة الأولى:.....	٢٥
النقطة الثانية: مدرسة الكذب والأحاديث الموضوعة.....	٢٦
النقطة الثالثة:.....	٣١
النقطة الرابعة: صفحات من شرح نهج البلاغة.....	٣٣
[ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاة محمد ﷺ].....	٣٦
[ذكر بعض ما مني به آل البيت من الأذى والاضطهاد].....	٣٨
الباب الثاني.....	٤٣
في الصديقية ومن هو أحق بها.....	٤٣
المبحث الاول: في صديقية فاطمة الزهراء عليها السلام.....	٤٥
الصلاة والسلام على الصديقة.....	٦٣
الإغارة على لقب الصديقة.....	٦٤
المبحث الثاني: في صديقية عائشة.....	٦٦
موقفنا من عائشة.....	٧٣

١٦٦	المبحث الثالث: صدّيقية أبي بكر الصديق بين التصور والتصديق
١٧٧	ذكر ما جاء في إثبات الصدّيقية لبعضهم والشهادة لبعضهم
٨١	ذكر إثبات الصدّيقية لأبي بكر والشهادة لهما
٩٢	المبحث الرابع: عليّ الصديق الأكبر
٩٧	الباب الثالث
٩٧	في مصادر خطب الزهراء
٩٩	التمهيد
٩٩	أولاً: ماذا عن عدد الخطب؟
١٠٠	ثانياً: ماذا عنها زماناً ومكاناً وموضوعاً؟
١٠٨	ثالثاً: قراءة واعية في التاريخ من جديد
١٢٤	رابعاً: اعترافات خطيرة تنسف تاريخ الإسلام السياسي والسيرة
١٣١	نماذج من الاعتراف بالخلاف
١٣٩	خامساً: ماذا عن أسباب الخطب؟
١٥٠	سادساً: ماذا نجم عن الخطب وآثارها؟
١٦٦	المبحث الأول: مصادر النصّ في التراث الشيعي
١٧١	المبحث الثاني: في مصادر التراث السني
١٧١	(أولاً) الخطبة الكبيرة: وهي ذات ثلاثة فصول
١٧٦	(ثانياً) الخطبة الثانية مع نساء المهاجرين والأنصار
١٧٧	(ثالثاً) الخطبة الثالثة
١٧٨	المبحث الثالث: النصوص المختارة
١٨١	النصوص من التراث الشيعي:
١٨١	النصّ الأول :
٢٠٣	النص الثاني:
٢٠٨	النص الثالث [للخطبة الثالثة]:

٢١٠	التصوص من التراث السنّي
٢١٠	الصورة الأولى:
٢١٢	الصورة الثانية:
٢٢٣	الصورة الثالثة:
٢٢٣	كتاب شرح نهج البلاغة الصورة الرابعة:
٢٥٤	الصورة الرابعة:
٢٥٨	الصورة الخامسة:
٢٨٥	الصورة السادسة:
٢٩٨	الصورة السابعة:
٣٠٧	الباب الرابع
٣٠٢	في محاور التوثيق
٣١٠	المحور الأول: توثيق أصحاب المصادر
٣١٨	المحور الثاني: توثيق المصادر
٣٢٣	المحور الثالث: توثيق الأسانيد
٣٢٤	أسانيد الخطبة الكبيرة في كتاب (دلائل الإمامة)
٣٢٨	(السند الأول)
٣٣٤	(السند الثاني)
٣٣٨	(السند الثالث)
٣٣٩	(السند الرابع)
٣٤٢	(السند الخامس)
٣٤٣	(السند السادس)
٣٤٤	(السند السابع)
٣٤٥	(السند الثامن)
٣٤٥	(السند التاسع)
٣٤٦	اسانيد الجوهري
٣٤٦	(السند الأول)
٣٤٧	(السند الثاني)

٣٤٧	(السند الثالث)
٣٤٨	اسناد ابن أبي طاهر في بلاغات النساء
٣٥٠	أسانيد السيد المرتضى
٣٦٠	وقفه صارخة للسيد ابن طاووس
٣٦٤	توثيق إسناد ابن طاووس
٣٦٦	أسانيد الخطبة الصغيرة
٣٦٩	المحور الرابع: روعة الأسلوب
٣٧٨	المحور الخامس: قوة الحجّة
٣٨١	الخاتمة
٣٨٣	مع العقاد والنقاد

